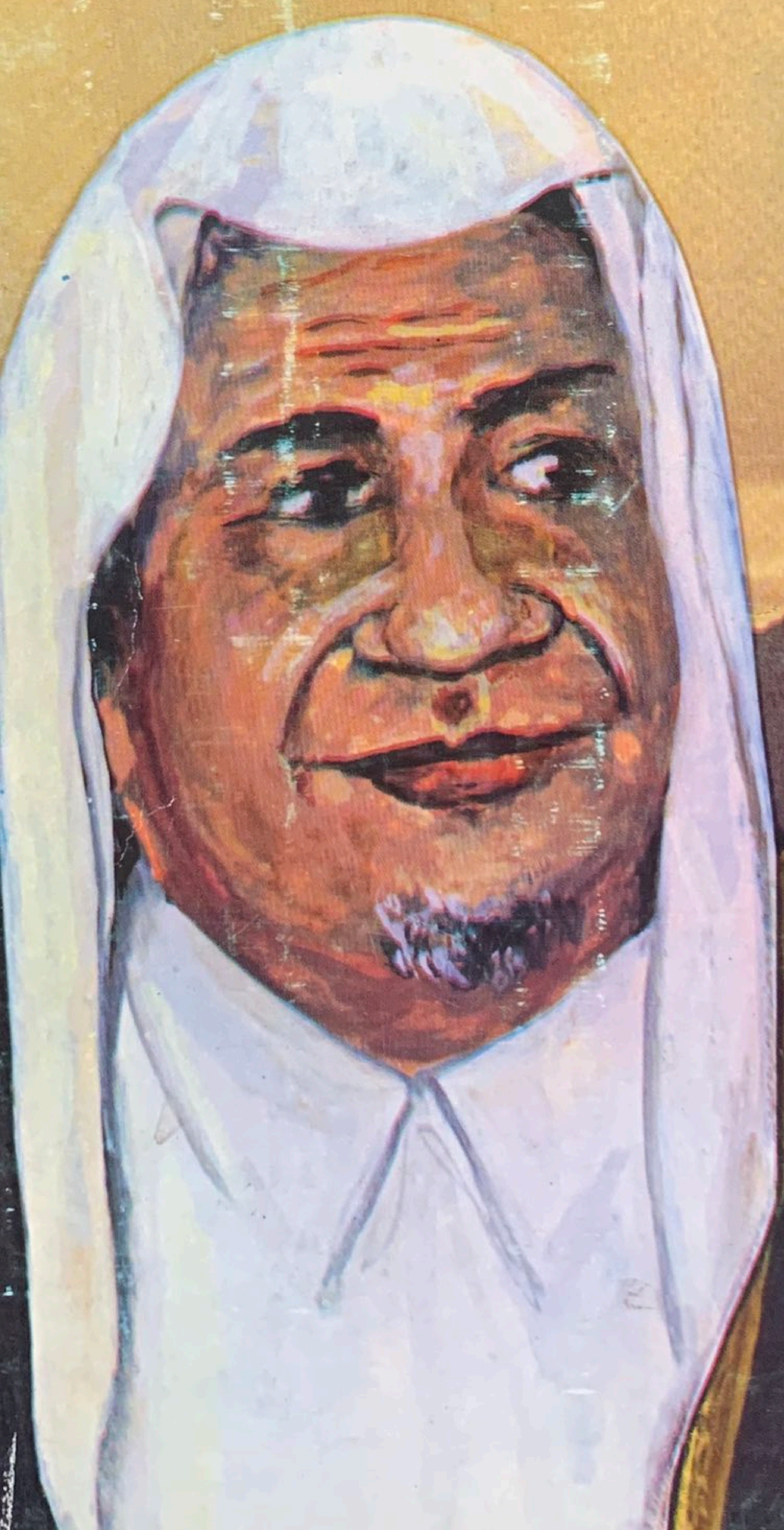
ديوان ضياء الدين رجب



زحمة العمر
سبحات
رثاء

ديوان

ضياء الدين رجب

خط محمد

زحمة العمر

سبحات

رثاء

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان : للأستاذ هاشم دفتردار المدني

الحمد لله ، والصلاة والسلام على خاتم رسل الله سيدنا محمدٍ المؤيد بمُعجزاتِ وَحْيِ الله ، المتحديات كلَّ معارف الحضارات . .

وَحْيُ اللهِ المحفوظُ بحفظِ الله إلى نِهاية الأبد . .

وهذا الحفظ عين الإعجاز :

١ – تلمسُهُ بكلِّ حَواسِّك– ناطقاً صارخاً – في أحلك الظروف ، وأسوأ الأحوال .

٢ – وتلمسُه إذا تفاقمتْ شراسةُ معاول الظالمين الطُّغاة ، واستهدفت يقينَ العلمِ والحقِّ ، ونورَ الوحي المعجز المتحدي ، وقِسطَ قِسطاسه وعدلَ مَوازينه . بسفهِ غرائزهم ورُعونةِ عنصرياتهم الممقوتة ، وحقدهم الموروث وانحراف تثقيفهم وترصّدهم الأعمى الأصم .

وهم أبداً على غير اكتراث بمودة السلام ، وهُدى الوحي في أحفل حقائقه ، وفي أكرم مواكبه ، وفي أسطع كواكبه . . ! !

٣ – أبصرنا كلَّ ذلك بعد رحيل الأسلافِ الصالحين في القرون الأولى الثلاثة . . ولولا أن الله كان يتعهد هذا البيان العربي الأصيل العالي بأمراء نبلاء ، وبحُكام عظماء . يمدون أدباءَهُ وعلماءَهُ ، بدفقِ الحياة العتيدة القويّة ، ويَصْعَدون بهم إلى مواصلةِ الإثمار العبقري الناضج . . لعَسُرَ رأبُ الصدع وما أهوله . .

ولولا أنها كلمةُ إيجازٍ عن مكان أدبنا العربي وأقداره واطراده لأدليْتُ بإسهاب عن كل ما كان ، وما يمكنُ أن يكون قديماً وحديثاً على أجنحة التاريخ .

أما ما كان قديماً ، فكم من أمراءَ وَحُكامٍ شيّد الله على سواعدهم – منائرَ – البيان العربي الصحيح ، وأمجادَه في عهودهم ، وما وراءَ عُهودِهم على مدى التاريخ . . تتوهج مطالعُها بيُمْن أسمائهم إشراقاً واعتزازاً وخلوداً .

وكانتْ لهم رِداءٌ فِساحٌ يحتشد فيها اللسنُ ، وأغنيةُ الحرفِ المهذب ، وإبداع الكلمة المؤمنة ، بكلِّ منافعها المالكةِ في الأرض . .

أنظر . . هذه رَدْهةَ الأمير أحمد بن المعتصم ، مزدهية بعباقرةِ الكلمة العالية ، ونوابغ الفكر النيّر . . وها هو أميرُ شعراء عصره حبيب بن أوس الطائي . . يلقي

قصيدته السِّينيّةَ العصماء أمام الأمير أحمد ومنصةُ البيان زاهيةٌ به ، وآذانُ الحضور منتشيةٌ وقلوبُهم تفيض بشراً . . ولمّا وصل إلى قوله :

إقدامُ عمرو في سماحةِ حاتمٍ في حِلْمِ أحْنَفَ في ذكاء إياسِ

حاول الفيلسوفُ الكندي أن يخفف ، من سطوة البيان وسحره في نفس الأمير ، وهو مأخوذ به . . فصرخ مُنْكراً . .الأمير فوق مَنْ وصفت . . فلم يكترث أبو تمام لقوله بل رد عليه إنكاره خاطفاً . .

لا تنكروا ضربي له مَنْ دونه مثلاً شروداً في الندى والباس

فاللهُ قد ضرب الأقلَّ لنوره مثلاً من المشكاةِ والنبراس

وكان وقعُ رَدِّ أبي تمام عاصفاً ، لأنَّ الحق لا يحجبُه حجاب ، مهما كان لونُ ذلك الحجاب . .

وكان من أثر ذلك الانتصار إسنادُ رئاسةِ بريد الموصل إلى أبي تمام ، لينهض برسالة الأدب ، وقد نهض . .

٢ — وكم من ذكرياتِ عطرة الأنفاس تخف بك إلى رَدْهةِ سيف الدولة .الحمداني في حلب الشهباءِ لكي تستمتعَ بنَضْرة خمائلها ، وأغاريدِ أطيارها . .

وتلقى هنالك شاعرَ العربِ الأكبر ، وحكيمَها المفكر الصادح ، أحمد المتنبي وقد وَطّدَ في أعلى ذراها وأنضرِ أفنانها كرسيَّ إمارة الشعر . وهو ينشد مختالاً فخوراً :

وما الدهرُ إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعراً أصبح الدهرُ منشدا

وقوله :

ما نال أهلُ الجاهلين كلهم شعري ولا سمعت بسحري بابل

* * *

وفي فجر هذه النهضة السعودية المجيدة التي تحققت فيها وَحْدَةُ كلمةِ العرب في وطنهم المقدس الأم . .

كان الاهتمامُ بلغةِ القرآن المجيد وآدابِها ومعارفِها كبيراً جداً .

شُيِّدتْ لها الجامعاتُ والمعاهدُ والنوادي الأدبية .

وكان من أثر ذلك أن أُقيمت رَدْهة صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله الفيصل ، من أجل الحفاظ على الإسلام ومعالمِه ، واللغة وآدابها ومعارفها .

رَدْهة لها طابعها العالي الممتاز ومن مفاخرها الخالدة إخراج المؤلفات العَبْقرية النافعة .

وكنتُ لا أُريد التنويه بمزايا صاحب الردهة الفيصلية . لأن مزاياه في غنية عن ذلك .

ولكن الذي اضطرني إلى الإلماع المقتضب هي كلمةُ أُسرة الشاعر الآتية :

كلمة أسرة الشــاعر

هذه المجموعة الكاملة من شـعر والدنا المرحوم الشيخ ضياء الدين رجب مدينة لظهورها فى هذا الثوب المتكامل الذى يراه القارىء لصاحب السمو الملكى الامير عبد الله الفيصل ، فلقد علم سموه أن نادى جدة الادبى سيتولى اصدار مختارات منها فتفضل مشكورا بابداء رغبته فى اصدارها كاملة على نفقة سموه الكريم، وليست هى أولى أيادى سـموه الـــكريم ولا آخرها على الادب والادباء وهو الامير الشاعر والكاتب الناثر فلسموه الكريم اجزل الشكر وأوفى التقدير ادامه الله تعالى ذخرا للادب والفضل وجزاه عنا وعن والدنا الفقيد افضل الجزاء .

أسرة الشيخ ضياء الدين رجب

وإني أردف بشكرِ أُسرة الشاعر الكبير الشيخ ضياء الدين رجب شكري على اختياري للقيام بهذه المهمة على جهد الشيخوخة .

وكان الأديبان الكبيران الأستاذ عبد المجيد شبكشي والأستاذ محمد علي المغربي هما اللذان انتدباني لأتولى القيام بهذه المهمة المجهدة . لأن الديوان المرسل من وزارة الإعلام هو في مطبعة الأصفهاني ولولا أن الأستاذ الكبير محمد علي المغربي كفاني بمقدمته النفيسة مؤونةَ دراسةِ شعرهِ ،وتحليله ،والتنويهِ بمكان الشاعر المرموق بَيْنَ شُعرائِنَا المواطنين النوابغ ، وعرضِ مَزاياهُ ، وقوة عارضته وسحر بيانه في شواهده ... لكان الجهدُ أَضْناني .

ويعلم الله أني قضيت الأشهر الثلاثة شعبان ورمضان وشوال وهأنذا في شهر ذي الحجة . وأنا أُراجع أصول الكلمات المستعملة في المعاجم لضبطها بالمقدار الذي يملكه ضعف الإنسان ووعيه المحدود . .

ولما كنت أفقد معرفة أوزان الشعر المعرفة الصحيحة استعنت بالشاعر الكبير السيد محمد حسن فقي لقربي منه في مكتب المجلة العربية . . وبالرّحيمين البحاثتين الأديبين الشيخ عبد القدوس الأنصاري ، والسيد علي حافظ . .

استعنت بهم في وزن بعض الأبيات التي اقتضى الأمر في العودة إلى صحة وزنها . . ولا غرابة أن يكون ذلك .. فإن النسخ مسخ نجد ذلك في المؤلفات المخطوطة والمطبوعة على الآلة الكاتبة .

ومع كل ذلك اعتقد أنه أفلت بعض ما لم نفطن إليه ، وشمول العلم لله وحده وله كل الأمر . من قبل ومن بعد .

هاشم دفتردار المدني

غرة ذى الحجة عام ١٤٠٠ هـ

الموافق ١٠ اكتوبر عام ١٩٨٠ م

زحمة العمر: للمرحوم الشاعر ضياء الدين رجب

كنت أود أن أخلص من نفسي في يوم ما ولكن ما انطوت عليه تلك النفس من آمال وآلام جعلتني أوثر الانطواء عليها فلا ألقي بها على الناس حتى لا أشركهم في متاعب حياتي وزحماتها لأني أعتبر ذلك خلاصاً من النفس وتخلصاً منها ونفضاً لأوشابها وبلاويها .

من أجل هذا لم أفكر جاداً في طبع ديواني في حياتي بل كنت أوثر أن يظل تحت ركام هذه الحياة ثم ينشر على الناس فيتحدثون عنه كما يشاؤون بلا مجاملة ولا محاباة فيقرأون أثراً محضاً لذاهب لا يخافونه ولا يرجونه . . ولكن إلحاح الكثير من لدات العمر ورفاق الحياة على أن أطلع الناس على آثاري هو الذي شجعني على هذه الانتفاضة وتقديم هذه الزحمة بكل ما فيها . . والواقع أنها ليست مني ولكنها من الحياة وإليها ولم أرد وأنا أضع هذه الكلمة أن أقدم لأثر لست أنا راضياً عنه كل الرضا - ولهذا أحجمت حتى عن تقديم رأيي في الشعر والأدب بوجه عام حتى لا أعبر عن نفسي ولا أدافع عنها في قليل أو كثير .

. . .

« ضياء الدين رجب »

مقدمة : للأستاذ الشيخ محمد علي مغربي

هذا الكتاب بما حواه من قصائد ومقطوعات كثيرة هى حصيلة شعر الشاعر الشيخ ضياء الدين رجب خلال رحلته في هذه الحياة ، فلو قلت إنه حصيلة خمسين عاماً من ممارسة الشعر لما كنت مبالغاً في التقدير ، ولو قلت إنه حصيلة عمر الشاعر كله لما تغاليت في التعبير ، ذلك أن هذا الشعر لم ينشر قبل اليوم كاملا في كتاب وإنما نشرت منه قصائد قليلة في أوقات متفرقة في بعض صحف المملكة مثل صوت الحجاز ، والبلاد ، والمدينة المنورة ، ، ومجلة المنهل ، وقافلة الزيت ، وكان هذا القليل الذي نشر قد وضع الشاعر موضعه الصحيح بين أبرز شعراء المملكة في هذا العصر ولعل هذه المجموعة الضخمة حينما تطالع القاريء متكاملة تضع الشاعر بين أبرز الشعراء في بلاد العرب قاطبة وليس في وطنه فحسب .

إن صاحب هذه المجموعة قد تكاملت لديه الخصائص التي يجب توفرها في شاعر كبير فهو مرهف الحس ، متوهج العاطفة ، وقد امتلك ناصية البيان كما وهب القدرة على الصياغة الشعرية في أداء يجمع بين نصاعة الألفاظ ، وجمال المعاني ، وتوفر الصور الشعرية وكل هذا في عاطفة متدفقة وإحساس متوثب تحس فيه بهذا الوهج الذي به يكون الشعر شعراً .

إن الشيخ ضياء الدين رجب هو من هذه الفئة القليلة من شعراء هذه البلاد التي انقادت لها مقاليد اللغة فهو من الشعراء الذين جمعوا في تحصيلهم بين المدرسة والمحراب ولقد تلقى دراسته هذه على أيدي كبار علماء المدينة المنورة في عصره فهو من هؤلاء الطلبة الذين أخذوا العلم حبْواً على الركب وهم يجلسون في حلقات الدرس في رحاب المسجد النبوي الشريف بين أيدي أشياخ أجلاء تمكنوا من علوم الدين فقهاً ، وحديثاً ، وتفسيراً ومن المعلوم أن دراسة هذه العلوم مرتبطة باللغة بياناً وبديعاً ونحواً وصرفاً ، وكان هؤلاء الأشياخ ولا يزالون يعقدون حلقاتهم في أعقاب الصلوات وبين العشائين فيتنقل الطلاب بين تلك الحلقات حاملين كتبهم ودفاترهم فيجمعون بين شرف العلم ونور العبادة ، في رحاب أكرم المدارس وأعظم المحاريب ، ويكفي أن نعلم أن شاعرنا بنتائج هذا التحصيل قد رُشّحَ ليكون قاضياً في العشرين من عمره وتولى قضاء مدينة العلا وهو

في هذه السن الباكرة بعد أن اعترف له أشياخه بالتفوق والنبوغ . ولقد أضاف الشاعر إلى هذا التحصيل الديني واللغوي اطلاعاً كبيراً على الشعر العربي في مختلف العصور فزاد هذا الاطلاع بيانه صقلا وتعبيراته ثراءاً ، وانك لتلمس أثر هذا الاطلاع فيما تقرأ من شعره الذي يذكرك بهذا النسق العالي من الشعر العربي في أزهى عصوره وأجمل صوره وأن هذا الذي تحسه وأنت تقرأ هذا الشعر لا يذكرك بأن هذا الشعر هو تقليد لقديم الشعر العربي وإنما يذكرك بأن الشاعر إنما يستمد جذوره من هذا النبع الأصيل الجميل ، ذلك أن الشاعر قد استطاع الاحتفاظ بشخصيته المستقلة وهي شخصية تتجلى خصائصها للدارس لهذه المجموعة الكبيرة من الشعر في جلاء ووضوح . وسنعود إلى إيضاح ذلك حينما نتحدث عن شخصية الشاعر التي تتجلى في مختلف قصائد هذه المجموعة والتي تؤكد أن الشاعر إنما يصدر عن عواطف معينة وأحاسيس واضحة تأبى إلا أن تعبر عن نفسها حتى حين لا يتوقع المرء هذا التعبير .

الشعر : ـ

لقد تحدثنا عن الشاعر بقدر ما تسمح به هذه العجالة وسنتحدث الآن عن ديوانه أو دواوينه التي تجتمع بين دفتي هذا الكتاب الضخم والذي يذكرك بالدواوين الضخمة للشعراء العرب من قدامى ومحدثين قبل ظهور الدواوين الجديدة للشعراء المعاصرين والتي تضم عشر قصائد أو أقل أو أكثر يطلق عليها الشاعر إسماً معيناً فتستوي له دواوين كثيرة بدلاً من ديوان واحد يتكون من عدة أجزاء .

إن ظهور هذه المجموعة الضخمة من شعر الشاعر في كتاب واحد هو ضرورة أملاها تأخُرُ نشر هذا الشعر إلى ما بعد وفاته ليصدر في مجموعة واحدة كبيرة .

ولقد ترك الشاعر هذه المجموعة مرتبة منسوخة على الآلة الطابعة وقسمها إلى المجموعات الآتية : ـ

١ ـ الشعر الروحي   ٢ ـ الشعر الوطني   ٣ ـ الشعر الاجتماعي
٤ ـ الشعر العاطفي .

وأطلق الشاعر على هذه المجموعة الضخمة وهي تمثل الجزء الأكبر من شعره اسم ـ زحمة العمر ـ ويضمها مجلد واحد كبير حوى معظم شعره ويبدو أنه ألحق هذه المجموعة الضخمة بعد ذلك بما استجد لديه من الشعر في مجلد صغير آخر أطلق على هذه البقية اسم ـ سبحات ـ وهذه البقية في مجموعها يمكن أن تدخل في باب الشعر العاطفي فيبقى التقسيم الذي وضعه الشاعر كما هو دون تغيير ونعود الآن إلى هذا الشعر بأنواعه المختلفة لنتحدث عنه بقدر ما يسمح المقام .

هذا وكانت للشاعر مجموعة من القصائد والمقطوعات فى رثاء ابنه حمزه فى مجلد خاص وقد ألحقناها بهذه المجموعة فى باب خاص هو شعر الرثاء وسـ نتحدث عنه فيما بعد .

لقد قلنا إن القراءة لهذه المجموعة تذكر القارئ بهذا النسق العالي من الشعر العربي في أزهى عصوره ويتجلى ذلك في أسلوب الشاعر الذي يتمثل في تلك الصياغة الرائعة في اختياره للألفاظ ، وفي تناسق المعاني وتجانس الكلمات فلا يصدم السمع منه كلمة نابية أو جملة دخيلة ، أو معنى فج ، وإنما هناك موسيقي متناسقة الجرس ، عذبة النغمات ويتجلى هذا في كافة شعر المجموعة ليخرج منه القارئ بأن الشاعر صاحب أسلوب متميز فريد ، وللقارئ أن يتذوق هذا كله فيما نورده من نماذج هذا الشعر على اختلاف أغراضه ودون تمييز .

يقول الشاعر في قصيدة من الشعر الروحي بعنوان (دار الهدى) : —

جادك الغيث أماناً وسلاما ورضاً سمحاً ويُمْناً وابتساما
يا دياراً حلم الغيث بها يتحرّاها سحاباً وغماما
فإذا ما انطلقت أضواؤه ذاب حُبّاً في مغانيها وهاما
شامها بارقة معطورة شمها جبريل من قبل وشاما
دونها الخلد بما ألبسها صانع الخلد جمالا ومقاما
الشذى يألق من لألائها والسنا ينضح عطراً وخزاما
والدنا تسبح في أفلاكها تعبر النور الذي ينسى الظلاما
إنها الأضواء في دار الهدى بهرته فرأى البرق جهاما

وأنت حين تقرأ هذا الشعر تشعر بهذه الموسيقى تنساب إلى النفس في هدوء وعذب فكأنك في روضة معطورة تشابكت أغصانها وتفتحت أزهارها ، وتغنى الطير على أمتانها بعد أن جادها الغيث بنفح السماء ، ثم يخلص الشاعر ليقول لك أن هذه الروضة الباسمة الحالية .

إنها الأضواء في دار الهدى بهرته فرأى البرق جهاما

وهذا النسق العالي من الصياغة الرائعة يتجلى في كل قصائد هذه المجموعة الضخمة فإذا انتقلنا إلى قصيدة أخرى طالعتنا هذه الأبيات : —

يا قباب الفيحاء يا بسمة الروح ويا بهجة الفؤاد الشجي
لثم الحب ذاته وتغنى الشوق في صمته الجلي الخفي
وتهادت على مشارف سلع نفحات من الشذي النبوي

وتبددت قبـاء والألـق الضاحي وشـاحٌ من عسجـد عبقـري
النـبيُّ المبعـوث في خير أرض صـانها مـن منـافق ودعـي

ونمر عبر الديوان بقصيدة أخرى بعنوان عرفات : ـ

الأغـاريـد في السمـاء نـداء والـرحـاب الخضراء والأضواء
والحشود التي أطلت مع الفجـر عـلى الموقف العظـيم دعـاء
والحيارى والراقصون على السحب أظلـت أفيـاَؤهـم أفيـاء
والـثراء العريض والجـاه والملك حطـام عـلى الـثرى مشـاء
والمغـاني الفيحـاء وارفة الظل وآسـاد غـابهـا والظبـاء
والمقـاصير والخيـام وقطعـان حمـاها مـع الـرعـاة سـواء

وليس أجمل من هذا الوصف للمساواة بين الناس في عرفات ولا أجمل من هذا الأسلوب الرائع المبدع في إشراق بيانه وشرف معانيه .

فإذا انتقلنا من هذا الشعر الروحي إلى الشعر الوطني تطالعنا إحدى قصائد الديوان ـ وحدة القلوب ـ : ـ

أرأيت كيف طـوالـع الآمـال موصـولة الإقبـال بالإقبال
ترنح البسمات فـوق ثغـورها سكـرى وأنت حيـالهـا وحيالي

ومنها يقول : ـ

وتـرفقت نسمـات مصر فرفرت في الشام بين مرابـع وظـلال
فحملن عن بردي أرق نسيمـه ينسبن بـين سبـاسب وتـلال
ومها تحوم على الموارد في الحمـى وموائس في الغـوطتين حـوالي
حتى أغرن البان لسن حـواذرا وزحمنـه في موكب المختـال

وهناك قصيدة أخرى بعنوان يا مصر مطلعها : ـ

يا مصر يا مصر ما أحلاك صاحيـة وصحوك العذب وسنان الرؤى غرد

ومنها يقول :

يا مصر أنت هوى قد صيغ من ضرب الشمس تنهل منه والضحى بـرد
والظل يسحب فوق الظل أجنحـة كالروح يمرح في أنفاسها الحسـد

ومنها : —

يا رعشة حلوة في خافــق رجفــت   أضواؤه في هــوى يدنو ويبتعــد
ويا حنيناً تلاقى في مســاربــه   تجري به الريح رهواً والضحى رأد
ذاب الدجى في تلافيف الســرى   فهفت أشعة فجرها الوسنان متئــد

ولو ذهبنا في الاختيار لأطلنا على القارئ والمجموعة كلها من هذا النسق العالي من اللفظ الرائق والمعنى الرائع تنظمها هذه الموسيقى العذبة والأخيلة الشعرية الأصيلة .

شخصية الشاعر : —

إن القارئ لهذه المجموعة الكبيرة من الشعر يستطيع الخروج منها بصورة واضحة المعالم والملامح ، تحمل أفكاراً معينة تدل على البيئة التي ولد فيها الشاعر ونشأ والأرض التي درج عليها والمغاني التي تعلقت بخياله بل والآداب التي أشربها وربي عليها فهو من مواليد دار الهجرة ، ولد في رحاب طيبة الطيبة وأشرب الحب خالصاً لصاحب الرسالة الأعظم ، كما انطبعت مغاني هذه الرحاب الطاهرة في نفسه وخياله فهو لا يمل الحديث عن قباء وسلع ، وأحد وأريس ، والروضة والمحراب والقبة الخضراء والمآذن الفيحاء والنخيل والزهر والعقيق ومغانيه وكما تتجلى هذه الصور في شعر الشاعر تتجلى كذلك أمجاد هذه البلاد المقدسة وتاريخها العريق الذي هو تاريخ ظهور الإسلام وفتوحاته وأمجاده وامتداده في الأرض فهذا التاريخ حي أبدا في خياله وهو مقرون أبدا بالأسى على حاضر الأمة الإسلامية التي ينتمي إليها فهو لا يفتأ يذكر به كلما أدلهم الخطب واشتد الكرب ، والثقافة الدينية التي تشر بها الشاعر صغيراً تبقى هي النبراس الذي يهتدي به ويهدي إليه فهو لا يفتأ يدعو إليها ويذكر بها فهو ابن بيئته وربيب ثقافته تلمح هذا في مختلف قصائد هذه المجموعة الضخمة على اختلاف أنواع القصائد وتنوع أغراضها : —

يقول الشاعر في أفراح الجزائر : —

انظــر لأفــراح الجــزائــر   في الثغــور وفي التخــــوم
في الكــون في عليــا المنـــازل   في القبــاب وفي الســـديم
في العــالـم العلــوي تــاه اليـــوم في المـــلأ الـعظــــيم
في المسلمـــين وإنـــه المجـــد   المـرفــل فـــي الصمـــيم
منحــــوه أرواح الشهــــادة   فـــي الصـــراط المستقـــيم
هـــذا هـــو المجـــد الزعـــيم   يضـــج فـــي روح الــزعـــيم

وهناك قصيدة ـ أغنية زمزم وأريس (وأريس هذه بئر مشهورة في المدينة) .

هل رشفت المزن رشفا   ثم حليت بزمزم
صفقوها بأريسٍ   وسرى البدر الملثّم
بشعاع يتلثّم
من رضابك

وقصيدته في ربوع المدينة : ـ

بين سلع وقبا   من مجالي يثرب
قد مشينا الهيدبى   سبسباً في سبسب
صفقت أيامنا
شعشعت أحلامنا
بين أحضان العقيق   من شروق لغروب
كم روينا من رحيق   بين كأس وحبيب
والمنى في ظلنا
نهلها من نهلنا
والغوالي في العوالي   ينفح العطر شذاها
وظباها في المعالي   هدهدت سحر ظباها
فسل الجزع ورامه   والمصلى والغمامه
والشذى في أحد   من عبير الشهداء
عبرة للأبد   في مجالات الفداء

ومن قصيدة قيمة الشعب التي نظمها الشاعر في شبابه : ـ

ولعمري هذا الحجاز حفي   ولديه كرامة في خصاله
وبنيه ان ساءلوا العنصر   الحي وكنز الخلود في أعماله
جاوبتهم أصداء مجد عميق   يستفز الحنين في تجواله
يتغنى بمجده السالف العهد   ويبدي تلعثماً في مقاله

وفي قصيدة خلود البطل التي يهديها الشاعر إلى روح الأمير عبد الكريم الخطابي بطل الريف يقول : —

المجــد أشرق في لفائف مهــده ... فمشى خــدين وفاته في لحــده
وتلفت التــاريخ بعــد فلم يجد ... إلاه في تبريحــــه أو سهــده

ومنها : —

تنهل في الدنيا سواكب فيضــه ... وتهــل بالرحمى سحائب رفــده
وخلائق المجد الأصيــل شمــائل ... تصــل الحيــاة بحظــه وسعــده
وتشع اشعاع الهدى في مــوطن ... غــذاه من دمــه الزكي بشهده

وفي قصيدة تلك الخيام : —

ولقــد ذكرت النــابغي وليلــه ... وعكاظ حــول قبــابه البيضاء
ولمحت عن كــثب خيــال سكينة ... وسكينــة من قبلهــا الخنســاء
ولقد نظرت البحر بــين مــداره ... ومســاره وكــأنه الصحــراء
خطــرت حــواريه الحسان حملنها ... عيس تمــاوج تحتهــا البيــداء
فــكان اشعــاع الهــوادج هالة ... ضفرت ذوائب حسنهــا القمراء

وانك لتجد أمثال هذه المعاني حتى في شعره العاطفي حيث لا يتوقع وجودها فيه .

أنظر قصيدته يا ضاحك العين حيث يقول : —

من سر عينيــك ومن سحــرها ... تصــــوغ للبسمــة بســامها
بــراءة في ظــل أنفــاسهـــا ... أطيــابهــا تغســــل آثــامهــا
ناســكــة تعبــــق أردانهــا ... ما فارقت في الحــل أحــرامها

ومنها : —

وآمنــت بالله فـــي حبهـــا ... وأسرعــت تعلـــن إسلامها

وفي قصيدة لماذا أحبته : —

أحبتــه فـــي تحنــانه وحنــانه ... وراعتــــه فـــي إيمــانه وأمــانه

وفي قصيدة حب وأشواق : —

أنا من طيبة وحسبك مني ... لذة نزعة الهوى لدمشق
ضمخت أرضها طيوب النبوات ... فإني حللت أشذاء عبق

وفي قصيدته صورة : —

حجازية الطبع والمحتد ... عراقية النبت والمولد
كأن زروداً بغزلانه ... جرى في الرصافة كالعسجد
ومازج بين عيون المها ... وكحلها بعد بالأثمد
وغار العقيق من الدجلتين ... وصفق للنبع والمورد

وفي قصيدة من هى : —

تخبرها قلبي فلا الحب حبكم ... ولا وصفكم وصفي ولا جهدكم جهدي
غرام سماوي والمعاني مجنح ... وألطافه شيء خصصت به وحدي

وفي قصيدة رشح العناقيد : —

يا سقا الله في رحاب القداسات ... طيوفاً من الهوى المستكن
يا رعا الله في الربوع الكريمات ... مصابيح من جمال وفن
وادياً أشرقت عليه النبوات ... فكانت أبهى ملائك حسن
فإذا لاح في الرؤى غير ذي زرع ... فقد عاش في ظلال وأمن
وطني إنها القلوب حواليك ... فدعني أقبل الأرض دعني

وهكذا تظهر شخصية الشاعر معبرة عن نفسها في أجمل صورة وأحلى بيان :

أغراض الشعر : —

لقد ذكرنا في صدر هذه المقدمة التقسيم الذي وضعه صاحب هذه المجموعة لشعره وهى تتألف من الشعر الروحي والوطني والاجتماعي والعاطفي ، وأن القاريء لهذه المجموعة الضخمة من الشعر ليجد فيها تنوعاً في الموضوعات وخاصة فيما يتعلق بتلك القصائد التي أدرجها تحت عنوان الشعر الاجتماعي فهى إلى جانب ما تضمه من قصائد المناسبات الوطنية والرثاء تضم قصائد كثيرة يضمنها الشاعر آراءه في أمور كثيرة من واقع الحياة مثل (قصة الجرم العقيم —وحكاية البلبل المنتحر والنادمة والبحر وضاربة الودع ودودة القز

وأغادير وغيرها وغيرها من القصائد الكثيرة التي تأتي تحت عنوان الشعر الاجتماعي والقاريْ لهذه القصائد يلمس فيها نواة للشعر القصصي ان صح هذا التعبير لو تعهدها الشاعر وتفرغ لها لكان له منها الروائع والبدائع فهي تجمع وحدة الموضوع من جمال الصياغة وموسيقية التعبير واختيار الوزن المناسب للموضوع وهو أمر يدل على أن الشاعر قد دانت له كل الأسباب التي تهيئ للشاعر حسن الصياغة وجمال التعبير إلى جانب وضوح الفكرة وشمول النظرة ولو ذهبنا نستشهد بشيْ من هذه المجموعة لطال بنا نفس القول وإني لأكتفي باقتباس بعض الأبيات من قصيدة ضاربة الودع ومطلعها : —

جاءت ملثمة وتنتزع — اللثام البسمة العجب
والنظرة النجلاء قائلة — شيئاً يخالسها فينسرب
والصوت لمح فيه أدمعها — في نبرة من عمقها تثب

ومنها : —

جاءت ملثمة وفي يدها — ودع توشوشه فينجذب
نثرته فوق الرمل قائلة — زينا أبين بعض ما يجب
سر الصبايا لا أبوح به — إلا لهن فدونه الحجب
وسرائر الفتيان ألمحها — والعلم عند الله محتجب
فتقاطر الحضار واستبقوا — وبياضهم يجري وينسرب
أسماعهم لهفى وأعينهم — عطشى تحاورها وترتقب

ومنها : —

قالت لهند وهي واجمة — لك غائب أحواله عجب
مرت به في عمره محن — وله عدو ربعة ذرب
ووراءه أنثى لها ولد — إن تنأ عنه فمنك يقترب
وشموع فرح وسط منزلكم — ستضاء دون سنائها اللهب
هي نقطة أو نقطتان إذا — ذهبت سيذهب عنكم التعب

ولن أطيل الاقتباس من هذه القصيدة الطويلةالتي تبلغ نحواً من خمسين بيتاً فليقرأها القاريْ كاملة في الديوان كما يقرأ أخواتها الكثيرات ليدرك مدى القدرة الفنية التي وهبها الشاعر في الوصف والتعبير . وهذا الموضوع يجرنا إلى القول بأن شاعرنا وهو من أبرز الشعراء العموديين استطاع أن يثبت أن هذا الشعر يتسع لمختلف الموضوعات كما يتضمن

أدق الأحاسيس وأروع الفكر ولقد كان حرباً على هذا الغثاء الذي ينضح به العجزة والمقلدون باسم الشعر الحر أو الشعر الجديد والشعر منه براء . ولقد وصفهم شاعرنا في قصيدته واشتاق حيث يقول : —

وقالوا قريض يقرض القيد ملؤه فراغ عميق يحذق النثر واللفا
ومـا فرغت إلا عقـول عـوائم على السطح تهوى أن تخف كما خفا
وكان الذي شاعت ففاضت قرائـح وفاض هراء زاده جهلهم سخفـا

الشعر العاطفي : —

ولنا كلمة أخيرة عن الشعر العاطفي في الديوان وهو يمثل مجموعة ضخمة من القصائد والمقطوعات ولقد حفل هذا الشعر بألوان من الصور والأحاسيس أبدع الشاعر في وصفها وتجلت قدرته في التعبير عنها بهذا الشعر الإنساني الذي تشعر معه برجفات القلب ، وتموجات الحس الذي يصور هذه العواطف التي تغمر القلوب فتظهر أدق خفاياها ، وتجلي سرائرها استمع إليه في هذه القصيدة المطربة بعنوان أتحلاك : —

أتحـلاك في الأهـلة تنسـب ضيـاءاً بنـور عينيـك يرنـو
أتحـلاك في الخميـل وفي الروض عـلى نفسـه يـرق ويحنـو
أتحـلاك في الأصيـل الـذي ودع شمـس الضحـى حـزيناً يـئن
أتحـلاك فـي المـآقـي الـتي يـزحـم إشراقها حيـاء وفـن
أتحـلاك فـي النسـائم أنـداء ألطـافها رفيـقه منـك لحـن

وهي قصيدة طويلة يقول فيها : —

كـنت في أربـع الحجاز غريباً فالهـوى مـوطـن وعش وكن
والهـوى معـزف يغـرد للـكون فـيزهـو بالحب عيش وكـون
فاشهـدي يا سمـاء أن حيـاتي في يـد كلهـا سـلام وأمـن

ولا أريد أن أثقل على القارئ بكثرة الاقتباس والاستشهاد ولكن الذي يلفت النظر في هذا الشعر العاطفي أنه إنما يعبر عن عاطفة بريئة وأخلاق عفة كريمة والشاعر هنا إنما يعبر عن نفسه وأخلاقه فهو كما يقول الرافعي أنه يحب ولكنما معه أخلاقه ودينه والحب هو أرق العواطف الإنسانية وأقواها والشعر هو المجال الرحب للتعبير عن هذه العواطف الكريمة الجياشة بلا مراء .

شعر الرثاء :

افتقد الشاعر ابنه الوحيد الشاب حمزه ضياء الدين رجب الذي توفى في حادث سيارة وترك بعده زوجة وطفلتين هما حنين وأهداب وقد كان لهذا الحادث صداه العميق في نفس الشاعر خاصة وأنه لم يكن له من الذكور غيره ، وإن كان له أربع كريمات وقد ترك هذا الحادث الأليم في نفس الشاعر جراحاً عميقة من الأحزان إلا أنه قابل الحادث بصبر المؤمن بقضاء الله وقدره فلله ما أعطى ولله ما وهب ، ولكن النفس البشرية هي النفس البشرية فلقد كانت ذكرى العزيز الراحل لا تفارق خيال الأب الثاكل ، وإن كان يتجمل بالصبر ويكتّم الأحزان ، ولقد احتفى الشاعر بحفيدتيه اللتين خلفهما ابنه حمزه أجمل احتفاء وفيهما يقول : —

لا تسلني عــن الحنين ففــي الأهــداب أضحى كما تــراه واسمي

فهمــا الحب نشـوة وهمــا الصفـو حيـاة والـروح قلبـــا وفمـــا

وفيهما أيضاً يقول : —

همـــا عــزائي في أعقــاب داهية لم تبق غير انكساري بين أحنائي

ويهيج الحنين بالشاعر فيذكر ابنه ويقول : —

كــان مـلْ العيون ثم تــوارى وطـوته فيمــن طـوتهم لديها

ويقول أيضاً : —

أيـــن تـــلك الخطـــرات أيـــن تـــلك الخطـــوات

أيـــن تـــلك البسمـــات والعيـــون الضـاحكـات

يـــا حبيـــب القلـــب يـــا حمـــزة والخلـــد حيـــاة

أنـــت فـــي العيـن وفـــي القلـــب دعـــاء وصـــلاة

ويجيْ شهر رمضان فيقول : —

وأهــل شهــر كنت أول فــرحة فيــه تطالعني فغبـت عـلى المدى

ويمر عام فيقول : —

قــد أهــل العــام الجديد علينا يا حبيبي وأنــت تسكن لحــدك

ويجيْ العيد فيقول : —

يــا حمـــزه هـــذا العيـــد أول مـــرة أحيـــاه بؤســـا

ويحل يوم عرفه فيتذكر الشاعر فقيده الراحل وينشد : ـ

ضرعت لله والدنيا تعج به   يوما أغر رعته فيك أحداقي

ويمر عامان فيقول : ـ

يا قرة العين هذا حجنا الثاني   وأنت ناء وفي أحشائنا داني

أنها ذكرى العزيز الغائب تجددها المواسم والمناسبات وتحييها الأعياد فهي كالنار المخبوءة في القلب تتجدد ولا تنطفيْ ، وتتقد بالذكريات والأحداث .

إن رثاء شاعرنا لابنه الفقيد هو ذوب القلب الجريح والروح الآسي الحزين فلا عجب أن يستثير عبرات القاريْ وأشجانه رحم الله الشاعر وابنه الفقيد وأسبغ عليهما من رحماته في دار الخلود .

كلمة الختام : ـ

وبعد فقد طال بنا مجال القول في هذه المقدمة التي لم أكن أتصور أنها ستطول إلى هذا الحد وكلما أريد أن أختمه بها أن هذا الذي سطرته ليس دراسة لشعر هذه المجموعة وإنما هو خواطر خطرت لي أثناء قراءتي لها وأعترف أني قد استمتعت بهذه القراءة كثيراً وإني لعلى ثقة أن كثيراً من القراء سيستمتعون بها ويقدرونها قدرها كما أني آمل أن تجد هذه المجموعة الشعرية الضخمة من اهتمام الدارسين والأدباء ما تستحقه من عناية ودراسة .

وبالله التوفيق ،،،

جدة في السادس من ربيع الثاني ١٤٠٠هـ   محمد علي مغربي

زحمة العمر

تحية العاهلين

صاحِبَ القِمَّـة فى أَرضِ الحرم ... صافح القمةَ فى أَرض الهَرَمْ

والسيوفُ البِيض مِنْ تَحْت الثَّرى ... لمَعت تذْكر قُربى ورحِـم

والأُباةُ الصِّيـد من أَجداثهـا ... زأَرَت زَأْر أُسُـود فى الأَجَم

واستحَى البَين فولَّى مِثْلما ... زَحَم الصبْحُ ظَلاما فَانْزحم

ما الْتَقَى طَودٌ وطودٌ ، إنمـا ... أُمم لَاقَت على الحُب أُمَـم

إنها الفرحـةُ فى إبَّانِهـا ... أَخْصبتْ منها هِضَـاب وأَكم

ذا أَوان الخير فانْهَلِـِّى دِيمُ ... لن نَقُولَ اليوم شُدِّي يا زِيم

وأَفيقى يا مـنى وابتَسـمى ... إنه فجـرٌ جَديد قَـدْ بَسَم

الكبيران إخـاءٌ وهـوَى ... والهوى عَهْد به يحْلو القَسَم

فاكشِفا الكَرْب الذي غَشَّى الوَرى ... واقْشَعا عَنَّا دَيَاجِير الظُّـلم

العظيمان ، وأَمجـاد العُـلَى ... مَنْ بها أَحري سِوى الطَّود الأَشَم

العَمالِيـق الأُلَى شَـدُّوا على ... قبضَـة الدُّنيا إباءً وشَمم

والمغاوِير الأُلى قد بدَّلـوا ... صفحة الكَوْن بها لَيلٌ قُحم

مَنْ هُمو غير بُطُـولاتٍ إذا ... ذُكِرت يعْرُبُ جالَت فى القِمَم

مجدهُم من مجدِها تضحيةٌ وحياة واعْتِدادٌ بالقِيَم

قَادَة الأَخلاق هم قَادَتُهـا الرُّعاة الحـقُّ والموفُو الذِّمِم

أُمة العُرْب هُمُـو راياتها لم تُرعَ طول مداهَا لم تُضَم

أُمةٌ قد وصَلَتْ أَبْعـادَها لغـةٌ أُمٌّ وتاريـخ وَدَم

أَنتمو العهـد وميثاقُ المنى فاسأَلوا الدنيـا تجِبكم بِنَعم

أَيها القَلبـان فى جسم العُلَى من عُداةِ العُرب جُرْحُ ما الْتَأَم

إِننـا بين عِـرَاك صاخِبٍ إِننـا بيْن حيَـاةٍ أَو عَدَم

نِقَمٌ جَارت وطَالَت ، مَالها غيْر مَنْ يجْتاح بالعزْم النِّقَم

نازعونا حقَّنـا فى أَرضِنا واستَهَانوا بالمعـانِى والحرَم

حارَبُوا الإِيمـان فى أَعماقِنَا فإِذا هُمْ لعنَـةٌ فى كلِّ فم

أَنتمُ اليَـوم شُعـوب كُلُّها ثورَة تزْحف زحْف المُنْتقِم

لستُموا فيها سِـوي رُوَّادِها وهُمُـو ليسوا بِعُبَّـاد الصَّنَم

إِنه الحاكِم فى وُجْـدانه إِنه فِيمَن تـولَّى وَحَكَـم

مِن فِلسْـطين نـداءٌ صارِخٌ فأَجَبْنـاه جَـواب المُعْتَصِم

والشمال الحُـرُّ من إفريقْيا أَقْصِموا الظالم فيـه يَنْقَصِم

هـذه الوِحـدة هذا مجدُها فارْوِ يَا سيفُ وحـدِّثْ يا قلم

* * *

بغداد

نَهر الحوادث مطْلَب ومُراد ‏ فَتَجمَّلى وتَحَمَّلى بَغْداد
هذِي المآسى الداميـاتُ وَشَائِجٌ ‏ زَحَفت إليكِ بِسرِّهِنَّ الضَّاد
يتَلَمسونَك فى القلوب سرِيرَة ‏ وكَرًى عن الجِفن القَريحِ يُذَاد
وهَوًى يُزمجِر بالفَحيح سُعارهُ ‏ فَتَذوب من لَمَسَاتِه الأَكْبـاد
مُهَجٌ تلوك بِشَرِّها فَلَذَاتِهـا ‏ ومِن العُداةِ الأَهـلُ والأَوْلاد
حارَ النُّهى وهُـدَاته فى أُمَّة ‏ مَاذَا يُرام بأَهْلِهـا وَيُراد
الثائرون لَهَا وباسْم كِيَانها ‏ أَكلَتْهُم الأَهـواءُ والأَحْقاد
قد سَالَموا أَعـداءَها وتَنَكَّروا ‏ لرِجَالها فاندَكَّت الأَطْـواد
ومَشى الفساد إلى الفساد كأَنَّه ‏ رُكْن يُقِيم بنَـاءَهُ وعِمَاد
وتَأَنَّقـوا فى كيدهم وتفنَّنوا ‏ فتَنـدَّروا وتبجَّحُـوا وأَجَادوا
ومَشوا بِأَحرار البلاد إلى الرَّدى ‏ زُمُرا كما تترنَّح الآسَاد
إن سَاءَنَا عَسْفُ الطغاة وجَوْرُهم ‏ ومآتِم فيها لهُـم أَعْيـاد
فَلَقَد فرِحْنـا بالعَتاد عقيدة ‏ إن العقيدة للشعوب عَتَـاد

كَمْ من يدٍ للظُّلم فى أَطْوائها   نِعمٌ فأَيْن الظُّلْم والْجَلاد

إن المصاب لامة مفْؤودة   فالحِسُّ أَعمى والفؤادُ جَمَاد

لَا وَغْىَ يصرخ فى الدماءِ ولا مُنىً   تَهْفو . . ولا شَعْبٌ ولا رُوَّاد

حتى الفُتُوة فى شباب بِلادِهِ   ذَهبَت وحتى جيشُه مُنقاد

طَعِموا الفُتَات من المَوائدفارْتَضُوا   والمُتْخَمون هُمُو همو الأَوْغَاد

بغدادُ ما كَتب الخُلودَ على المَدَى   إلَّا دمٌ وعقِيدةٌ وجِهاد

الصَّدْع تُرأَبُ بالصدُّوعِ صُدُوعُه   ومن الجِراحِ لِبَعْضهن ضِمَاد

بغدادُ أَين العُرْبُ فى آلامِهم   وعلى الرُّؤوس تُعَشِّش الأَحْقاد

سَيُقَاد كلُّ الظالمين لحَتْفِهم   ومن الدَّم المطْلُول سوف يُقَاد

العُرب قد شُغِلوا بِبَعضٍ وَيْحهم   وعدُوُّهم لِشَتَاتهم رصَّاد

أَين الزعامةُ والزعامة أَصبحت   شَهَواتُ حكْمٍ ما لهُن نَفَاد

إنَّ الزَّعامةَ مَوْثِقٌ وأَمانة   لا نَزْعَةٌ ممقوتةٌ وعِنَاد

عِزُّ العروبة أَن يَسُوِّد واحد   وتَغِيب عن آفاقِنا الآحاد

دُسْتوره القرآنُ فَهْو سَبِيله   لِسِواه ليس يَلين أَو ينْقَاد

يافجرُ طَالَ دُجَاك فامْحُ ظلاَمهُ   فإذا الظلامُ وساكِنُوه رَمَاد

والركْب مُنْطلِقُ العِنَـانِ لغايةٍ كُبْري تؤلف عِقْـدَها الأَمْجاد

لِيخُوضَ معركةَ المعـاركِ حُرَّةً لله لا ذلٌّ ولا استِعْبَـــاد

حَرْب يبارِكها المَسيح وأحْمد ومن الملائِكِ فى الوَغىَ أجنَاد

وإذا الدَّمار على الدَّمار مُسَلّط لم يُجْدِ صاروخٌ ولا مِنْطَاد

ويعود « سَارِية » الجديد ملبّيا ذاك النـداء وتَنْصِت الأَطْواد

وإذا العَوَالم بالعوالم تلْتَـقِى تُطْوى لها الآمادُ والأَبْعَـاد

ألق تُشَعْشعهُ الهِداية ساطِعًـا لا يُتَّقى كُفْـر ولا إلْحَـاد

أمنٌ يمدُّ اللهُ وارفَ ظِلِّـــه ينْمُو على أعطافِه الإسْعَـاد

لا غربَ لا استعمارَ لا أشياعَه ذَهَبوا كما ذهَبَتْ ثَمودُ وعَاد

والأَرض باكَرَها الغَمام وأشْرَقَتْ وتغيَّرت فِيها رُبىً وَوِهَــاد

« صَنْعَاءُ » إن هَتَفت بها وَرْقاؤُها رَدَّت صدَي ألحانِها بغــداد

* * *

وحدة القلوب

أَرَأَيتِ كيف طَوَالع الآمال موصولَة الإِقْبَال بالإِقْبال
تَتَرَنَّح البَسَمات فوق ثُغُورها سَكْرى وأَنت خَيَالها وخَيَالى
أَلَمَحْتِنى ؟ بين المواكب مِثْلَما أَنا قَدْ لمحْتُك تخطُرِين قُبَالى
لِى نَشْوَتان فَنَشوةٌ قد أَشرَقَت فى الرُّوح والأُخْرى على أَوْصَالى
فَى وِحدة الأَلام ذُبْنَا فَتْرةً أَفلا نَذوب بِوِحدة الآمال
الله قد جَمَع القلوبَ شَمالَها لِجَنوبِها وجَنوبَها لِشَمال
وتَرَفَّقت نَسَمات مصرَ فَرفْرَفت فى الشام بين مَرابِع وظِلَال
تَحْمِلن عن (بَرَدَى) أَرقَّ نسيمه يَنْسَبْن بين سَبَاسِبٍ وتِلال
و (مَهًا) تحُوم على الموارِدِ فى الحِمَى (وموائِس) فى (الغُوطَتَين) حَوالى
حتى أَغرْن البَانَ لَسْن حَوَاذرا وزَحمْنه فى موكِب المُخْتال
يا نِيلُ «يا بَرَدَى» رُويْدا بالمنى بِطُيُوف أَحلام هناك غَوالى
يا فَرحةَ الأَلق المُشَعْشع فى الضُّحَى تَحْكي الثَّنايا نُضِّدَت بِلآلِى

سُقْيا لِعَهد كُما الخَصِيب وازهَرَتْ بِكُما مَرابعُ فرحَـةٍ ومَجَالى
يا نِيلُ هذا الحبُّ ظِـلٌّ وارِفٌ مَثَل يضُمُّ فَرَائِدَ الأَمْثَــال
إن صان فى بَرَدى الوِدَاد وحَازَه بِاليُمْن فى اليمن السَّعِيد الغَالى
فَلسَوْف يِنْتَظم العُـرُوبة كلَّها عَلَمٌ حَمَتْــه وشائِج وعَـوَالى
ولَسَوف تلتَمع النِّصَــال وتَلْتقى فى ساحةِ الأَمْجاد والأَبْطَــال
يا نِيل فى بَرَدي وفى أَعْــراقِه سِرٌّ وعَتْــه شوامِخُ الأَجْيال
ما زَالَ أَمس جهـــاده وجلاده حَيًّا حَيَـاةَ عظـائِم الأَعْمال
ولئِن أَعزَّ طرِيفَــهُ بتَلِيــدِه فَلذَاك فأْل العُرب أَطْيَب فَال
فَلْتَحْى يَعْرُبُ بعد طول سُبَاتِها ولْتَهْنَ بَعْد قَطِيعَـة بِوِصَــال
ويفوح من أَرَجِ (العقيق) و (رامةٍ) و (المُنْحَنى) و (عَذِيبها) والضَّال
أَرَجُ النبيِّ « محمدٍ » ورِحابه ورُبوعــه وصِحابهِ والآل
جَمْعُ الأَحِبَّة لم يكن بِمُحَرَّم مِثْل اتِّحاد العُرْب غيْر محـال

* * *

فَلْتَضْرعى لِله مِثْل ضَـــرَاعَتى عِنْد البُكور وروْعَـةِ الآصَال
أَن لَّا يُطول بِنا النَّوى فَقُلُوبنا لم تَحْتَمِل فى الحُب أَيَّ مطَال
رُحْمَاك يا مَنْ لا يُخَيِّب راجِيًا يا عالِمَ الأَســرارِ والأَحــوال

* * *

يا مصر

يا مصرُ يا مصرُ ما أَحْلاكِ صاحِيَةً   وصَحْوُك العذبُ وسْنَان الرُّؤى غَرِد
يا مصر تلمحُ فيكِ النفسُ حاجَتَها   من كلِّ ما تَتَشَهَّى والمُنَى جَدد
كأَنَّ روحًا من الفِردَوْس حائِمَة   أَطيافُها نَغَم أَعطافُها رَغَد
لِلماءِ فيكِ تَرَانيم مُسَهَّدَةٌ   تلوب واجدةٌ مِثْل الذي نَجِد
كذِكرياتٍ: لها عنْد الدُّجى ترةٌ   تَدْري النجومُ بها والموجُ والزَّبَد
فى كُل هاتِفة رجعٌ لِعَاطِفَةٍ   معزوفة لَمَسْتها بالحَنَان يَد
يامصر أَنت هوىً قد صِيغَ من ضَرَبٍ   الشمس تَنْهَل فيه والضُّحى يرد
والظِّل يسحب فوق الظل أَجنِحَةً   كالرَّوْح يَمْرَحُ فى أَنفاسِها الجَسَد
حتى النَّخِيل تَلَاقت وهى ذائِبَةٌ   فَلِلذَّوائب وقدٌ فيه تَبْتَرد
يا رَعْشَةً حُلْوة فى خافِقٍ رَجَفَت   أَحْناؤه فى هوىً يدْنو ويبْتَعد
ويا حنينًا تلاَقَى فى مسارِبهِ   تجْري بِهِ الرِّيح رَهْوًا والضُّحى رأَد
ذَابَ الدُّجى فى تلافيفِ السُّرى   فَهَفَت أَشِعَّة فجرِها الوسْنان مُتَّئِد
أَمَّا الأَصيل فَدَعْه انه مُهَج   من أَجلِها راح يَطْوي نَفسَه الأَمَد

المُتْعَبُون استَرَاحوا فى مشارِفِه والساهِرون على شُطْآنه رقَدُوا

والهارِبون من الصَّمت العميق إلى بوح الهوَي للضِّفاف الخُضْر قد خَلَدوا

ورُبَّ نَشْوةِ حب لا يُطارِحُهـا عَزْفٌ على العَتَبات الخُضْر مُنْفَرِد

نهوى الهديلَ على الأَمواج مصطَفِقا لا الهمسُ يظمأُ فى أَحشائِه البَرَد

يا مصر فى كُل ركن منْك زاويةٌ لِنَازِحٍ أنتِ فيها الأَهل والبَلَد

فَمَا يَملُّ غريب فِيكِ غُربتَـه حتَّى الثَّري والنسيم الحُرُّ والوَلَد

الحبُّ ساقَيْته حتى ارتَوى فَبَدتْ نوازِعُ الوِدِّ فى الأَعماق تَتَّحِد

إِنْ حاربتْنَا صُروفٌ فيك ظَالمةٌ فلن يَصِيخ إلى غِربَانِها أَحَـد

وأنت يا نِيلُ صافحْ زَمْزَمًا أبدا إنّ الهوى للهوي دينٌ ومُعْتَقَد

ليس يجدى

ليس يُجدِي اختِباؤُنا فى السِّنين منْ قَضاءٍ يَشُدُّنا للمَنُون

فالسِّنين التى نصُونُ بها العُمر هى العمر فى القضاءِ المَصُون

حسبُنا أَنه المحجَّب فى الغيب وحسْبُ الأَحْياءَ دُنْيا الفتون

حجَبَتْه الأَقدار تَمْتحن الأَقدار لا أَن تَعِيشه فى سُكُون

والقَضَاءُ المجهُول انهضُ للعَزْم التِماسًا للجوهَر المكْنُون

كالفضاءِ الممْتَد عَبْر المتاهَات أَمان تلُوحُ عَبْر الظُّنُون

حجَبَت نَبعَه السرِيَّ لِنَحْيا ظمأً لا هِنًا وراءَ المَعِين . . . .

حجَبَت كَنْزه الثَّمين فلا نُخْدع فى غيره بِكَنْز ثمين

لوْ بَدى سِرُّه ولوْ حُدِّد المِيقاتُ عِشْنا فى قُمقُم مَشْحُون

يتَحرى انْبثَاقه طافِح الغَمِّ اندِلاعًا مثل انفِجَار الأُتُون

ولَعِشْنا الموْت البَطِئَ معانِيه مَجَادِيفُهم بِغَيْر سَفِين . . .

إنَّما رَوْعةُ الخَفاءِ جَلَاءٌ كَجَلِيٍّ يلُوح غيْر مُبِين

نسَقَت فى الخِضَمِّ أَثباجُه الحُلْوة هدَّارة الصَّدى والرَّنين

فتلاقى العَزْف المُغَرد كالنجوى بِلَحْن الأَسى وَرَجْع الأَنِين

واستمد النظام من زَحْمة الفَوْضى أُصولَ البقَاءِ والتَّكْوين

وتَلوى الدجى وقد سَرَق الشمْس فَضَلت فى مَعْمعانِ الدَّجُون

ثم ثارتْ على الظلام بِزَحْفٍ سَمْهَري اللَّظى عميق الطُّعُون

حَالَةٌ بعد حالة ونَهارٌ بَعد لَيْل مُوَهَّج التَّلوين

بيْن معنًى وضِدِّه فى ائتِلاف واختِلافٍ وضجَّة وسُكُون

وو كون تَؤُودُها فُرقة الطَّيرِ وتفنى الطُّيُور دُون الوُكُون

وجَديب مع القَطِين خَصِيب وخَصِيب يَذْوي بِغَير قَطِين

كُلُّ ما فى الوُجُود صَفَّقَهُ المجْهول خمرا تَشَعْشَعت فى العُيون

ليس فى طَيِّه ادِّكَارُ فَنَاءٍ بل صَدى للخُلُود والتَّمكين

أَهْبَة بعْد أهبة فى امتِدَاد لِحَياة على لِقَاء حَنُون

راق معنى وخفَّ حِمْلاً فلا زاد ولا ماءَ فوق رَحْل الظَّعِين

عِنْد من يَمْنح القِرى مَنْ نَداه . . غيرَ ذِي غُصَّة ولا مَمْنون

قد حيِينا « اثنَتَيْن » أعمار آبائنا وأعمارنا وراءَ السِّنين

والحياة الحياة تَنْبض فِينا ثُمَّ تَجْري من بَعْدِنا فى البَنِيــن
ورثوها مواهِبًا نامِيَات   وامِضَات وَمْض السَّنَا فى العُيُــون

* * *

قالَ لِى صاحِبي وقد فَاجأْتُه مِنْ حَدِيثى خُرَافَةُ « الحَيْزَبُون »
قد رفَعْت الحياة مِنْ حيثُ شَوَّهْت رُوَّاها بِكُل خَفْض مَهِين
وسَكَبْت الجُنون أَشْهَى مِن الرَّاح عليها فى عَبْقري الفُنون
قُلْت يا صَاحِ لا تُرع كَمْ من عظيم قَدْ تَسامى بِحِكْمة المَجْنون
وحَصِيف جَثَا على رُكْبَتَيْه   بيْن قَدْم مَخَبَّــطٍ مَأْفُــون
وكِعَاب كأَنَّها خوطُ بَانٍ   زاحَمَتْهــا شَمْطَــاءُ فى التِّسْعِيــن
سلَبتْهــا فُتُونها وصِبــاها   ورمتْهــا بِعــاهةِ التَّغْضِيــن
ذلك الوَزْن للحياة على الفِتْنَة أَدرى به غــلاةُ المُجُــون
ليسَ من شأْنِها الــكمال كَمَا نَهْوى ولا طَبْعُها الْتِئَام الشُّئُون
فَجَدِيب يلُوح بَعْد خَصِيب   وسُهول موصــولة بحــزون
ويَمِينٌ قد نَازَعَتْها شِمَال   وشِمَال تَريغ سَلْــب يَمِيــن
وضَنِينٌ من صلْب سمْحٍ سَخِي   وسخيٌّ من عرق كَزٍّ ضَنِين
وأَمِين يجنى عليه خَؤُونٌ   ثُمَّ يحْيَا على حطام الأَمِيــن

وطويل النِّجاد تُعْجِزه اللُّقْمة مبْذولة بِخَفْـض الجَبِيـــن

وضَنِين بِسُهْده وضَنَـاه عن خلي ينام ملءَ الجُفُـــون

لو خَلاَ العمر والحَياة من الأَضداد باهَى طَلِيقُها بالسَّجِين

فلتكُن مِثْل ما تكون فلَيست غيْر ظَهْر مُحمَّل بالدُّيُــون

انهــا ذلك المحط لِعُمْر نَتَرجَّـاه بعْدها فى حنِيــــن

قَدْ نَحرنا شَيْطانها واستَرحْنا من عدُوٍّ شا كِي السِّلاح لَعِين

فلْتَهُن عِندك الحياةُ بِلا مَسْعَى جَمِيلٍ كالمَرْمر المَسْنُــون

إنها صَعبة المِرَاس حَرُون ذات حَدَّيْن من جَهـام ولِيــن

تَتَحدي الأَبِىَّ لا يَقْبل الضَّيْم وتُلْقى سِلاحَهـا للـدُّون

انمــا تَصْنع الـكَرامَةَ نَفْسٌ حُرَّةٌ قد أَبَت حيَـاةَ الهُـون

فلْتَقُل للحيـاةِ ثانِية العطْفِ خُذِينى بِمَبـدئِى أو دَعِيـنى

ليل وهول

وليلٍ كَجَوفِ الضغْن دُكن سُجُوفه ... رَمَتنى به طخياءُ غَوْر قَرارُها

مؤرَّقَــةٌ فيه الصُّقُــور كأَنها ... حَمائِم أَيْكٍ شطَّ عَنْها مَزَارُها

مُعَرقة أَشطانُه وهى أَنْجُــم ... يَدُور عليها حيث دارت مَدارُها

تُعاوِدها فى صَحْوة بَعْد صَحْوةٍ ... طُيوفٌ من الذِّكْرى يَطول ادِّكارُها

ترامق هُجَّاع الحمى لاَ يُروعُهم ... سِوي لَفتَات الغِيد ومضُ نِفَارُها

وإلا ثنيَّات العَقِيق تَرَاوحتْ ... عليها هَتُون لاَ يكُف قِطَارُهــا

سَرَيْتِ به لا أَتَّقِى فى فِجاجــه ... كَواسِر هَدَّانِى إِليها زُوارُهــا

ولا دمْدمات الهوج حمقاءَ أعولت ... يُصارِح أَطواءَ القِفار سِرارُهــا

ولا مِنْ زَفِيف الجن أَصداءُ رُكِّبت ... عليها رؤُوُس مُسْتطير شِرَارُهــا

ولا عَرْبَدَاتُ الساخِرين تَرَاقَصوا ... على ابنة حَانٍ : بِرَبْري عُقارها

ولا شَمَخَات الطَّائلين على النُّهى ... بِتِلك المُدى لا تستريح شِفَارُها

ولا بِحُقود الحاقدين غوائراً ... لها نَتَنٌ أَغْفَى عليه سِعارُهــا

أَتاحَ لهم غَفْو الزمان ومَهْلُــه ... مَوَاطِئُ شرٍّ لا يهــون اغْتِفَارُها

فَصَالُوا وجَالُوا مُشْرَعاتٍ نِصَالهم ... يَرُوح ويغدو فى الرقاب دمَارُها

تُحرِّكها منهم نُفُــوس فَقِيرة　　يطول على مرِّ الزمان افتِقَارُهــا

فلا السُّحْتُ ملاَّءُ النفوس لُجيْنه　　ولا جَوْلات الزورُ مغْن نُضارُها

ولكنها الويْلات عقم عَطَاؤُهــا　　يزُول ويبْقى عارُها وشَنَارُهــا

أَجَلْ إنَّنى يا ليل مِثلُكَ رابِـع　　على النَّفْس حتى يَلْحَق الثَّارَ ثارُها

فما روَّعتْنى فيك إلاَّ غَوافِــل　　يجُوز عليها تَحْت سِترِك جَارُها

وإلاَّ أَيَامَى مسَّهن بِكَرْبِــــه　　دُعاة بَلاءٍ نَمَّ عنها بُخَارُهـــا

أقاموا على تلك المآتِم بَيْننــا　　مخابى أَعْراس : ظَلام نَهارُهــا

وشادُوا على أَنقاضِ مجْد مُرَفَّل　　من الوهْم أَمجاداً يَرُوع انهِيَارُها

فَنَاءٌ وشِيك كالفُواق ولَيْتَــه　　على غَيْر أَيْدٍ لطَّخ الكونَ عارُها

ويالَيْتها أَيدي المظاليم أَدركَــت　　مَآرب أَعْيَا : الجابرين انكِسَارُها

سَمِعتك : فاربْع والصَّدى منك هَمسه　　صُراخ وأَسْرار الثَّكَالَى جِهَارُها

سمعتك : من لحْن الأَسى من زَفيفه　　من الهَدْأَةِ البَكْماء رَطْن حِوارُها

لقدضِقْت بالنجوى وضقتُ من السُّرى　　كَماعَاف ركض البِيدِ فِيهاحرَارُها

فديْتُك لوْ نام الدجى نوْمة الكَرَى　　لأَصحرت الدنيا وجَفَّتْ بِحارها

فدعها تنَم هذِي المعالم كلُّهــا　　ويتبعْ حُطام الأَرض فِيها عَمَارُها

وتحْيا هُنَاك الروح بين عَوالِمٍ　　من الحُسْن مَحْيَّاها من النورنَارُها

يُؤَرِّجُها طِيب القُلوب كأَنـــه   مُنَاها وبين الجنَّتَيْن سِفارُهــا

تَطُوف علينا بالكؤُوس مراشِف   معتَّقَة أَما الجَنَا فَثِمَارُهـــــا

كواعِب أَتْرابًا عليها غَلاَئِـــل   من النور فَضْفاضا عَلَيْها دِثَارُها

فلا لَغْوٌ لا تـأْثِيم لا عنجهية   ولا جفوةٌ يُظمِي النفوس أَوارُها

أَلا انه الخُلْد المقيم وحسبُنَـــا ،   رياض من الرِّضْوان يشْدو هزَارها

نهجنا

جبلٌ شامخ له ذِرْوتـان نهجنَـا هلْ تصدُّنا الذِّرْوَتانِ

أنا لا أَسْترِيح للقَصْف والحطْم فَخَيرٌ أَنْ تَثْبُت الذِّرْوتـان

ثم نمْشِي إليهما فى دَبِيبٍ كَدَبِيبِ النِّمَال بَيْن الرِّعان

وإذا طال فى الزمان سُرَانـا وانْتَهَيْنَا إلى بلُوغ الأَمـانى

وافْتَرشْنا الذُّري وما آدنا المسعى ولاحَتْ فوق الذُّري « المَرْوَتان »

وصنَعْنا فوق الذُّري قِمَّتَيْ مَجْدٍ طريفٍ : من فوقها قِمَّتـان

فَلْنَقُلْ يا زمـان حدِّث وياتاريخ فاكْتُـب والخُلْـدُ للأَوْطان

أفراح الجزائر

لا تـأْسَ فالأَحْداث إرْهَـاصٌ بِمَا خَلْفَ الغُيُـوم

وتلُفٌّ من قُدَّامِـه وَوَرائه فِـتَنٌ تَحُـوم

ومهـازِلٌ تَحْتـل فى الأَفْلاك مَنْزِلَة النُّجـوم

وعظَائِم تَغْفـو على الجُلَّى كما غَفَت الحُلوم

لا تـأْسَ فالخَير العَميم بَشِيرُهُ الـكرب العَمِيم

هذِي الرَّزايا السُّودِ تعبَثُ بالقلوب وبالجسُوم

وتُغير آونةً على الأَرْواح تَفْتِك بالسمُـوم

وعَلَى المعانى الضاحياتِ تَشِـعٌّ فى أَلَقِ الفُهوم

فَتُغَلِّف الآمـالَ والأَفـراح غَاشِيَةُ الهُمُـوم

والباطل المَشْؤُوم يَمْرح بَيْن أَعْطَافِ الظَّلـوم

* * *

يَلْقَى الرِّعاية فى حِماه وظِله الحانِى الرؤُوم

يا قلب قُـلْ لليل مَا عِفْنـا دُجَـاك المُسْتَـديم

أَبدًا ولا صمتُ الحياةِ كَصمْت سكّان الرَّجِيم

* * *

فَالليل تُطْرِب فيه آهاتُ الـكليمَة والكَلِيم

وتَطِيب بيْن سكونه نَجْوى النَّديم إلى النَّديم

أمَّا الصباحُ فإنه أُسْطُورةُ العهْد القـديم

* * *

أيام كان الفجرُ يقْطُر بالشذَى لا يَسْتَهِيم

كانت تَهِيم به السَّعادةُ حيثُ كان بها يَهِيم

والحب ينْضَح فى القُلُوب من الحميم إلى الحميم

كانت معانِيه الحِسَان كَخُوده ما إن تَـريم

المجد يعلُو فى الرِّحاب البِيضِ عدْوًا كالظَّلـيم

يرْوي السَّحابُ إلى السحابِ صَدَى المكَارِم فى الكَرِيم

يحْنو الكريم على الكريم حَنْوَ اللَّئيم على اللئيم

* * *

الحِسُّ ينطِق فى الصَّباحةِ كالدَّمامةِ فى الدَّمِيم

يا قلب فِيك الصَّولَجان بِرَغْم شَنْشَنَـةِ الرَّغيم

أنْظر لأَفراح الجزائر فى الثُّغور وفى التُّخُوم
فى الكون فى عُلْيا المنازِل فى القِباب وفى السَّديم
فى العالَم العُلْوِيِّ تَاه اليوم فى المَلَأ العظيم
فى المسلمين وأَنه المجد المرَفَّل فى الصَّميم

* * *

مَنَحُوه أَرواح الشهادة فى الصِّراط المستقيم
هذا هو المجد الزعيم يَضِجُّ فى روح الزَّعِيم
عاش الدَّم الصافى ولا عاشَ المُخدِّر والنَّؤُوم

* * *

أَلق الجحيم على المعارك قَد تَلأْلأَ فى النَّعيم
والقُنَّعُ الأَحْياءُ كالمَوْتَى لهم خُلْد الجحيم

عيد الثورة

وفِتْيَةٌ خَضْخضوا الأَمجاد ثائِرةً ... لِلَّه ما أَضْرموا لله ما وَقَـدُوا

جارَتْ عليهم عَوادِي الجَوْر فانتَفَضُوا ... ولن يُطَأْطِيءَ فى آجامِه الأَسَدُ

مَواطن العزِّ .إلاَّ مِنْهُمُ جَـدَبٌ ... وآصِرات العُلَا فى غَيْرهم بَدَدُ

ثَاروا ومَا كَان إلا الحِسُّ رائِدهم ... وأُمةٌ نَفْسها فى نفسهم وَجَدُوا

وما يُجَمجم بالآلام فارِسُهـا ... إلاَّ وتَلْقَفُه آمالها الجُـدَد

حيًّا دَماً زمجرت فِينَا نَوَابِضُه ... دَمٌ يُقَهقه فى شِرْيانهم غُرُد

والعسْرُ كاليُسر للأَوطان جامِعة ... الله يَشْهـد والتاريخُ والأَمَـد

وللزَّعامة فى آفاقِ عَالَمِهـا ... دُنْيا بِما ولَدَت دنيا بما تَلِد

والبارِق السَّمْح تَتْلوه بَوَارِقُـه ... ومَنْ دَنَوْا شَرعٌ فيه ومن بعدوا

لا تحسَبُوه بَعيدا إنه أَمَـمٌ ... فقد تَلَمْلم شَمْل العُرب واتَّحَدوا

هذِي الرُّؤوس اشرأَبت فى أَماكنها ... ولن يعوِّقَها عن نَهْجِها أَحـد

التابِعو الفِكرةِ الشَّماء يلهبهم ... شعاعها مِثْل مَنْ شَدُّوا ومَنْ عَقَـدوا

قد استوى فى مَجَال الموْت مُقْتحِم ... وثَائر فى مَجَال الفِكْر مضْطَهد

عليهما قامت الأَمْجَادُ واعْتَرَكَت   هما السَّبِيل لِمَنْ يمْضى ومَنْ يَفِد

ما عُدْت أَخشى على الأَكْبادنافِذَة   مِنَ السموم ولا الحِقْد الذي حَقَدوا

ولست أَرهَب من أَعْمى بصائرهم   عنِ الشُّعوب هوى قد عافَه الرُّشَدُ

ضَرَاوة الحكم هامُوا فى مَبَاذِلِها   ولِلمطَامِع فى أَرْبابِهـا عَبَـدُوا

ولم يُطِيقوا الشَّذي والكون منطَلِق   حريَّة قد فَدَاها الرُّوح والجَسَد

زادَتْ جراح العُلا فيهِم ومن أَسَفٍ   ما كُلُّ جُرحٍ على الأَيَّام يَنْضَمِد

ولن يَدُوم لَهُم جوٌ ولا أُفُـقٌ   يبقَى الصُّراح ويفْنَى الغَثُّ والزَّبَد

يَا لَيْتهم أَخَذُوا للأَمر عُدَّتَـه   أَو للكَواكِب فى أَفلاكها رَصَدوا

جناحان

جَنَاحَانِ يا ليلى مَهِيضٌ وعاثِــرٌ ... وجِفْنان يا ليلى أسِير وآسِــر

هُما الحسُّ بين القلب يخفق والنُّهى ... يَلُوب وبين الظِّل والظل ساتِر

تـألَّق فى أصفادِه ثم رَفْرقت ... قوادِمُه والطَّرْف غَيْمان حائــر

ولكنه القَيْدُ الحبيب تَخَالُــه ... مَعاصِم حُسْن طوَّقتْها الأَساور

دعِيه ولا تخشىْ عليه انطِلاقه ... فإن انطلاقَ الرُّوح فى الحب قاهر

دعيه يحلِّق كالفَراشَةِ هائِما ... فــكل شَذًى فى عينه مِنكِ زاهِر

دعيه يطُفْ بين الزَّنابِق فى الرُّبى ... فَطَيْفُك يا ليلى مَزُور وزائــر

ولا تحرِميه مِنْك فى كلِّ نفحةٍ ... تَطُل بها من ناظِرَيْك البَشَائر

فأَنتِ له الكون المجنَّحُ والرُّؤَى ... مُعبِّرة والقلب كالحب طائر

يراكِ مع الفجر المغَرِّد لحنَــه ... وتـحْضُنُه أنفاسُه والأَزاهِــر

وتَسْبح فى أَعماقِه منكِ نَشوةٌ ... وتَصْدح بالهَمْس النديِّ الخَواطِرُ

ويهتِف بالنجوى حَنين مُخَامِر ... ويسْرَح بالشكوى وجِيبٌ مُسَاوِر

لكِ العتْبُ فالقلبُ الشَّجِي أَمَانُهُ ... عذَابٌ ويحْمِيه الأَمانُ المُحَاذر

دعِيه فما بين الدجى وعُيُونِــه ... سِوي غائب لكنه فيكِ حاضِر

وفى الشُّهْبِ لوتَدْرِين ياليلى رَوَاصِد ... يُراوِحُها مِنْك الشَّذى ويُبَاكــر

تَمَاوج فيها عَسْجد مُتهدِّل ... وبين حواشِيه ترف الغَدَائــر

يقولون ياليلى هوى الغِيدِ نَظْرةٌ ... تَذُوب المآقى عِنْدهــا والمحاجر

وأَوْهَام «غيرى» تَذْرَع الخَطْوإثره ... دِرَاكًا فلا تَسْطُو عليه الجآزر

وَمَا الحب إلا عِصمة مَدَّ ظِلُّها ... صِراع عنيف أَلْهَبته المَشَاعر

وما الحب إلا نفحة قُدْسِيَّــةٌ ... رَعَتْها عُيون حُرَّة وضَمَائـــر

رَوافِدها فوق السحاب ونَبْعُهــا ... مصابيح ضَاءَت فى حَشَاها السَّرائر

وأَصداءُ حِسٌّ عبقري تَنَفَّست ... مَعَانيه فى لَحْن حكَتْه الزَّوافر

وأَطْياف أَحلام حِسَان كأَنَّها ... سحائب مُزْن واكفات مَوَاطِر

ودُنْيا مَغَانِيها حياةٌ تراقَصَتْ ... أَوائِلهــا مسحــورة والأَوَاخر

وتعرش فى أَكْنَافِها أَو ظِلالِها ... وشَائِج رجمى أَخْصَبَت وأَواصِر

وقالوا جَحِيم قلتُ مَرْحى عَرفْتُه ... فَرُبَّ نعيمٍ فى اللَّظَى يَتَقَاطـر

وقالوا ضَلال قلت والقول آفةٌ ... إذا زاغَتْ الأَبصار تُجْلَى البَصَائر

فَكَمْ من هُدًى قد غَلَّفته مساوِيءُ ... و كَمْ مِن ضلال حَجَّبته مَظَاهِر

وَمَهْما يَطُل عهد بِحال وضِدِّه فللّه يا ليلى تَصير المَصَائر

إذا أَنْتِ أَطْلَقْت المشاعرَ حُرَّة صَفَا لَكِ مُرتابٌ وصفَّق غَادر

وإن أَنْتِ أَعْطَيتِ الوِدَادَ سجِية تَحاشَاك مفؤُودُ وحيَّاكِ ثائِر

فلا تحمِلى الصَّب الذي تعرفِينَه على غير ما تَهْوى اللُيُوثُ الكَواسِر

ولا تجعَليه ظاهِرا غير باطِنٍ فَكَم باطِنٍ صعْبٍ يُغطِّيه ظاهر

ورُبَّ يَرَاعٍ أَرسل الشَّدْو إنَّما تَضِج بمكْتُوم اليَرَاعِ المَحَابر

فَهَا أَنْت يا ليلى دَعِيه محلِّقًا يَؤُبْ وجَنَاحَاه هُدى وشَعَائِر

وقولى له آمنت أَنَّك شاعِر وآمنْت أن لاَ يأْلَفُ القَيْدَ شاعر

أغنية زمزم و «أريس»

هل رَشَفْتَ المُـزْن رشْفًـا   ثـم حلَّيْتَ بِزَمــزم
صفَقُـــــوها بأَريس   وسَــرَى البــدر المُلَثَّم
بِشُعاعٍ يتلَعثم مِن رضابِك

* * *

أنتِ يا مُزْنَــة طَيْــفٌ   لـؤلُـؤِيٌّ يتَثَــنَّى
أنتِ يا مزنــةُ لحْــنٌ   عَسْجَــدِيٌّ يتَغَــنَّى
والسَّنَا يُومِض وَهْنًا فى شَبابِك

* * *

رقَــصَ الحــب ولكــن   رقصــةَ الصبِ الجريحِ
زَحَـف الليــل عليــه   فى غبُــوق وصَبُـوح
فَتَلَـوَّى كالطَلَيِّح فى عُبابِك

* * *

المغَانِى في ظِلالِكْ كالمعانى في خَيالِك
أنا لا أرجو وِصَالًا فالْمنى دونَ وِصالك
خطرة تكْفى ببَالِك
من سَرَابِك

يا مَهَاةً خطَرت في رَبْرَبِ ذَوِّبى ما شِئْت قلبى ذَوِّبِى
أنا أَهْوى لَفْتَةَ الحرِّ الأَبِى بِأَبى افْدِي مَهَاتِى بأَبى
لا تُراعى .. لا تَخَافى فالمنىٰ
برِحابِك

* * *

أننى أعشِقُ وهمَ الواهِمِين فشُكُوك الغِيد مفتاح اليَقِين
والهوي العذبُ شَقَاءٌ وأَنين ومنى تَرْكُض أَثر النَّافِرين
رُبَّ شدْوٍ من أَنين الوالِهِين
في رِكابِك

* * *

أنا أهوي الظَّبيَ مُخْتالًا شرودًا مثْلَما يُعجبُنى المعنى الشَّرُود
فَالْفَلا أَوسعُ من قلب العَمِيد والهَوى فَوْق قُيودٍ وحُدُود

مِنْ قَــرِيــبٍ أَو بعيــد

فى سَحابِك

* * *

والهوي أَحلاه حدْسُ الخاطِر حِينَمَا يبــدو كَوَهم الشاعر

فى الرُّبى مثــل جنــاحى

فى طِلابِك

* * *

في ربوع المدينة

بيْن سَلْع وقبا   من مجالَىْ يَثْرِبِ
قد مَشَينا الهَيْدَبى   سَبْسَبًا في سَبْسَب
صَفَّقت أَيامُنا
شَعْشَعت أَحْلامنا

* * *

بَيْن أَحْضان العقيقِ   من شُرُوق لغُروبِ
كَمْ رُوِينا من رحيقِ   بَيْن كأْسٍ وحبيبِ
والمُنَى في ظِلِّنا
نَهْلُها من نَهْلِنا

* * *

والغَوَالى في العَوالِى   يَنْفح العِطْر شَذَاها
وظُبَاها في المَعالى   هَدْهدَت سحر ظِباها
فَسَل الجِذْع وَرامة
والمُصَلَّى والغَمَامة

والشَّــذى في أُحُــدٍ مِنْ عَبيــر الشُّهَــداءْ
عِظَــــةٌ للأَبَـــــد في مَجَــالات الفِــداءْ
فَلْنُعَظِّــم قَــدْرها
ولْنُمَجِّـــد ذِكــرها

وصَلَت مجـدَ حـراءِ في رُبَى البيت العتيقِ
وجلَت نــور السمــاءِ في محيـــاهُ الطَّليــقِ
أَحمــدٌ خيــر البريـــة
بالمعــــانى العبــقريَّة

* * *

الهــوى السَّمْــح هواهَا من صَبَا نجـد الشــذيِّ
والحميـــــا شَفَتَــاها في بُكـــور وعَــشِيِّ
إنهـــا نَخْــبُ اليمامة
في عَسِيـــــر وتِهامة

* * *

ربَّــة القِــدْحِ المعلَّى فَسَلُــوا قَيْسًــا وليلى

واخضِــرار النفس أَغْلَى مِن خَصِيب عَادَ مَحْــلا

فَلْتقــولى يا بِلادي للعُــلا أَهْــلا وسَهــلا

إنــه مجــدُ بــلادي

فــوق أوهــامِ الأَعادِي

* * *

قيمة الشعب

من قصيدة كنت نظمتها بمناسبة خاصة جميلة . فأحببت أن أقدمها لقراء المدينة بدلا من حديثى الأسبوعى الذي حالت دون نشره ظروف الجريدة عام ١٣٥٣ هـ .

قِيمَة الشعب فى ارتِقاءِ رِجالِه ... ذِرْوة الفضْل عن طَرِيق فَعَالِه

وابتهـاجُ الحيـاةِ فيه دليلٌ ... إنَّ للشعب (قَادَةً) من رِجالِه

علَّمتْنـا حوَادث الدَّهر قِدَما ... أن سِرَّ الحيـاةِ فى أَجْيـالِه

وغدًا يكشِف الزَّمانُ ستَـارا ... عن بَنِى العصْر فى عَظِيم مَجالِه

وجُهـود المغذِّ فى السَّيْر تُدْنى ... من بَعِيـدِ المُنى عزيزَ مَنَالِه

والمغاوِيرُ فى البِـلادِ إذا مَا ... حاوَلوا النَّفْع وُفِّقُوا لِنَوالِه

وذَوُو الرأي والحَصَافة إن هُمُ ... حَصَّنـوا الرَّأي وُفِّقوا لاكْتِماله

والحجازُ الحجازُ جِدٌّ خَليقٍ ... بِرِجال تفكيـرُهُم فى مآلِه

والحجازُ الحجازُ غايَتُـه القُصـوى رِجال تَضَـافَروا فى مَجالِه

لم يُريدوا إغفـــاءة تَـدَع الشعْـــــبَ خِداجًا والأَمْر فى جُهَالِه

فَلَقَـد شاهَدوا الْتِواءَ أَمانيــــــه وسوءَ الكَثيرِ من أَحْوالِه

حِينما أَظْلَمت فِجـاجٌ وسُدَّت سُبُل الخير فى وجُوهِ رجاله

وتَبَارت معاوِلُ الهـدْم تَسْعى لاجْتثَاثِ النعيم واستِئْصالِه

فَغَدا البعْض فى رِياض الأَمانى وغَدَا البعضُ سابِحًا فى خيالِه

وفَرِيق شاءَ الخُمُول وضَـحَّى بالجَسـيم العَظِيم من مآلِه

ولَعمْـري هذا الحِجاز حفىٌّ ولَدَيه كَرامـة فى خِصالِه

وبَنـوه إن ساءَلوا العُنْصر الحَـــــيِّ وكَنْز الخُـلود فى أَعْمَالِه

جَاوَبَتْهم أَصْدَاء مجدٍ عميـقٍ يسْتفِزُّ الحنين فى تَجْوالِه

وتَرَاءَى لهـم مـلاكُ بَهـاءٍ عبْقـري فى حُسنِه وجمالِه

مِلْؤُه الفضل والسماحة والنُّبْـــــلُ مقيما والسعد فى تِرْحالِه

وحفافاه شُعْـلة مِنْ رجـاء تُبْصِر النور ساطعا من حِيالِه

يتغَنَّى بمجـده السالِفِ العهْـــــد ويُبْدي تلعثُمًا فى مقَالِه

ينشـد المجْد فى خِصالِ زعيمِ العُرْب فَخْرِ الزمان دُرَّةَ آلـه

فاكرم به عبد العزيز موفقاً

القصيدة القيمة التى ألقاها الأستاذ ضياءُ الدين رجب فى حفلة تكريم (الدكتور الخاشقجى) التى أقَامتها جريدة المدينة المنورة :

ذَرِينى أُغامِر فى مجال العَـزَائم | ولو كُنت فيها عُرضةً للصَّوارم
فَما المرءُ إلَّا غمرة بعد غَمْرةٍ | يصافِحُ فيها عبقـريَّ المكَارِم
دَعتنى المعالى فاستجَبْتُ نداءَها | بموقفِ عزٍّ حافِلٍ بالمغَـانِم
فأَقْدمْت يحْدُونى رجاءٌ مُجنَّح | وخلَّفْت دُونى راغِمًا بعد راغِم
وما النفس إلا حيْث تَرتقِب المنى | وما القلب إلَّا حيث ركْضُ العزَائم
تُجاوُبَ أَصدَاءٍ وتَرْديدَ هاتِفٍ | يؤُوب بِراضٍ ثم يغـدو بِنَاقِم
وإِنَّ حياةَ العِزِّ صعْب مِراسُهـا | إذا لم تُزَوَّد فى الحيـاة بِقائِم
وإن حياة العز صعْبمنَالُهـا | إذا رام فيها نَائِمٌ نصْـرَ نائِم
وإن حياة العز جدٌّ بعيـــدةٍ | إذا عاش فيها أَهلُها كالسَّوائم

ولكنَّ قوما جاشَ بالنفس منْهمُو صَليلُ سُيوف فى الوغى والملَاحِم

وهَاج بِهم عزْم ثَؤُورٌ إلى العُلا وهانَت عليهم عاصِيَات الجَماجِم

أولئك يلْقــوْنَ الحياة رضِيَّة وتُشْرق فيهم طَامِسات المعالِم

فَمرْحَى بآمالِ البــلادِ وَشَعْبِها ومَرْحى بأَبْناء البــلادِ الضَّراغِم

أفَاءَ عليهم مُلْكه من ظِلالِه مفَاخِر تَزْهُو فى أجلِّ العــواصِم

به قدَّروا العِلم الصَّحيح وبرْهَنوا على سعْيِهم للمكْرُمات الجسَائم

فأَكْرِم به عبد العزيز موفَّقًا جَليل المَسَاعى فى طِلَابِ العَظَائم

ألا تَزْدهي فيها بِعَصر مُنَوَّر يفيض على أبنــائه بالنَّعَائم

تلوح عليه ساطِعــات كأَنَّما تقلَّد حقًّا بالثُّغــور البَوَاسِم

تَبلَّج نورُ العلم وضَّاءَ بيْنهم على لا حبٍ سَهْل وضِيء المعَالم

على حافَيَتْــه للنُّبــوغ مظاهِر وفى راحتَيْــه صُورة للكَرَائم

بِدَار الهدى من شُرِّفت بِرسولها إمام الهدى رمْز التُّقى فى العوالم

تُكَرِّم روحا شاقها الفضل فاغْتَذت بأَلْبَانه حتى سَمَت للعَظَــائم

تَرامَتْ مع الأَيام حتى تَقَاصرَت بِعزم شَبابٍ فائرِ العــزْم فَاحِم

أرادَ فلم يهْزَل وجَدَّ فلم يَهُــن وجاهَدَ لمَّا ينتظِر عَطْف زاحِم

تغَرَّبَ عن أهل وفارَق موطِنًا فآبَ وقُورا غانِما أيَّ غانِـم

فأَثْنى عليه المجدُ والفَضْلُ جُهْدَه وشاد صرُوحا عالِياتِ الدَّعائِم

وإنَّ بـلادا أكرَمتْـه لِشَأنه وعادَت به تَشْدوا كَشَدْو الحمائم

وقد لَمَست منه الحيـاة ورُوحها بِفَنٍّ عزِيزٍ ناله خَيْـرُ حازِم

فلم تَأْت إلا واجِبًا كان دُونه فَذلِك رمْز للسُّـراة الأَعاظِـم

رأَتْك الأَمانِيُّ العِـذاب مُحَمَّدا فَوافَتْ تُحيِّي قادِما تِلْو قادِم

كأَنَّك فيها باقَةٌ قد تَفتَّحَتْ عن الأُقْحُوان الغضِّ أجْمَل باسِم

نُرِيدُك تِمثالَ الفَخَـار ورمْزَه ونَرْجوك عُنْوانَ الطبيب المُسَالم

لِتَكشف عنها بالأَشعَّة داءَهَا وتُذْهبَ عنها مُغْرِيات الطَّلَاسم

فَلَيس لِشعب فى البلاد تفاخُرٌ إذا لم يُفاخِر فى طبيب وعالِم

فأَعظِمْ به حفْلًا تَسـامَى بَهاؤه بِسعْد أميرٍ قامِـعٍ للمَظَـالم

دَؤُوب على خَيْر البلاد وأَهلِها كريمٌ نبيل جامِـع للمَكَارم

يُرِينـا محيَّاهُ السمَاحَ كأَنَّما يُرِينا الغوَادي هاطِلَات الغَمائم

صَلَاةٌ من المولى لِأَكْرم خَلْقِه تَلوح كما لاحَتْ بُدور التَّمائم

* * *

نشرت هذه القصيدة بالعدد (٦٩) تاريخ ٨ رمضان سنة ١٣٥٧هـ

خلود البطل

مهداة : إلى روح سمو الأمير الصديق عبد الكريم الخطابى : رحمه الله

قد سابقَتْه إلى الرَّدَى أمجادُه فتألَّقَتْ آمالُه من بَعْده

وأبىَ عليه إباؤُه أن يَفتدي وهو الفِداءُ بِعُمره وبِمَجْده

شأْنُ العظيم يعيش مِلءَ حياته وإذا قَضى طَاب الخُلود بِخُلْده

ما عاش زَهْوًا بالبقاءِ وإنّما زَهْوُ الحُسَام بِحَدِّه وفِرنْده

لم يَسْتَبِح لما أضاف طَريفه لِتليدِه حتى ذُبالة جُهْده

واستَلْهم التاريخ سِرَّ بقائه مُتأَهِّبًا كالمشرفىِّ بِغِمْده

ما نَابَه أسفُ على ما فَاتَه بل أَوْدَع الأيام حَسْرةَ فَقْده

ما حاسَب الأيام فى خَطَواتِها لِيَظَل فى أَسْرِ الكِفاح وقَيْده

ضنَّ الكريم وما يضِن وإنَّما أَلْوَي به شُحُّ الزمان بِنِده

المجد أَشْرَق فى لفائِفِ مَهْدِه فَمشَى خَدِينَ وفاتِه فى لَحْده

وتلفَّت التاريخ بعدُ فلم يَجِد إلَّاه فى تَبْرِيحِه أو سُهْده

فى موكِب الأَحْداث كيف تَصارعت | فى فَقْده كصِراعها فى وجْده
وهَفَا لاصْداءِ الحياة مُطِلَّة | من رُوحه عَزَماتُه فى جُنْده
تَنْهلُّ فى الدنيا سواكبُ فَيْضِه | وتهِلُّ بالرُّحمى سحائب رِفْده
وخَلَائِق المجد الأَصيل شمائِلٌ | تَصل الحياةَ بِحظِّه وبِسعْده
وتَشِعُّ إشْعاع الهدي فى موطن | غَذَّاه من دمه الزَّكيِّ وشُهْده
ونماه يشرُف أَصله مِنْ فَرْعِه | شَرف الفَخُور بأَصْله وبِجده
وعلَى العظائم فى العظيم دلائِل | سطَعتْ لِتُشْرِق بعْده فى ضِدِّه
أَغْنَتْ عن التمثال ينصب بعده | مُثُلٌ تَشِيد بِشُكْره وبِحمْده
ومِنَ الرجال صُويً على طول المدى | تَهدي لأَقْوم مَنْهج واسدِّه
تسمو على أَدْنى الهَنَات سجِيَّةً | قد صوَّرت خَطَأَ العظيمِ كَعَمْده

* * *

فجيعة الحب الحالم

فى يقِينى عاشت نَعِيما وما زالت	وفى القمّة من مُهْجتى ومن إيمانى
حبّبت لِى الحياة من بعْد أن كانت	جحيما وأَشْـرقت فى كِيانى
بسْمةٌ فى السماءِ صوَّرها الله	ملَاكا وشُعْـلة من أمانِى
ورجاءٌ فى زحمة اليأْس وافَانى	وفى غَمْرة الكُرُوب أَتَـانِى
وأَنَا الصَّابر الذي اعْتَصر العُمْر	شَقَاءاً بِكَأْسِهِ قـد سقَـانى
كَمْ رجوت الأَمانَ فى كَنَف الصَّحْب	فما فُزْت عنـدهم بالأَمـانِ
وأنا الواهِبُ الحنانَ سخِيًّا من	لِسانى ومهْجتى وحنَـــانى
قلتُ مرْحى تَوأَم الرُّوح والنفس	وأَهْلًا فى السِّـرِّ والإِعلان
مرْحبـا بالحياة أَرْسلها الله	شُعَاعًا يجْلو به أَحـزَانى
وتَفَيَّأْتُ ظِلَّها أَنشُدُ الرحمةَ	لا ابْتَـغِى سِـوي الإِحْسان
هُو حُبِّى وعطفُها أَملُ العُمْـر	وفى مشْـرِق المـنى نَشْوتَان
قَرَّبتْ بيْننا المعانى على البُعْد	ويا طَالَما تَجُـودُ المعَـانى
حُلمٌ عِشْتـه وفجْر جدِيد	شَعْشَعتْـه من رُوحِها بسْمتانِ
صافَحتْها نَفْسى فَفرَّت مِنَ العين	ابْتِهـاجاً لِقُـربها دمْعَتان
وتمرَّغْت فى ثَراها ومحَّضْت هَواهَا	عِـزِّي مزَجْتُـه بِهــوانى

وارتضَيْت الهوى كما تَرْتَضيه   وسواء أطاعَنِي أو نَهانى
هى همِّى وشُغْل نَفْسى وقَلْبى   وصلاتى فى كُلِّ حِينٍ وآن
ثُمَّ ماذا لقد فُجِعْت بأَحْلامى   على غِرَّة بما قد دَهانى
إِذْ تَبيَّنْت أنَّنى عِشْت على سُوءِ   ظَنِّها حياةَ الهوان
وأنَا الغافل الذي عافَ حتى العقل   فى حُبِّها على اطمِئْنان
أنتِ معذُورة فما : لِملاك   يتَدنَّى لِقَادرٍ منَّان

* * *

غيْرأنِّى يانور عينى على العهْد   سأَحْيا - ولو حياةَ الجبَان
والذي وَزَّع السرائرفى الناس عَلِيم   بالسِّرِّ فى الإِنْسان
رُبَّ سرٍّ يطِيب إعلانُ خافيه   وسرٌّ يحْلو مع الكِتْمان
فَسلِى النَّجْم والدُّجى والأَغارِيد وهَمْس   الورْقاء فى الأَغْصَان
كيْفَ أَغْفُو وأَنت إغفاءة العين   وأَصحو وأَنت رجْع الأَغانِى
واسْبَحى كيف شِئْتِ فى عالَم الشَّكِّ   فإنِّى راضٍ بِحُكم الزمان

* * *

الجرم العقيم

(١)

بعْدَ عشرين خَلَتْ من عُمْـري حين أَبْصرتُ بِعينى . . . أثَري

وتلمَّظْت رحيــقَ القَـدَر مثْل من يرشِف ضوءَ القَمر

وتعلَّقْتُ على الهُـدْب الذي طالَما أَرَّقَ جَفْـن السَّحر

وبَكَى قَلْـبي دعاءً صامِتـا للحَنَـان الغامِر المُنْهمِـر

لِلَّذي هـدَّل لى أغصَـانه ورَعَى مهْـدي ودارى حَذري

صُغْت من فَرْحـة نفسى أَملًا أَن يرى قبـل سِواه ثَمَري

فَهـو مِنّى الأَب والأُم معًـا يا لأُمٍّ شَقِيـت بالوَطَـر

لم أَكُن فرحَتَها فى صِغَري لم أُقَبِّل يَدَها فى كِبَري

وتحامَلْت أُوارِي ذِكْـرَها بالذي شَعْشـع كأْسَ العُمر

بِالذي قلبي اغْتَذَى من عطْفِـه وفَمِـى اترَعــه بالــدُّرَر

بِالذي ساءَلْتُــه عن إسْمِها فأَضاءَتْ دمعـة فى المَحْجر

ثم فَرَّت تَتَـوارى فى دُجىً ضَارِبٍ فى لُجِّـهِ المُعْتكِر

تتهَـــدَّى ومضَـــةً شارِدة   تَتَحـــدى غَمْغمـــاتِ القَدَر
مِثْل من أَشْرق فى معْلومِه   وضــح المجهــولِ رثٌّ أغبَر
غائم يلهَــث كالمستغْفِــر   واجِــم فى حِيْـرَة المُنكَسِر
كالذي يَرْثى لِحــالى جاحِدا   أن لى أُمَّــا فَيــا للنُّكُــر
قلْت : يا للنُّكْــر حقًّــا إنَّها   رغْم ما تُخْفيه إحْدي الكُبر
جحْــدُها جحــد أَبى يا لَيْتنى   قد طَويْت العمر تَحْتَ الحُفَر
وعَلَى رأسى كأَنِّى غــارِق   فى دَمٍ أَوْ قــادم مِنْ سَفَــر
وبَــدَا ظِــل حيــاتى كالِحًا   راقِصًــا فى هَيْكَل المحْتضِــر
وتصَـــوَّرْت أَبى أين أَبى   حينَما يثْــنى عِنَــان الخَطَر
فى حَنَــان غاضِبٍ فى ثورةٍ   مِثْل زَخْم الرَّعد قبل المَطَر
وتَبيَّنْت الــذي قد كَتَمتْ   تِلكُمُــو الدَّمْعــة لم تَنْحدر
إنــى منــه غريب طَــارِيءْ   فاقِد الرَّحمــة هَشُّ المكسر
قد تَبنَّــانى لِسـتْر جابِر   آهِ للكَسْــر الذي لم يُجْبر
إنه الجُــرحُ الذي أَلْعقُــه   كُلَّمــا امتَــدَّ لِحىٌّ بصري
واسْتَحال العطفُ ذَنبــا كاوِيا   لوْ دَنَا من أَخْدعيه خَنْجري

لَيْتــــه خَـلَّى حيــاتى هملًا أو (لَقــا) يعرِف سِرَّ الخَبر

واضِعًـا نفـِسي فى موضِعِها غيْر ذِي إرْب ولا مُنْتظـر

هِى فى حـل فلا تَردَعُهـا نِسْبــة تزهــو بِمعْنى نَير

إن للشيطــان نَبْتًـــا صاحِياً طَلْعُــه مثل رؤوس الغجر

فإذا الأَشجــار لم ترْض بِه فهــو لا يغْــدم سَمْت الشَّجَر

إنَّه الواقــع أَقــوى حُجَّــة من خَـفِىٌّ بارزٍ فى الصُّوَر

إن ذاك النَبْتَ خيــرٌ مظهَرًا من ظِــلال كاذِبات المَخْبَر

* * *

(٢)

إننى اليــوم وقَد طَال الخَنا صــورةٌ فى غَرضٍ محْتَقَر

صنَعتْــــه غَفْـــوةٌ آثِمة إنها الجُــرم العَقيم المصْدر

دنَّس المِئــزرُ فى الجانى الذي ولَد الغافل عَـفَّ المِئـــزَر

الْبس العـــار بريئًــا ومَضَى يذْرَع الليل بِوَجْــــه أَصْفَر

أين سِرُّ الدَّمِ فى القلب الذي لَطَّـخ الأَعراقَ فى المُسْتَهْتر

الجَبَـــان الفدم موْبُوء الحَشَا إنَّه مِثْــلى هجيــن المَحْدر

مِثْلَما قد عافَـنى فى خِسَّة   سوْف لا أَرضَى به فى المَحْشَر

إننى أَعْدى عِـداه جَهْـرة   لَسْت عَمَّـا قُلْت بالمعتَـذِر

* * *

(٣)

فَلْنـدعْه . . . أين أُمِّى يا ترى   كيف تَحْيـا فى اللَّظى المُسْتَعِر

أَين قلبٌ لَمَحْتْـنى عينُـــه   كيف لم ينْشَـق أَو يَنْفطِر

أَنت يا أُمِّىَ أَصْـل النَّسَب   أَنا مِنْـه مِثْل نَفح الزَّهـر

إنْ يكُن قلبُ أَبى من حَجَـرٍ   لن تكونى أَبدًا من حَجَـر

أَنتِ ضعْف لَبِسْتــه قـوةٌ   ليس عُهرًا غير عهر المبصر

القوي الأَيْد خَطَّـاف النُّهى   صَانِع الفُحْش صَنِيع العَبْقَري

يُرسِل النَّظْرة قد وَشَّى بهـا   حُلْما قد صاغه مِنْ غَرَر

رُبَّ زُورٍ نَسَجتْـــه حُلَّة   قد طَوَتْ أَقبَح معـنى قَذِر

لست يا أُمَّاه شَـرًّا فابرُزِي   رَصـدًا للهـارِب المسْتَتِـر

أَنت فى هَمٍّ لـذُل واحـد   وهُمـومى فِيكِ فوقَ الْكُثُرِ

وخيـالى عاقِـر مُنْسـرِح   رسْمه أَنت بديـع المنْظَر

واثقٌ أنَّك مثْلِي حَيْـــرة | وهَــوى حــرٌ الأَسَى لم يُكْدر
أَيُّنــا أَقْسى عــذابا فاشْكِلِى | إن بثَّ الشَّكْوِ غيــرَ الحَصِرِ
رُبَّما تدْريــن حالى ربمــا | تعْرِفيــنِي بالسِّمــات الأُخر
وأَنَا وحْـدي الذي لا اجْتَلى | غير مَعْنـــاك بِلَحْظ الفِكَر
وعَــزَائى أَننـــا فى النِّسبَة | الكبرى عِيــالُ الله بيْن البَشَر
ما خَلا مِنَّــا زمان الوبَــر | ما خَلا منا زمان المَـدَر
قد حملنا الوِزْر لَا فَاض على | غيرنا مِنْــه نثَــار الشَّــرَر
فاسْمَعى يا أَمٌّ أَنِّى كنتِ من | قَلْبِيَ الصــاحى ؟ حديثَ العِبَر
ليس للأَخْلاق وزْنٌ فى الدُّنا | إنه المعروفُ مِثْل المُنْكَر
فانظُرِينى لو رَمَى المَجْد على | كتفي الواهى شَفِيف الحَبَر
لرأَيتِ الناس أفواجًا على | عَتَبــاتِى زُمَرًا فى زُمَــر
وأَشَاعُوا أَنَّــنى نَسْل العُــلا | لَوْذَعِىٌّ مُخْــوِلٌ مِنْ مُضَــر
وأذاعوا أَن لى بالمصطفى | نَسَبًــا فى أُمَّهـاتِ السِّيَــر
وسَقــونى ثم غَنُّــوا طَرَبا | ثُمَّ خصُّــونى بِورْد الكَوْثَر
ورَأَوْنِى طائــرا فــوق السَّما | وتَنَاسُــوا سَقْطَةَ المُنْحَــدَر

قـد تذكَّرتُ زيادًا فى الوَغىَ وهو مَنْ قَدْ جحدوا فى الصِّغَر

حِين ادْنتـــه إليهم كُربة فَمَحت عنــه ظَلام الأعصر

بعد أن كان عليهـــم سبة قد غدى مفْخرة المُفْتَخِرِ

إن حُبِّى لكِ لم تذهبْ بِــه رجْفَــة الإعصــار لم ينحَسِر

صَان عَقلى من شُــرور فأَنا لكِ أَحْيــا لست بالمُنْتَحِرِ

قد تَحَديْت قُــوى الظُّلم فَلم أَنْهَــزِم يا أُمُّ لم انْدَحِرِ

ورضِيت الله حسْــبي أَنَّــنى عبــده بين عِــدَاد البَشر

فإذا ما قِيل من أَنْت أَقُل أنا عَبْد الله هَل مِنْ مُنْكِرِ

فابسِمى لى شجِّعيــنى واهتِفى إنّه ابــنى بعِيــد النَّظَــر

بالأَغارِيد الوضيئـــآتِ الصَّدا أَتَحرَّاك وقلْــبي وتَــرِي

واقبَــلِي منى ضَراعات الهوى واظْهَــري يا أُمى هَيًّا فاظْهَري

* * *

مهداة إلى الفيلسوف الهادر "البحر"

أَلْقاك فى الشَّط أَمْ أَلقاك فى الماء ... على جَناح خيالٍ مائلٍ نَائِى

واستَحِمٌّ من الأَضواءِ سَابِحَـةً ... فى العِطْر تَمْزِج أَشْذاءاً بـأُنْداء

واستَرِيح كأَنى فى جَوَانحها ... أُعانِق البذْر بَيْن العُشب والماء

فَهَل تعودُ حياتى بعد مااخْتَلَجت ... تَرِفٌّ كالطَّير فى صُبْح وإِمْسَاء

واستَضْحك البَحْر فى أَعماقه عَجَبًا ... من شاعِرٍ ظَامِىءٍ فى اليمِّ مَشَّاء

إِذا تَراقَصَتِ الأَمواج ظنَّ بِها ... سُوءًا وما رقَصَت فيه لإِغْـراء

وخَالَها ثورةَ العذَّال مائِجـة ... تَرنُوا إِليه فَتَرمى الدَّاءَ بِالداء

وما دَرَى أَنَّها الأَشواقُ هائجةً ... تَرَا كَضَت عاصِفَات بالسُّويداءِ

فَضَّاحة لِقُلوب طَالَما اعْتَصَرت ... آلامَها فاطْمأَنَّتْ بعد إِعيـاء

كأَنَّما الأَمَلُ النَّشْوان فى يَدِها ... يصيح . كأْسى وأَلْحانى وصهبائى

وأَنتَ يابَحْر كَمْ تغْفُو على سِنةٍ ... مكارة تقذِفُ المـرئِىَّ بالرَّائى

وما سَئِمت المدى المطوِيَّ تلمَحُه ... لَمْح الطُّيوف على وهْنٍ وإِبْطَاء

تَلَمَّسُوك هَوًى رقَّتْ مَسَاحِبه فَوْق الرِّمال على صحوٍ وإغْفاء

وأَوْدَعوك خفيا من سَرائِرهم فَخَادَعوا عَيْن نَمَّامٍ ووَشَّاء

وللأَحِبَّة فى شطَّيْك زَمزَمَةٌ تَنَاوَحتْ عبْر إدْناءٍ وإقصَاء

وللأَغاريدِ فى الأَسْحار هَيْنَمةٌ على ثُغور النَّدَامى والأَحبَّاء

وفى شُعُور الغَوَانى لِلصِّبا عَبَث مُرَقْرِق من شُعور الحَاءِ والبَاء

وسِعْت كلَّ شجِيٍّ ما دَرَيْن به وكُلَّ ذِي عَبَث عادٍ وهزَّاء ..

وكل صدَّاحَة فى الأَيْك رَوَّعَها غَدْر اللِّدات وتنكيل الأَلِدَّاء

وذَات دلٍّ مَلول حطَّمْت أَملا فى مُدْنِفٍ دونه أَغْلى الأَشِقَّاءُ

وغَادَة فى ربيع العُمْر باسِمَة فَرَّت إليْك بآثام وأَقْذَاء

أَلْقَت إليك ولمَّا تَجْنِ غيرَ هوى بِنَفْسها فى لظى كالحُسْن دَعَّاء

وبَائِس عَضَّه بعْد الثراءِ أَذًي مِن شَامِتٍ وعقوقٌ من أَخِلاَّء

وافَاك يلفظ من أَنفاسِه رَمقًا يُصافح الموت فى ذُلِّ الأَعِزَّاء

وسَائرِين على الأَثباج ماخِرَةً فِيك العُبَاب بأَمْوَاتٍ وأَحْيَاء

قد خَضَّبوا بالدَّم القَانِى ورجْفَته صَفَاءَك الحُلو فى هَوْل واصْمَاء

وخضْخَضوا فىمَجَال الرُّعْبماصنعت قَسَاوةُ العِلْم فى عُنْفِ الأَلِبَّاء

ورَوَّعوا فى طِباقِ البحر آمِنَــة مِن العوالم أَثْغَتْ ثَغْوَةَ الشاء

وأَنْتَ أَنتَ لَعَمْري كيف ما اخْتَلَفتْ عليك يا بَحْرُ أَشياءٌ بأَشْيـاء

تُفَلسِف الرجْفَة الكبري بِقهْقهة تَبعْثرت بين إِزْبـادٍ وإِرْغـاء

وتَعْبر الزمن الغَافى إلى زمــن صاحٍ ببهجةِ مِعراج وإِسْراء

ومَنْ يَنُرْ للمَعانى دون هَيْكَلهـا يا بحر يَشْقَ بِضَلَّالٍ وهَــدَّاء

* * *

وضَاق آذيُّك العاتِى فأَرسَلَها مَلْمومة بيْن إِخْفاءٍ وإِبْــداء

تَقُول قَوْلَتك الشَّعْواءَ باسِمَة أَنَّى تَضيق الدُّنا فى عُمْق أَحشَائى

العَائِشون على فَيْضي ومنْتَجَــعى والْهَالِكـون طعام للأَجِنَّاء

فما أَسِفْت لِرَوَّاح على ثِقةٍ ولا فَرِحْتُ من الدنيا بِغَدَّاء

الهابِطون على مَائى وأَجْنَحَتى والصاعِدُون على أُفْقِى وإِمْدائى

إِن يصْخَبُوا بيْن آفاق السماءِ ضُحًى قلت السماءُ عليها طعم أَنْــوائى

ولَسْت أَحمل عنهم عبئَهم أَبَدا ولو هُمُو حَمَلوا بِالوهم أَعْبائِى

تَذُوب فى اللُّج أَطْواد وأَلْوِيَة على الحروب وفَوْق الدهر إِفْنَائى

* * *

غَالطْتَ يا بحر هذا الكون فاسْتَبَقوا إلى صِفاتِك من دانٍ ومن نَائى

قَالوا عظِيم كَعُمْق البحر مُنْبسِط كَوجْهِه بين إشْعاع ولألَاء

فَتَاهَ كُلٌّ عظيم فى مَطَارِفه والْتفَّ فى ثوب ذَكَّارٍ ونَسَّاء

و كلّ ما انفرجتْ دنياه واتَّسعَت قال الدُّنا طَوْع آرابِى وأَهوائى

وإن تَشَاجرت الآراءُ وارْتَطمَت لَدَيه حَطَّم آراً بـآراء

مادُمتُ قدجُزْتُ آفاق المدى قُدُماً لا فَرْق بين أَحبَّائِى وأَعدَائِى

* * *

الفرحة الكبرى

هي الفرحة الكُبْرى وفَتْنا وُعُودُها ... فأَجْمِل بها أن يَبْدُوَ اليومَ عِيدُهَا

وأجمِل بِها أُمِنيَـة عبقـريَّة ... تَدَانَى على رغْم الزمانِ بعِيدُها

تَعَالَى هُتافُ العُرْب بالدين داويا ... ورَجْع الصَّدي أَعماقُها وكبودُها

تُمثِّلهم فيها المَعَانى كَرِيمَةً ... وتَخْفِق بالبُشْري عليهم بِنُودُهَا

ومَا هِى إلا أُمة وحَّدَ الهـوي ... هَوَاهَا وصاحَتْ فى ثَرَاها جُدُودُها

ولفَّتْ عُروق المجد عِرْقا لِصِنْوه ... فَعَزَّت ولم يُعْجِم لِحَاها وُعُودها

فإن أَبْرَقَت باليُمْن وطْفَاء ثَرَّةٌ ... وإن نوَّرتْ بَطْحاءُهَا ونُجـودُها

وإنْ سرَّها عِيد الجُلوس لِضَيغَمٍ ... فَبِالوِحدَةِ الكبري يَتِم سُعُودها

أَجَلْ بَانَ ذَاكَ الفحْلُ أَصلًا ومحْتِدًا ... إِليك الأَمانى مُثْقلاتٍ نُقُودُها

فَخُذْها فَمَا كان العَظيم لِغَيْرِها ... وقُلْها تَثُر تَحْت العُجَاج أُسُودُها

بَلوْنا من العُربِ الكِرام شَمائِلًا ... إذا انْطَلَقَتْ أَوْفى على الجُودجُودُها

تُخَضْخضها الجُلَّى فَيعْلو صراحها ... وبَغْضاؤُها تَبْلى وتَفْنى حُقُودُها

تطلَّعَت الدُّنْيـا إِليكَ مُطِلَّة ... قُلوبًا ومن خَلْف القُلوب جُنُودُها

تُحَيِّيك بِاسْم الدين أَعْليْتَ شَأْنَه ... وبِاسْم الغَوادِي مِثلَها بَل تَزِيدُها

أغــــادير

بَلَغَتْ مَدَاها الحادِثاتُ حِيالَها — وجَلَالَها الرِّزْءُ المُرِيعُ جَلالَها

ألحاظُه دارَت على لَحَظَــاته — عَجْلى تُذيب بِطاءَها وعِجالَها

وتصامَمَتْ عن رَيْثِــه وأنَاتِــه — كَيْ لا تُزَعْزِع بالمُحَال مُحَالها

صَالَت مَصَالا دُون شَمْخَته الذُّرَى — فاستنزَلَت عُصْمَ الفَلَا وجِبَالها

جالَت مجال اللَّمْح فى خطَراته — فاستعْجَلت أعمَــارُها آجَالَها

حتَّى ذُكَاءُ مَحَا البلاءُ شُعَاعَها — ومَحَتْ بُكورُ حَيَاتها آصَالَها

لم تَبْق آمال تُهدْهِد حَالها — لم تبق أفكار تَجُول مَجَالَها

لُطْف أغَار على المُغِير فلم يَدَع — نُعْمى تَجُر وراءَه أذْيَالهــا

غالَ النساءَ مَعَ الرجال فَلَا تَرى — ثَكْلى تُشيِّع بِالبكَاء رِجَالَهــــا

كلاَّ ولا أُمٌّ تَقَطَّــع قلبُها — حُزْنًا يُلاحِق دَمْعُها أطْفَالَها

الذاهِبُون مَضَوْا ضَحِيَّة نَقْمَة — قد حَمَّلوا مَنْ دُونهم أحْمَــالها

والسَّالِمُون من الخَلَائق إنَّهــم — «أطْلالُها»[1] فلْيَنْــــدُبُوا أطْلالَها

كم تخبَئُ الأقــدارُ من أهْوَالها — حتَّى تَلَمْلم جُهْــدها أهْــوالها

أمدٌ يَطُــول فيستريح لِطُوله — شَرَهُ النفوس فَلَا يَحُلّ عِقَالَها

(١) أى بقاياها .

ويزِيدها الأَمَل الطوِيل ضَرَاوَةً   وقَسَاوة قد أَحْكَمَتْ إِقْفَالَها

حتى استَرَابَتْ فى السماءِ وأَيْقَنَت   عَجْز السَّماء فَمَنْ يُغَيِّر حَالَها

الشَّر للأَشْرَار مَدَّ حِبَالَه   كالفاجِعَات لهم تَمُد حِبَالَها

والطيِّبون المُبْتلون حَصادُهم   فِتَن تَزَلْزَلَ فوقَهم زِلْزَالها

يَمْضِى الكِرام لَها خِفَافا مِثْلَمَا   يُبْقِى الرَّدي أَثْقالَها وعِقَالَها

وتَسُوخ أَقدامُ الشَّقاءِ بِخَيْلِها   وبِرَجْلِها فى زَحْمة تَسْعى لَها

تَهْوي لتقْتَلع الجُذُور رواسِخًا   عبرًا تُناشِدُ بعدها أَجيالها

ذهبَتْ « أَغادير » الجميلةُ ضَحْوَةً   غَال الرَّدى شُطَّآنها ورِمَالها

والسابِحَات الفاتِنَات تجَاذَبت   أَحلامُها واستَنْفرت آمالَها

تطفُو وترسُب تستمِدُّ فُتُونَها   عَزماً يناهِض سِحْرَها ودَلَالها

عشن الحياة غَضَارة ونَضَارة   يَنْسِجْن من ظلِّ الجُفُون ظِلالَها

ويْلاهُ تِلْك فَجِيعة موْصولَةٌ   تَبْكى صَوَاحِبَها وتَحْرِق آلها

ولِدَاتها عَبْر الشواطِئِ فى الدُّنا   يرقُبْن فى خَطْو الزمان مآلها

والثائرون على الخَليقَة كُلِّها   والغَاصِبون عراضَها وطِوالَها

والقاطعون رَحَامهةً والآكِلون حَرامَها والعائِفون حَلالَها

هل يأْمنون الشَّرَّ فى أوطَانِهم   هل يأْمُنُون زَوَالهم وَزَوالَها

يا ربِّ أَنْت لَها و كُل عظِيمة   فَاقْهَر عِدَاك فَلا تَنال مَنَالها

خـــاطرة الولاء

في عرض مساجلة شعرية مع أديب مصري من وفود بيت الله الحرام المملوئين ولاءاً صادقاً لإصلاحات الدولة في الحجاز عام ٥٦ .

خُذْ تَحَايَا الحِجاز يا صِنْو مِصر مِنْ مُعَنًّى بادي الضَّنَا والسَّقام
خذ حَنيناً قد فاض شِعْراً وحُباً هَاجَ في النفس ذِكْريات الغَرام
أنا كَالطَّير لا يُرَفْـرف إلا عَنْ حنين لِسَالِف الأَيَّـام
أنا كالطير لا يُريد سِوَى الرَّو ضِ بهيجاً ومرْتَـع الآرام
أنا كالطير يَرْتجى المَرْتَع الخ صْب لِتَرديد طَيِّب الأَنْغَام
أنا كالطير مِلؤُه ذِكْريـات بَيْن يقَظاتِه وبين المنـام
حين يَبْدو السِّرْب المُجِدُّ طلِيقًا واسعَ الخَطْو نَافِذًا كالسِّهـام
لا قُيُود لا أَسْر ثَمَّة تَصْفـو لِي حياتى وتَمَّحِـى آلامى
أنا كالطير في انْطِلاق لِسَاني عن شُعور مُمَثِّل لِمَـرامـى

ما ابْتِسامُ الحياة غيرَ سُــرورٍ مِثْل فجْرٍ يغْزُو جُيوش ظَلام

وهنَائى كلُّ الهَنَاءِ بِــلادي إذْ أَراها جدِيرَة باحْتِــرام

فَبِلادي رُوحى وروحى بِلادي ليس بِدْعاً إذا انْتَضيْت حُسامى

فى هَواها عِشْت عِشت سعيدا أو تَفَانَيت فالحياة أَمَــامِى

هِىَ لى بَسْمة على الثَّغْر تَبْــدو أَي ثَغْر يحلو بِغيْر ابتِسَام

لَهَب الشَّوْق أَذْهبته سُــوَيْعا تُ حسان مرورُها كالسِّهــام

قد تَراءَت لها الأَمَانِى سِراعا باسِمَــات فصدَّقَتْ أَحْــلامى

فَتَقبَّل أَنفاس قُطْــر مجيد هِي رَمْز المُنَى ورمز السلام

وتَذكَّر بِدار « طه » صديقًــا وافِر الشَّــوْق عن شباب ظامى

* * *

طرفة

فى مجلس الشورى . بالمجلس على ظهر جدول الأَعمال – بين شاعرين . شاعرنا والشيخ إبراهيم الغزاوي .

قال الشاعر ضياءُ الدين :

الطيِّب الساسِى يُناغى الرئيسْ   ونحن فى الجَلسة رُحْنَا فِطِيسْ
لم يشْعُروا بِوُقــوف الهَـــوى   مِن دُون تَكِييفٍ ودون الفُلُوس

* * *

ورد الشاعر الغزاوي :

رُوَيْدك لا بِدْع أَن يُذْهـــلا   وقرْعُ الأَدِلَّة حامِى الوَطِيسْ
فَأَمَّا الهـواءُ وأَمَّا اللُّـهى   فمَـوْعِد ذلك يومُ الخَمِيس

* * *

يوم الاحتفال

تكريم مؤسسي جريدة المدينة المنورة
الأديبين السيد علي والسيد عثمان حافظ عام ١٣٥٦هـ

يا صَفْوة الشَّعْب بَلْ يا صفوةَ الأُمَم　　في بقعة هي مَثْوى الجُود والكَرم

ويا أَميرًا غدَا إكْليل نَهْضتها　　يَحْكِي نَضَارتها في الأَعصُر القُدم

وَاسَيْتَها وعطَفْت اليوم فابْتَهَجت　　وهلَّلَت بيْننـا خفَّاقة العَلم

عاش المَليك فَمِن أَبْهى صَنائِعِه　　هذا الأَمير مِثال الفَضْل والنِّعم

عاش المليك الذي عزَّت به مُضَرٌ　　من بَعْد رقْدتِها في «هُوَّة» العَدَم

رأَتْه قائدَها في كل مكرُمة　　فتابَعتْه وجَازَت نَهْضة الأُمَم

وبعدُ : فهذا فَتًى يُزْجي عَواطِفه　　فَرائِد انْتَظَمت عِقْدًا من الكَلِم

قال الصِّحاب تَقَدَّمْ خَيْر آوِنَةٍ　　وَافَتْك فاضْربْ على نَهْج من النَّغَم

وشنِّف السمعَ وأَرسِلْها مؤجَّجَة　　إن الشَّباب إلى هذا المقام ظَمِي

فقُلْتُ مَرْحَى بأَبْنـاءٍ غَطارِفَة　　وقُلت مَرْحى بأُسْد الغَابِ والأَجَم

وكيف أعصى لكم أمرًا وفى خَلَدى عَواصِفٌ بين مُهْتـاجٍ ومضْطَرم

ونحن إن لم نكُن أبْطالَ معْركَةٍ وأُسْدَ غابٍ إذا وَقْد الوطِيس حَمِي

فكيف يجمعنا شَمْل وَيَنْظِمُنَا عِقد ونَفْخَر بالقُرْبَى وبالرَّحِم

وما التَّوانى سِوَي جُبْن ومنْقَصَة وما ذَوُوه سِوى ضرْب من البَهَم

وصاحِب المجد دأب لِمَطْلَبِــه وأُمَّة المجد لم تَهدأْ ولَم تَنَم

هذِي حياةٌ نُحَيِّيها على أملٍ فى أَن نُودِّع عَهدَ النَّوم والسَّأَم

وذَا مَجَالٌ رحِيبٌ قام يَنْشُدُنا تَضامُنًا لِنَفي بالعَهْد والذِّمَم

فإن تَضافر فِتْيانُ البِلاد على ما يرْتجون بحد الصَّارِم الخذِم

وباركُوا نهضاتِ العلم واقتبسوا من نهضة الشَّعب فى الديْجور والظُّلم

وحبِّذُوا ساعياً من أَجْل نُصرتِه وآزَرُوا مُخْلِصاً للدِّينِ والحرم

وكرِّمُوا نابِهاً من أَجْل ما صنَعَت يَمِينُه فَهُمُوا العُنْـوان لِلشِّيم

وفى غدٍ أَثَر يَبْـدُو لِصاحِبـه يرنُّ منه الصَّدي فى الهَضْب والأَكم

وفى غَدٍ «صفحةٌ» يزْهو بِطَلْعتها سُكَّان «وادِي النَّقا» والضَّال والسَّلَم

نُريدُها أَدبًا نضْـرا يَعِـزُّ بِه أَبناءُ (يَعْربَ) والفَيْحَاء والحَرم

ونَرْتَجِيها رسولا للثَّقَافة فى بَنِى العُروبة منْ بَغداد للهَرم

نريدُها مِنبرا يَعْلُوه كُلُّ فَـتَى يَقظُ المَدَارِك شَهْمٌ غَيْر مُنْهَزِم

نُريدُها صورةً للشعب صادِقةً تُقاسِم الشعب فى نُعْمى وَفى أَلَم

ولا نُريد غُثَاءَ القوْل تَقْـذِفه على البلاد وَلَا لَحْمًا على وَضَم

ونحن لا شَكَّ فى أُولَى مراحِلِنا — لا تُثْمِر اليومَ فينا نهضةُ القَلَم

إنلم تُؤسَّس علىأَسْمى المَبادِيءِ فى — هذِي البلاد أَتَتْ بالوَيْل والنِّقَم

وتستَمِدُّ مِنَ الدين الحَنيف سَنًا — يُضىءُ نَهْج الهُدى للخَلْق والأُمَم

وتستقى من مَعِين الفضْلِ فى (مَلِك) — فَاقَ المَمَالِك فى حِلْم وفى كَرَم

وتستَفِيد من الأَخْلَاق « احسَنَها» — وتَستَنِير بِخَير الآي والنُّظُم

وإنَّنا فى بلاد لا يُوائِمُهـــــا — هَتْك الفضيلةِ والأَخلَاقِ والحُرم

ونحن فى بَلَد فيه الرَّسول ثَوَى — أَكرِمْ به مِنْ رسول صَفْوةالأُمَم

* * *

يا فيصـــلًا

يا « فَيْصلًا » للحق يَجْلو غَيْبَها — « بالرأْي » آونة « وبالقِرضَاب »

هتَفَتْ بذكْراك الشعوبوكلُّها — أَمَلٌ يغيض بِفَائقِ الإِعْجَــاب

أَما الحجاز فَقدْ كَسَوْت رُبوعَه — بِفَضيلةٍ تزهو مَدَى الأَحْقَاب

وأَثَرْتَ للنَّشْء الحدِيثِ طَرِيقَة — بِمَوارِدٍ تَحْكى الزلآل عِـذَاب

وغَدوْت رائدَهُم فَشَعْشع بينهم — قَبَس الرَّجَاء يُضىءُ للأَعْقَــاب

مَثَّلْتَ فى البلد الأَمين شَمَائِلًا — فَوَّاحَـةً بِالفَضْـل والآداب

بَرْهَنْت أَنَّ لِذِي الجزيرة مرتَعًا — خِصْبا يجُود بصَالِح الأَنجَاب

هذا لِسان « صحيفةٍ » عَرَبِيَّة — بَرَزتْ بِفضْل العاهِل الغَـلَّاب

فلسطين

عام ١٣٥٧ هجرية

فِلَسطينُ إن الخطْبَ يَبْدُو مُجسَّما ولكنـــه بِالصبر والعزْم يَصْغُر

فلسطينُ إن الدين خصْب وإنَّما بَنُوه بِسَقْى الغرْسِ أولى وأَجْدَر

وأَنْ مَادَهانا اليــوم رُزْءٌ مُروِّع أَصَاب الأَمَانى وهىَ بيضاءُتَزْخر

وجرَّد فِينا السَّيف صَلْتًا مُخَضَّبًا عِصابةُ بغْيٍ بالحَقيقَة تَكْفــر

ورَامُوا بِناكيدًا لِتَوْهِين أُمَّــةٍ تَقَدَّس فيها الله يُدْعى ويُذْكَر

فإنَّا لِنَصْر الله راجُون خُشَّعًــا ومَنْ رَام نصْر الله لا شَكَّ يُنْصَر

وإن دِماءً أُهرِقَتْ فى سبِيــلِه دِماءٌ بِها الإِسلام يَزْهو ويفْخَر

فِلسطين إن الدين جِسْم إذا اشتَكَى لــــه عُضْوٌ يشْكُو الجَمِيــع ويضْجَر

وذِي لُغَةُ القلب الحزِين تصعَّدت تُتَرْجم عَمَّا بالحَشَــا وتُعَبِّــر

فِلسطين إن الشرْقَ ريعت حُدُوده وجَلْجل صوت للجِهاد يُزَمْجِر

لِيُسْمِعَ أن الدين حىٌّ ولم تَزَل دِماء بنِيــه إِثْرَهُ تَتَحـــدَّر

وأنَّ تماثِيل السِّياسة خُلَّب لَعَمْرِيَ أَوْهَى ما يُراد وأحْقَر

وليس لنا من بعدِ حَيْفٍ وذِلَّة وتجزِئَةٍ فيها العُقول تُحَيَّر

سِوَى موقِفٍ صعْب جَسُور مُشرِّف فإن مُصَاب الشَّر بِالشر يُبْتَر

وما ذَلَّ من يرجُو المَمَات لِعِزَّة تُظَلِّله فيها عَجاجٌ وَعِثْيَر

وهذا نَشيد بين « قَبْر ورَوْضَةٍ » نَشِيد يُزَجِّيه خَطِيب ومِنْبَر

فلسطين لسْتِ اليوم مَرْمىً وغاية تُهَدِّدك الأحداثُ والويْل يُنذِر

ودُونَ حِمَى «عبد العزيز» قَسَاوِرٌ إذا الحرب عن أنيابِها اليوم تَكْشِر

ونحن لَعَمْري قِبْلة الدين كلِّه إلى شعبِنَا الأقطار ترْنُو وتنْظُر

لقَدْ جاهد الأسْلافُ قِدمًا بِدِينهم ولا بُدَّ من يوم ٍ بِه الحقُّ يظْهَر

فَلَابُدَّ من سَحْق اليهود وَوعدِهم «لبلْفور» والأيام تَسْطو وتَقْهر

* * *

ذكريات

يا صَديقى لك الثَّناءُ الجميل   مِنْ صدِيق عَنْ عهــده لا يَحُول

قد تقبَّلْتُ باقةَ الزَّهْــر حبًّــا   فى قَصِيدٍ كأَنَّــه السَّلسَبِيــل

ودعاء من قلبك الحر حُرٍّ   وعلى الله ياصديقى القبول

جمَع الله شمْلَنــا « بِدِمشــق »   والمُنى ظِلُّها علينــا ظَلِيل

والمَعانى فى « دُمَّر » ورُبَاها   حَالِيات يحْلو لَدَيها المَقِيل

حانِيــاتٍ لِحُسنِها عاطفــاتٍ   والصَّبا كالصِّبا رقِيــق عَلِيل

والسَّنَا يغْمُر الوُجــود حيــاةً   هَامَ فى حُسنِها وذَابَ الأَصِيل

وهوىً يملأُ الجــوارِحَ عِطْرا   وحَنِينًا كأَنَّــه التَّقْبِيــل

والعزيز العزيز نــوْرٌ ونــورٌ   وشذًى عابِقٌ وغيثٌ هَطُــول

إنَّها مُهْجتى ونفسى وحُبِّى   مَالَها فى الوُجودِ عنــدي مَثِيل

جمــعَ الله شملنا « بِدِمَشْــق »   والهَنَاءَاتُ حــوْلَنــا لَا تَحُول

فنَعُب السُّــرور علاًّ ونَهْلًا   لا فِراق لا كربَةٌ لا فُضُــول

حاربتْنِى من الزمـان صرُوفٌ   أنْت أَدْرى بِهـا وعبْءٌ ثَقيل
كَمْ قريبٍ منِّى وليس حبِيبًا   وحبيب وَمَا إلَيْـه سَبِيل

(٢)

ولِلدَّاءِ إذ يَسْرِي على حِينِ غفْلةٍ   من الفَتْك وَيْلاتٌ أَمسُّ وأَخْطر
ومَا نَحن بيْن «الأَمْر» إلا مُرَوَّع   تَقاذَفَهُ غِيلٌ بِه الأُسْدُ تزْار
فإنْ رَامَها عَطْفا رَمَتْه بِكارث   وإن رَامَ عهدًا فهِى أَنْكَى وأَغْدر
وليس بِنَاجٍ دونَ خَوضِ غِمارها   فإنَّ نجاة النفس إذْ هِىَ تَثْأَر
فيا أُمة الإِسلام والدَّاءُ مُحْـدِق   لَقَد آنَ أَنْ يَبْدو لَنَا الدِّين مَظْهر
هو «القُدس» أُولَى القِبلتَين وثالِث المساجد يغْزُوه العـدوُّ المُدمِّـر
فَكَيف نُقِرُّ الضَّيْمَ فى حـق   وَكَيْفَ نقِر الخَسْف والحَقُّ أَظْهر
وإِخوانُنَا فى الدين يَسْطو عَلَيْهِمُ   غَشُوم مَرَامِيه تُذِيب وتُصْهـر
وإِنَّاعلَى الأَحداثِ صعْب مِراسُنا   فَحتَّام هذا الذُّل والعزُّ أَجْدرُ
أَتَضْحى دِيَار الدِّين مَثْوى «أَذِلَّةٍ»   مَعالِم دينِ الله فِيها تُغَيَّـر
ومِنْ بَعْد أَنْ كانت مَنار هَدَايَة   تَدُق نَواقِيس ويَعْزِف مِزْهر
وفِينَا دِماءُ تَسْتَجيب لِربِّها   وتَرْجو لِقَاءَ الله والمـوت أَعْذر
فَيَا ملِك الإِسلام يا خَيْر عَاهِلٍ   تُلَبِّيه أَصْوات وتَحْمِيه أَظْهُر

لأنتَ بِدِين الله أوَّلُ ناهِــضٍ   وأنْت عليه اليَــوْمَ أرْعى وأغْيَر

وأنت لَدَى الهيْجاءِ مُوقِدُ نَارِها   وأنت على دَفْع المُلِمَّات أَقْــدر

ومِنْ حَوْل هذا «العرش» شعب وأُمَّـــةٌ تَعُجُّ بِتَهْليل وأُخْــرى تُكَبِّر

تُلَبِّي نِداءَ الله والموت غايَــةٌ   إذا صال فى الهَيْجا حُسامٌ وأَسْمَر

فخُذْها تُؤَدِّ الحقَّ للحق نَفْسَه   فأنْت بِهذا اليومِ أَدْري وأخْبر

(٣)

غُرْبَةٌ . لَوْعة : وحِيرَة قَلْبٍ   واضطِرابٌ وحُرْقةٌ وذُهــول

آهِ لَو أَبْصَر الصَّــديق حَيَاتى   رَاعَه الصَّمْت والأَسَى والنُّحول

هِىَ مَهْمُــومةٌ بِهَمِّى على البُعْد   وقَلْبِي بِهَمِّــها مَشْغُـــــول

وكلَانا يَراك بالعــينِ والقلبِ   وبُشْــراك فالنَّــوى لا يَطُول

نلتقى ، نَلْتقى ويغمُرُنا الصَّفْو   ويدْنُـــو الرَّجَـاءُ والمَأْمُول

ولأَوْطَانِنَــا نَعِيــش ونَحْيَا   فَهْىَ حُبٌّ بِحُبِّنَـــا مَوْصُـول

* * *

«أمشاج» من جعبة المستعمرين

شَغَلونا بالرِّضَا والغَضَبِ فشُغِلْنا : بِلئيم : وغَبِي

ذَبْذبتْ أَخْلاقُهم : أَخلاقَنَا فَشقِينا : بالنُّهى المضْطَرب

ونَسِينا : أَنَّ فى إرْضائِهم غَضَبُ الله : وسُوءُ الأَدَب

ونسينا : أَن فى إغْضابِهم فَرْحة الله : وإرْضاءُ النَّبي

قالت الذكري

قالت الذِّكري : تَصوَّر أَنَّنِي ذَاتُها « تِلك » الـتى تَذْكُرها

أَننى السِّر الذي أَطْوي به صُوَر الحب : كَما أَنْشُرها

أَنَّـنى رُوحُ الهَوى مُنْسَابة فى طُيوفٍ حُلْوة . . تَغْمرها

وذُكاءُ الحبِّ قد(١) يلمَحُها و « ذُكاء » الحبِّ قد تَعْبرها

رُبَّ وهْمٍ بارِق يكْسِرها وابتِسَامٍ عارِض يَجْبُرها

* * *

إن تَمثَّلت المنى ضَاحِكَة فى لِحَاظٍ فتكُها : أَيْسَرها

أَو ترشَّفْت رُضاباً مِن فَم يَنْظم الدُّنيا : كما يَنْثُرها

(١) الشمس .

أَو تحسَّسْت الشَّذى فى زَهْرة   تَكْبرُ : البُرعُمَ : أَو يُكْبِرُهـا
لا تَقُل ذِكري : ولكن رُوحُها   ذاتُها تِلك التى تَذْكُـرهـا

* * *

قلتُ يا نفسِى أَفيقِى انَّها   خُدع الوهْم : ونَسْج العَنْعَنات

لا تغضب

قال : لا تغْضَب فكمْ من جَفْوة   هِيَ للمجفُوِّ والجافِى دَوَاءْ
يَنْفُضُ الوهْمَ الذي أَشْعَله   « ناقل » يَضْرِب فى طِينٍ وَمَاءْ
قلت لا يَجْهلُ حُبِّى لَيْتَــه   جَهِل الحبَّ . فإِن الحُبَّ دَاءْ
عِزَّةُ المحبُوب مِنْظـار يَري   فى معانِى الحُبّ عَجْزَ الضُّعَفَاءْ
فإِذا اسْطَعْت سَبِيل الأَقْوِياءِ   كنْتَ والمحبوبَ فى الأَمْرِ سَوَاءْ

* * *

قلتُ حَسْبي قُوَّة الضعف على   « حُبِّه » أَحْيا حَيَاةَ الشُّعَـراءْ

* * *

تحية مصنع الجبس في الرياض

تفضَّل الدكتور محمد خاشقجي صيف العام الماضي عندما كنتُ بالرياض ودعاني إلى زيارة مصنع الجبس الذى بذل فيه من جهده وتفننه ما جعله خليقاً بأَن يسهم فى مشروع النهضــة السعــودية الكبري فى عاصمة المملكة وعروسها الفاتنة التى جاوزت سمت الطليعة من العواصم العالمية بأَروع بهاءِ وأَحسن تصميم ولقد كان المصنع بحق فتحاً قوياً فى حركة التصنيع وأَمجاداً للدعم الاقتصادي الرائع ولقد برز بأَضخم معداته وأَحدث آلاته التى يزمجر دويها كما يزمجر المجد الزاحف فينتزع الإعجاب ويملأُ الأَسماع والشعاب و كأَنما أَراد الدكتور خاشقجى أن يترك الدوي الذي تمناه المتنبى حين قال :

وترْكُك فى الدنيا دَوِيًّا كأَنما　　　تداول سمْع المرء أَنمُلُه العشر

وما انتهينا من الزيارة والتطواف فى كل فرع من فروع المصنع ورحابه فى جولة ممتعة تبعث فى النفس النشوة والحياة والاعتزاز بكل جهد وطنى لحما ودما حتى قلت للدكتور أَتمنى لو تسعف القريحة بوصف هذا المشهد الرائع وإذا به يقول هيا لأُعيد معك أَنت ذكرى

خالك المرحوم الشيخ عمر كردي شاعر المدينة الأَول وقاضيها ومفتيها يوم أَن فاجأَنا مفاجأَة سارة وليدة الساعة واللحظة فارتجل لى رحمه الله مقطوعة شعرية وأَنشدنى الدكتور أَبياتها فإذا بها من غرر الشعر وعيونه وتركت تلك الذكرى الحلوة بين خالى والدكتور أثرها الطيب فى نفسى وضاق الوقت آنذاك فسافرت إلى مصر وما أَن عدت إلى المملكة هذا الأُسبوع وسمعت بأَثر هذا المصنع ونتاجه الذي غمر الأَسواق حتى بدأْت بهذه الكلمة وثنيت بهذه المقطوعة تحية وذكرى لمجهود دكتورنا الخاشقجى الذي جمع الله له بين موهبة الطبيب الناجح وحيوية الناهض الكادح .

بِالجِبس كُنتَ تُداوي الكسْر فانطَلَقت

يَداك تصنع منه اليَوْم عُمْرانا

تُقيم بين المُروج الخضْر شاهِقَة

من الصُّروح تعَالى شأْنُها شَانا

تعدو الرياض إلى جَارَاتها قُدما

وترفع المجد بُنْيَانًا فبُنْيَانا

حارِبْ بِمجد الغنى إرْجاف طاغِية

باسْم الفقير تَحَدَّىٰ الله بُهْتانا

خَـلِّ القُصـور رُمُـوزاً حيَّـــة وأَشِـعْ

إسـكان مَـنْ لم يَجِـد فى الناس إسْكانا

مِـن عِزَّة الـدين عِـزُّ المـال تَبْسُـطـه

بَسْـط الجَنَـاحـين إسْـرارا وإعْـلانا

فالحـرب للمَبْـدإِ الهـدَّام لـو نَفـذَتْ

حَقِيقَـــة الـدِّيــن فى أعمــاق دُنْيَانا

حـتى نَسُـدُّ عليهـم كُـلَّ نـافِـذَة

مـن السُّموم تبُـثُّ الـدَّاءَ ألْـوانـا

لَا خيْـر فى القـول تُـزجيــه وتُرْسلـه

أَسِـنَّة لُطِّخَـت عـاراً وكُـفْـرانـا

هِـىَ المصـانـع فلتَصنـعْ بهـا أمـــلا

ضَخْمـا فـكَمْ صانَـت الأَيْمَانُ إيمـانا

إن فـاتنـا الأَمْس لَا يَلْـوِي عـلى ثِقَـةٍ

فلْنَنْـس إهمـالَنـا ولْنَعْمـل الآنـــا

نَمْـضى عـلى شُعْلـة الأَهـدافِ صادقَـة

فالخيْـر يُنْبِـت أَنْصـاراً وأَعْـوانـا

أسمح الرجال

قالوا دَعَا الناسَ إلى أدبِه فقلتُ هذا الفضلُ من دأبِه

قالوا أشَاع الأُنْس مجْلُوَّةً سماؤه الحُلْوة فى شُهْبِه

ورغْرَع الآمال فى ظِلِّه فانتعشت تمرح فى حَدْبه

فقلتُ لَوزَارَ الحياحَيَّهُ غِبًّا لعَاف القَطْر فى غِبّه

قد شَعْشع الفَرْحة لا تَنْتهى مِنْ عينه حِينًا ومِنْ قَلبه

يفْرط فى البهجَة موصُولة ويفرط اللؤْلُؤ من سَيْبه

والمزْنُ هذا المزن ما شَأْنُه يدْنُو فَيبْدو البُعد فى قُربِه

يسْأَل لا يَدْري أَمِنْ صَيْبه رَذَاذُه الْمُنْهَلُّ أم سُحْبِه

وقلت أسخى الناس أعْلاهُمُو قَدْرًا وأدْنَاهُم إلى ربِّه

قالوا أفَاض الخيْر فى أهلِه وأغدَقَ الرحْمَة فى شَعْبِه

مكرِّمٌ فى ذاتِه صحْبَه وأنه المكْرَم فى صحْبِه

فقلتُ من رشِّ دُروب الوَرَى بالعِطْر غاب الشرُّ عن دَرْبِه

مَن صَان سِرَّ اللهِ فى سِرِّه رَعَتْه عين اللهِ فِى عَقْبه
وانْحَـدرت أمجادُه رحْمَـةً تزخَرُ بالأَمْجَـاد فى صُلْبه
قالوا سَقَى الناس وأرْوَاهُمُو مُسَلْسَلا يَقْطُـر من عَذْبِه
فسَامِرٌ يَجْنِى الجَنَى صاحِيًا مِن يَنْعِه الغضِّ ومِنْ رَطْبِه
والكُلُّ قد عبَّ عَبِيبَ المُـنَى وكلُّهُـم يَرضُب مِن رَضْبِه
العِلم فى الإِشْراقِ مِثْـل الضُّحى يأْلِقُ بالتِّيجـان فِى رَكْبِه
والشِّعر إِذْ تهْتَزُّ أَطْيَــافُه تَحكِى اهْتِزاز القلب فِى وَثْبِه
مَثَّلْن ما مَثَّلْن إلاَّ ألْمها تَنْسـاب فى الربْرب مِنْ سِرْبه
رُؤىً وأَحلامٌ على يقْظَـةٍ ينشُدْن داءَ القلْب فى طِبِّه
فَياحُبُـورَ الكوْن يا رُوحَـه يا شَرْقه الساطِع فى غرْبِه
حُيِّيت فاقْبَلها تَحَـايا النقا ولَعْلعٍ والجِزْع مِن صوبِه
« ورامةٍ » والناسُ مِنْ حَـولِها وهاشِمٌ يَخْطـر فى شِعْبِه
تُواكِب الفرْحَةَ فى مَهْدِها وتَحْمِـل المِشْعـل فِى رَكْبِه
وتبـلغُ الآفـاق أصـداءَها يَعنُو لها الكَـوْن علَى رَحْبِـه
مَرْهوبَةَ يزْحـم أعدَاءَهـا ما يَزْحَـم المكروبَ فى كَرْبِه

والرَّاية البيضــاءُ فى أَهْلِها   تَخْفِق خَفْق القلب فِى حُبِّه

فاشْدُدْ عليها شَدَّ حامى الحِمَى   قَدْ نال فوْق الأَربِ فى إِرْبِه

الله صَان العَضْب فى غِمْــده   للقَدَر المَخْبوء فِى حُجُبِــه

لا ثورةٌ تجْــدي ولا ثَائِـــرٌ   فالبَيْت لا أَرحَـمُ من رَبِّه

كَمْ نَفْحَةٍ فى طَيِّها لَفْحــة   أَنْكَى علَى المحْرُوب من حَرْبِه

ومَنْ تحــدَّى الله فى مَكْرِه   يذُوب مطـوِيًّا على خِبِّـــه

* * *

صدحة المجد

أَيُّهذا المرَجَّى المُحبَّب فى النفس ... مِثَالا مُحبّبا فى القُـــلوب

والسَّنا صاغه السنا فَتَجـلَّى ... عبقرِيا فى سِمْطِـــه المرْهُوب

والهُتاف الحبِيب يهْتِف بالنفس ... فَتَهْفــو إلى اللِّقــاءِ الحَبِيب

والمُنى والهَنَاءُ والطَّالِـع المُشْرق ... ما إنْ لِنُـــوره مِنْ مَغِيب

إن نُكَرِّمْك والأَمَانى سِـرَاعٌ ... دانيات ما بيَنْ صُبْح قَرِيب

أَوْ نُحَيىِّ فيك البُطــولة رَمْزا ... صَقَلَتْــه مواهِب المَـوْهوب

أَو نُباهى وفى الرِّغَاب رغــاب ... مَسَّها الوَقْد فازْدَهت باللَّهِيب

إنما نُكْبِر الشُّعور ونعليـــه ... فَصَوْت الشُّعور صوت الشعـوب

واحتِفَاءُ القلوب بالمأْمَل الحُلْو ... احْتفاءٌ بِعِـــزَّة المرْغُــوب

وبِعَزْم الدَّءُوب يُثْــأَر للمجد ... وما إن يَخِيب عَزْمُ الدَّءُوب

والحياةُ الحياةُ مَجَــلىغِـلاب ... وعِرَاكٍ . والويْـلُ للمَغْــلوب

إنه السَّعد فى الحياة شُكُول ... بَيْن مَجْلَىٰ شُـروقها والغُـروب

وَطُيوف تحجَّبَت منْ بَعِيـد قَدْ يُعِدْن الذِّكري لِعَهْد خَصِيب

وأَجَلُّ الإِسْعاد ما سَايَر المبْدأ حُــرًّا للمــأْمل المَرقُــوب

وانْتَحى مذهَب المجَـادَةِ طَلْقًا فى مَجَالٍ سامٍ وأُفقٍ رَحِيب

للبِلاد البلادِ للوطَن الغَــالِي طـلابٌ لحفظهـا لِلْــوُثُوب

تحْت ظِلٍّ من الحصافَة والنُّبْل ظَلِيــل من فَيضِها المَسْكُوب

إنَّما تُلْبِس العظـيمَ سجـاياهُ رِدَاءً فوْق الرداء القَشِيــب

ويظلُّ السَّليب من خُلِق المجد سَلِيبا ياويْحَـه من سَلِيب

فالعظيمُ العظيمُ من أَثَّلَ المَجْد بِعَـزم مُضْــرم مَشْبــوب

تَتَسامى فى رُوحه صرخة المجد ولِلمَجد صرخـة فى القُلوب

ثم يَبْدو بِنُوره الساطِعِ المُشْرق فى صوْلَةِ الحُسَـام الرَّهِيب

والدُّنا والحظُوظ تسْتبق الخطْو إليه فى سِلْمِها والحُـرُوب

يا صديقى وللصَّداقة مَعْـنى يَتَجـلَّى فى سِرِّها المحْجُوب

لم أُرِدْ موقفـا يُترْجِم عنــه رُبَّ سِرٍّ يُجلى وراءَ الغُيــوب

إن حَفْلا يُقِيمــه أملُ الصَّحْب بَهِيجًا فى شَكْله المَحْبُــوب

سبَقَتْهم إليه مَفْخَرة الحُب بِلَحْن من الوَلَاءِ طَــرُوب

لِعَروس من الأَمانيِّ زُفَّت فَتَهادت نَجِيبــة للنَّجِيــب

نازعتْنِى للموقِف اليــومَ نفْسٌ تُكْبِر الفَضْل فى الأَدِيب الأَرِيب

قد هَجَرت القَرِيضَ مُذْ نازعتْنِيه صُرُوف من القَضاءِ العَجِيب

واستَحالَ الشَّبــاب يَبْسا فَأَنَّى لِى أُرجِّيه بين يَبْسٍ جَــدِيب

فتقبل ما يشْفــع الحبُّ فِيــه إِنَّه الحب سَاتِر للْعُيــوب

* * *

تحيــة

لشاعر آل البيت الأستاذ محمود جبر بمناسبة صدور ديوانه

أَيُّها الشاعر الَّذِي سَكَب الرُّوح حَنِينا ولَوْعَــة لا تَكِفُّ

فتلقَّتْـه بالنَّسـائِم اسْحَارٌ ووُرقٌ سَوَاكِبُ اللَّحْن هُتْف

شَاقَها البارِقُ المُشَعْشِع بالمُـ زْن عليه سحَائِب اليُمْن وُطُف

فتَغـنَّى به العَقيـقُ « وسَلْعٌ » والمعَانى الحِسَان صُورٌ تُزَفُّ

والمُنَى الحالِمُ المصفِّقُ سِـرٌّ والحَبِيبُ الحبِيب مَعْنًى وَوصْفُ

والهَوَى الكَأْسُ والقلوبُ نَدَاماهُ وقرْعُ الشِّفاه نَهْل وَرَشْـف

وقُبـاءٌ ومَنْ لَنــا بقُبــاءٍ أَلْهَبَتْــه حَناجِرٌ وأَكُــف

وبَنَات النَّجَّار إِذْ طـلَع البدْر هُتافٌ يحـلو ونَايٌ ودُفّ

صُوَر قد بَسَمْنَ فى شِعْرِك الحُلْوِ عليها مِنَ البَشَاشَة لُطْـف

نضَّــرتْها أَمجـادُنا فتَهادَت والمعَانى من قَبْلُ كَادَتْ تَخِف

أيُّ حُبٍ لا يَنْتَشِى بِحمِياه وقَلْبٍ بِذِكْـره لا يَـرِف

أنتَ غُصْنٌ من دَوْحَةِ الحبِّ «ياجبر» وفرْعُ الحبِيب لَيْس يَجِف

* * *

عظيم

تَلُوب فى ذاتِه الأَصْـداءُ ساريةً   مَسْري الحَيَاة على الأَنْفَاس تَنْطَلِق
وتسْتَبِدُّ به الآمـالُ قاهِـرة   إن خَانَه جَلَدٌ لم يُعْيِه رَمَـق
يعيشُها هدفًا يَحْيى له فإذا   تَسَامَقَتْ صانَها الإشْعاع والأَلَق
الرَّوْحُ من روْحِها تَجلو عَرائِسها   والرِّيُّ من رِيِّها نَشْوان يَصْطَفِق
فلاغِراسَ المنى تذوى مَغَارِسُها   ولا مراميه يَدْري سِرَّها أُفُـق
حَشْدٌ تُواكِبُه الدنْيا بِما وَسِعَت   يَشْكولَها الأَيْنَ وخَدُ العزْم والعُنُقُ
عَظَائِمُ تَتَلاقى فى عَزَائِمـه   وزَحْمة لِلعِراك الحَيِّ تَسْتَبِـق
شمائِل راضَها للمجد فائْتَلَفتْ   كأَنَّها الفَجْرُ فى دُنْياه يَنْبَثِق
ونَبْضَة يَتَحرّى فى مسَارِبها   حِسٌّ خَفِيٌّ تُدَاري سِرَّه الحَدق
يَطْـوي المعانى آمالًا مُجَنَّحة   يَحْنو عليها كما تَحْنو وتَرْتَفِق
ويصْطَفِيها فَيُغْليهـا المُهُورولا   يُهَدْهِد الشَّوْقَ إلا الجُهْد والأَرَق
ولَن يُكفكِف دمعًا عَزَّ راحمُـهُ   حَتَّى يَسِيل الدَّم المخْضُوب لا العَرق
آلىَ أَلِيَّتَهُ الكُبري فلا سِنَة   تُداعِب الجَفْنَ أَو يستأْذِن القَلَق
لم تَبْق فى ذَاتِه ذاتٌ تُنـازِعها   فَذَاتُه الحق والإِيمان والخُـلُق

ثلاثية من قصيدة مفقودة

دُنْيا خبرْتُكِ فى نفسى وإن خُدِعَتْ بِكِ النفوس وحَيَّتْكِ الأَغارِيدُ

ما أَنت مِنِّى ولا مِنك انْتَشَى أَمَلي لكنَّ نفْسى هِىَ الدُّنيا هِىَ العِيد

كأَنَّما كُرَبُ الأَيَّامِ مُطْلقَــةٌ وصَفْوُها مُوثَقُ الأَطْرافِ مَشْدُود

* * *

حقيقة في خيال

دَوْحة تَهْزأُ بالقَصْفِ المُريـع وتُنَاجِي الكونَ بالصَّمْت الوَدِيع

ظِلُّها ظِلٌّ لِآسٍ وفَجِيـع وذُرَاها لِغِنَـاءٍ وحَنِيـن

مَشْرِقٌ يَجْحـد نُورَ الفَلَق ويَغِيم الكَوْنُ إنْ لَمْ يُشْرِق

فى سُكون اليَمِّ تحْت الشَّفَقِ هَلْ تَرى قد ضَلَّ مَسْري المَطْلع

أَمْ رجَاءٌ عَافَ دُنْيـا الأَربُع فَتَوارى عن قُلوبٍ وعُيُون

* * *

ذكريات ماجدة

مهداة إلى السابق بالفضل وحسن الافتكار الأُستاذ الأَديب الشيخ محمد سعيد دفتردار وهذه سجعة بدون اختيار :

راجَعْتُ أَيَّامى وصحْـوَ شَبابِى | وهَوًى وقَفْتُ بِه على الأَعْتَاب
ومنازِلًا رُويت بيْن بِقاعِهـــا | أَملًا تضَرمَّ باللَّظى المُنْسَاب
وصِبًا تَمُد له الصَّبابةُ ظِلَّها | فَيموج فى آذيها الصخّاب
وكواكِبا بين المَوَاكِب فى الدُّجَى | وكواعِبًا محـروسةً بِكِعَاب
وصدًى يُغَمْغِمُ بالحنين فآمِلٌ | وَصْلا ومفْجُوعٌ على أَحْبَـاب
وسنًا يُغازِل بُرْعمًا مِنْ زَهْـرةٍ | مخْضلة تزْهُو بِغَيْـر خضَاب
وشذًى لأَطْيابِ النُّبوة والهُدَى | فى رَوْضَةٍ مجْـلوَّة الأَطْيَـاب
لوْلَا مباهِج فى الشباب وعهده | ما عُدْت أَذكُر فى المَشِيب شَبابِى

ولما هتفت بكل أبيض وامضٍ | كالفجرِ يملأُ مهجتى واهابي
أَبقى عليَّ الذكريات كأَنها | فلَقٌ تلفَّع في زحام خباب
ولقد تلفَّت خافقي وتلفَّتَتْ | مهجٌ يخادُعها بريقُ سراب
أَيَّامَ يقترب السحاب من الذُّرى | والطير أَسْراب إلى أَسْراب
والشمس تسكُب في النخيل شعاعَها | كالراح بين صواحبٍ وصحاب

(٢)

وجَنا الرَّعابِيب الحِسان كأَنَّه | كأْسٌ مُصَفَّقة بِحُلْو رِضَاب
والشامِخ التَّيَّاه فى أَمجاده | « أُحُدٌ » يُمثِّل شَمْخَة الأَحْقَاب
ومدارِج الصَّبْواتِ حين تأَلَّقَت | فى « سَلْع » بين أَبَاطِح وهِضَاب
والشعرُ يَسْبح فى العَقيق ويَنْثَنِى | نَشْوان من مَرَحٍ ومن تَطْراب
والظامِئون الوَالِهون تَقَاطَروا | يَتَلَمَّسُون الله فى المِحْراب
ومِنَ الرسولِ على الرِّحاب ظلالةٌ | سرَحَتْ بكل عجِيبة وعُجَاب
نَسَجَت سحائِبُها الوطافُ مسَاربا | من رحْمَة مَمْدودَة الأَطْنَاب
ومشَى بها الكَوْن المُنَغَّم رَجْعه | يَخْتَال بين سَبَاسِب ورَوَابى
والفَرْحَة الكُبْري مَشاعِرُ صَاغَها | سِرٌّ يُهدهد حَيْرَةَ الأَلْبَابِ

مَجْد الخَلِيقة من رِحَاب مُحمد مجْد السَّلام ورحمة الوهَّاب

يا مَنْ يُناشِدُنا وقد جَار النَّوى جُهْدَ البعيدِ وحُرْقة الأَغْراب

ومُنى الدَّءُوب على هُمامَةِ طامِح سِر الحياة ومعْقِل الآرَاب

إنَّا تَذَوَّقنا الهَـوَى وهَـوانَـه فى شَهْدِ غَانِية ونَهْـد كِعَـاب

وتَراقَصَتْ بين العُيُون مفَاتِنٌ من ناعِس ساج ومنْ وثّـاب

ومن الشَّآمِ إلى الجَنُـوب نَوافذُ للفَتْك أَتْـرَابا إلى أَتْـرَاب

كالنَّصْل إن تحبسـه يفرِ قرابَه وَيجُلْ مَجَال السِّحر فى الأَهْداب

ما حققت سلوى ولا روَّت صَدى لكنَّها خُدَع وفَرْط كِـذاب

يا صاح وُقِّيت النَّـوى وشُجونَه إلاَّ نَوًى فى عِزَّة وغـلاب

إلاَّ انتجَاعَ مَرَابِع مأْهُولة بالعـلم والعـرفَان والآداب

إلاَّ لكَشفِ حقيقـة مخْبوءَةٍ قد اجْفَلت فَتَنَقَّبَـت بنقَـاب

إلاَّ عِراكًا للحيـاةِ كرِيمة عزَّتْ بِغَـير أَسِنَّـةٍ وحِرَاب

فالمَوطِنُ الأَسْمى هَوىً ومقاصد موْصُولةُ الأَسْبـاب بالأَسباب

* * *

ومضات

إلى من لا أُسمِّيه تَجِلَّةً وحُبًّا :

يا مَنْ أَراد الظنَّ فاستَنْكَرَتْ   عليه حتى الظَّنَّ أَخْلاقُه

وصارَع الإنسانَ فى ذَاتِه   إنسانُهُ الصَّافى وأَعْمَاقُه

ورَقْرق الجوْهرَ فى حِسِّه   جُفُونه الحَيْرَى وآماقُه

إن حارب الحبَّ بأَوْهَامه   فالحُبُّ لا يَخْضَعُ عِمْلاقُه

أَوْ خانَه النَّبْض ودقَّاتُه   أَو حَنّ لِلسَّلْسلِ دَفَّاقُه

فَلَن يرى فى ذاته غَيْرَها   ذاتًا هِى القلبُ وإشْراقُه

يا مَنْ رأَيت الوَهْم فى عَيْنِه   والوهْمُ قد يَبْرُق بَرَّاقُه

أَمَّا الهوى الحيُّ وإحساسُه   فلن تَضُمّ الدَّهر أَحْداقُه

كَمْ مشهَدٍ مستغْرِقٍ هَوْلُهُ   يجْلو غُيُوم الهَوْل إطْراقُه

والسُّحب مُذْ جَمْجم مَزْحومها   زَحْزَحها المُزْنُ ورقْرَاقه

والدَّمْع فى الحَيْرة لا يأْتَلى   يُخَضْخِض القُــوَّة مُهْــراقُه

والعجْــز عن صدٍّ النُّهى عِــزَّةٌ   فالحُبُّ لا يُحمـــد سَبّاقُه

ومنْ يَجُل فيــه إلى غايــةٍ   فإنَّما الغــاية إخْفـــاقُه

الحب كالطَّـــيْر بآمالـــه   أَجْــواؤه الدنْيَـــا وآفاقُه

* * *

الله فى الحُب . . وفى سِــرِّه   فالله رَاعِيـــــه وخَـــلَّاقه

الرَّحمــة الكُبْري وإظْـــلالُها   والدينُ والعهـــد ومِيثاقُه

ومنْ يَفِقْ من نَشــوَاتِ الهــوي   تَطُــلْ بَلاوِيه وإشْــفَاقُه

ولن يذُوقَ الصَّـــــفْو إلاَّ فَتًى   جَفَّت علَى البأْسَـــاءِ اعْراقُه

على المعانى البِيضِ فى حِسِّها   أمراسُــه شُــدَّت وأَوْثَاقُــهُ

كرائمُ الدُّنْيــا وخَمْرُ المُنى   نَفائِسُ الصَّـــفْو وأَعْـلَاقُه

أَوطانُه الأَغْصـــان مخْضَلَة   أَوديــة يقْـــوى بها ساقُه

والرَّوضُ كل الــروضِ فى مأْمَنٍ   تَسُــد فيــه العُمْرَ أرمــاقُه

لَا مَاؤها رنــقٌ ولا سَـــيْرُها   خوف يُفيضُ العَيْش ارهاقُه

قد سالمتْ حتى وحُوشَ الفَلَا　　　والوحْشُ قد تَحْسُن أَذْوَاقُه

والوحْشُ فى الإِنْســان يا هَوْلَه　　　لذاعــةٌ يَكْــوي وحــــرَّاقُه

وَإنَّ ظُلْم الحَيِّ فى حَيِّـــه　　　شَرٌّ يَهُـــدُّ الحَيلَ إِطباقُه

* * *

ياعيد

ما أَخْطأَ المُتنبِّى فِيك ياعِيدُ فَكَمْ تَحرَّاك مَحْظوظٌ ومنْكُود

وكَمْ توغَّل فى دُنْياك مُنْطَلق مِهادُه بِظُهور الناس مَمْدُود

شَرَابُه من نَجيعٍ مشْخنٍ قَلِق وزادُهُ مُدنِفٌ عانٍ ومفْؤُود

وَراحةُ الأَكْبد الحَرَّيِ التِى اعْتَصَروا حياتَها . دُونها كَرْمٌ وعُنقُود

إذا تَلَامح فى آفاقه شَبَحٌ ضاوٍ أَطاح به كالهَول جُلْمُود

وإن تَلَمَّس ريًّا فى سَراب مُنى عَدَتْ عليه طُيوفٌ عُهَّرٌ سُود

كأَنَّما كُرَب الأَيامِ مُطْلَقةٌ وصفوُها مُوثَقُ الأَطْراف مَشْدُود

وأَنت ياعِيد أَنْت العِيد مااخْتلفت إلَّا عليك الأَمانيُّ الخُرَّدُ الغِيد

تَناحَرَت واشْرَأَبَّت دُون غايتِها وخَانَها فى مَرَاقى العزم تَصْعِيد

وصدَّها المَوْجُ زَخَّار العُبَابِ لَه عَلى المَسَالك إِرْغَاءٌ وتَزْبِيد

وما تَغضَّنَ يُمْنٌ فِيك مؤتَلِق وَلَا تَصوَّح غُصْنٌ مِنك أُملود

ولا ترنَّق صفوٌ أنت رافِـدُه ولا تَجَهَّم فَوْق الأَيْكِ غِرِّيـد

ولا صَحَا الفجْرُ إلَّا فى غلَائِله نَدًى تُرَقْرِقه مِنْك الأَناشِيـد

ولااسْتَوى فى الرِّحاب الفَيح رجْع صَدَى تَحْيابه البِيد أَوتُشفى بِه البِيد

ولااستوي فى العِراكِ الحرذُولِبد ضَارٍ ومنْتَفِخُ الأَوْدَاج رِعْدِيد

ولااستَوَي فى مَجَال الفِكرمُنْجَرِد وغَارِقٌ فى الهوى والهُونِ عِرْبِيدْ

ياعِيدُقل لِبَنى الدُّنْيا وعتْرَتِها أَنتم معانىَّ أَنتم أَهلِيَ الصيِّـدُ

لا تحمِلوا فوْق ظَهْري كُل شَائِنة فانتَمُوا بالمعانى الحُلْوة العِيـد

بالملْتَقَى السَمْحِ بالأَطْيابِ عابِقَةً بالمكْرُمات تَنَاهى عِندها الجُود

بالملْتقى من أفاوِيقِ النُّهى سَطَعَت عليه أَشْذاءُ مَجْد نَفْحُها العُود

بالحب تَصْدحُ فى آفاقه مُهَجُ غَنَّى لها فى ربيع الحُبِّ دَاوُد

فى هدْأَة اللَّيل فى أَطْيافِ سَامِرِه فى اللَّحن يُطْرِب فيه النَّايُ والعُود

فى بَسْمَة الفَجْر فى أَعطَافِ سُنْدُسِه مَوَائس تَتَمنَّى حُسْنَها الخُـود

فى آصِرات الهَوى الغَالى موشجة عَزَّت فلا حاسِد فيها ومَحْسُود

بالزَّحف بار كه وحى مَجَنَّحة فيه المُنى رَائد والعزْم تَجْدِيد

على السَّري ومَضَات مِنْ معاقِلِهم فالمجد مُنْطَلَق والعزْم تأْكِيـد

سَمُوا على كلٍّ وهْمٍ فى عقائِدِهم فالحقُّ أَبلجُ والأَخْلاق تَأْيِيد
والعبْقَرِيَّاتُ شُغْل شاغِل أَبداً يَنُصُّها أَمل يَزْهو بِه الجِيد
فلا فَراغَ يَقُود الناس فى سَفَه إلى الدَّنَايَا إذا هُم ضِلَّةً بِيدوا

* * *

ما ذنبُ سارِية يا عِيد مثقلة بالخير سخرها للشَّرِّ مَوْعُود
ما ذنْب ثَكْلى عَدَتْها رحمةٌ دَلَفَت إلى بغىٍّ لها رَجْعٌ وتَرْدِيد
وأَيِّم ساقَها المقدُور فاقْتَربَت من النِّهاية لا بُشْرى ولا عِيدُ
وطفلة طِفلة كالزَّهْر يانِعة إذا بِها والحَنَان الحُلْوُ مَفقُود
يا عيد كَمْ حِكْمةٍ للدهرِ قَائِلة فى العطف أَسر وفى الإِحْسان تَقْيِيد
يا عيد كَمْ كُرَب جارَتْ ومارَحِمت آثارها مَشْهد فى البُؤس مَشْهود
عاشت على كُلِّ شلوٍ فى الدُّنى فَبكى آمالَه والدُّنَا شاك ومَوْلود
وفى المخاضِ مآسٍ لم تزل نُطفًا لها الرَّدَى قَدرٌ كالموتِ مَحْدُود
ما عافَت الشَّرق عَاشَتْ فى مَرابِعه ومَهدُها بالدم المهْراقِ مَمْهُود
يا عيد نَاشِد بُطولات لنا سَلَفت فَقَد وَهَى ناشدٌ منا ومَنْشُودُ

وغيَّمتْ فى سماءِ الحقِّ غائِمةٌ   فَجاحِدٌ غادِرٌ فينا ومجْحُـود

وفى الضَّمائر من وخْزِ الهوى أَسَنٌ   وفى المشَارِب تَعْكير وتَصْريد

كأننا فى جحيم من مَصَائِرِنا   حتى الظِّلال لها ومض وتصهيد

حتى القلوب اسْتَحالت قَسْوة أَبَدًا   والنَّصل رغْم اقتِحَام الهَول مَغْمود

حتَّام تَصْهَل فِينا كلُّ صاهِلـة   كالشَّاة يركُض فى أَعقابِها السيد

قدغَالَنا الوهْم فىنَفْس وفىوطَنٍ   وللعواصِفِ إنْـذار وتَهْـديد

* * *

تحية وذكرى

أُجِلُّك لا يَحْمى التَّجِلَّة غيرُهَا ولايَتَملَّى العقلُ غيرُ هَوى العقل

وأَحْبوك لا أحبوك إلا مــلاوَةً تَعهَّدها حِسِّى وأَنْضَرهَا سُؤْلى

فَما ضَوَّعَت إلا رجاها وما نَمَت على غيْرروض وارِفِ الظِّل مُخْضَل

فأثْمرها غَرسُ النُّهى بين مربَعٍ زكىٍّ يَتيه الأَصْل فيه على الأَصْل

وبَا كرَهَا حَب الغَمام وَجادَها مِن الغَيْث مُنهل بأَبْيض مُنْهَلِّ

فمَا أَطْلَعتْ إلا فُؤَدًا بِحُبِّــــه بِمعْنَاه لا جَدْب ولا باخِل ضَحْل

حِبَاءَ امريءٍ ما كان لَوْلَاك حَبْوُه خُطًى تَتَحاماهاخُطَى اللَّيْل فى الليل

حِباءَ امريءٍ أَكرمْتَه وهْوَ هيِّن عليك فَزِنْت الحبَّ بالنُّبْل والفَضْل

وأَشرَقْت فى قلب فما كُنْت غيرَهُ وما كَانَ إلَّا أَنت كالمِثْل للمِثْل

على أَنَّك الأَسْنَى حِبَاءً ومِنَّــةً وما أَنا إلا الغِمْد يَفْخر بالنَّصْل

أَجَلْ إنه قَلْبي رَعَتْك عُيونُـــه فَراعَيْتَه والزَّهر يَبْسُم للطَّل

وعاطَفْتَه لا عطْفَة الهُونِ والأَسَى ولكِنَّها الرُّحْمى وُقِيت هَوىالذُّل

وقد صوَّر الوهْمُ المُحِسُّ معانِيًا خَطَرْن ببَالى خَطْرَة الوهْم مِنْقبل

وأَنكَرْت فى وجْهى المعانِى طليقةً أمامك لا كَانَت خَيالاتذِي النُّبْل

وما هى إلا لَمْحَةُ القَلْب مِثْله فأَشْرَقْتَ بالنَّيْل المُدِل علىالنُّبْل

وأَنصَرْتَ ماقد صَوَّح الوهْم عادِيا وأَرْوَيْت رَيَّ الغيث للمُقْفِر المَحْل

فيَاقَلب هلغَيْر الوِدَاد تَصُونَه جَزَاءً وقد ضَاقَتْ بِمَطْلَبِه سُبْلى

فياسَيِّدي والقَلْب للقلب مَنْطِق حَفِيل إذا أَعيتْ مناطِقَة الرُّسل

أَجِبْنى فما أَحْلى معانِيك حُـــرة تَرُوح على رِسْلٍ وتغدو على مَهْلِ

* * *

يا ليلة حوت النبوغ

ألقيت هذه القصيدة فى - تكريم فضيلتى الأُستاذين : السيد محمد شطا والسيد أَحمد العربى (بنادي جماعة المحاضرات) عام ١٣٥٦هـ

أَملا نُحيِّ أَم طَلَائع نَهْضةٍ ... أَكْرِمْ بهم فى محتِد ونِجَار

إِن جَلَّ مركزهم وقصَّر دُونه ... رُوح البيان ومُعْجِز الآثار

فالقلْبُ مِلك يَمينهم لَوْ ساءلُوا ... كَشْف السِّتار لَبَاح بالأَسرار

والشُّكْر أَبلغُ ما يكون إذا وَنَى ... عَنْه المَقَالُ وفائِقُ الأَشْعار

مَرْحى دَعائِم مَجْدِنا فى أُمَّة ... تِمثال مَكْرُمة ورَمْز فَخَار

إِن البلاد سَعِيدة بِشَبابِها ... إن شَعَّ مؤتَلِقًا كَضَوْءِ السَّاري

ما كُنت أَعتَزِم الوقُوف وإِنَّما ... هى نشْوة الإِعجَاب والإِكْبَار

ما كُنْت غير مقدِّم لمُحاضر ... لكنَّ تقْدير النُّبوغِ شِعاري

يا لَيْلة حَوَت النُّبوغ مُجَسَّمًا ... فى نُخْبة هُم صفْوة الأَخيار

أسعَى إِليك كَمَنْ يفوز بِوَاجب لبِلاده في حَلْبة المِضْمار

إن كرَّم النادِي المبادِيءَ حُرَّة في السَّيديْن سَلائِل الأَحرار

فَخْر الشَّباب (شَطَا) وضوءُ كَمَاله أَعظِمْ به من عَسْجَد زَخَّار

والسيد العَربِّى (أَحمد) مَنْ بَدى في النابِغين مُوشَّحا بِوَقار

لا بِدْعَ فالأَملُ الرَّحيب مُتَوَّج بِجُهودهم كالحُسْن في (آذار)

مَرْحى بِجامِعة الإِخَاءَ فإِنَّها أُسُّ النَّجاح ومَبْلغ الأَوْطَار

إِن رَاحَ يَجْمَعنا الوفاءُ لأُمَّة سَادَت بِعِزَّتها مَدَى الأَعْصَار

فَلَنِعْم ما جَمع الوفَاءُ وإِنَّه قَبَس الشُّعوب ورائِد الأَقْطَار

مَهْلا أَخى زَيْدَان إِن جُزْت المَدَى في خِلْسَة فالعَفْو مِنك مُدَاري

ولَسوف تَظْفَر بالمنى إِن قُورِنَت منَّا الجُهُود بِعَزْمة الأَبْرار

وتضافَرت منا القوى وتَسَانَدت في غَيْر مَا نَزَقٍ ولا اسْتِئْثَار

هذِي معَارِف طيبة ما بالُها تَرجُو الكمال بِنَظْرة المخْتَار

وإذا الشَّباب وقَدْ توسَّد أَمرَها تَمْشى الوَرَاءَ فَيَاله مِنْ عَار

• • •

مساجلة بين شاعرين

بين الشيخ القاضى ضياء الدين رجب وشاعر آل البيت محمود جبر

مرفوعة إلى أب الشعراءِ معالى الشيخ محمد سرور الصبان

قال شاعر آل البيت :

وأَشْتاقُ أَن أَلْقىَ السماحَةَ لاالنَّدي ... فَقَدْ عمَّنِي مِنك الندى وأَفَاضا

وأَمْسَى ضِياءُ الدين من بعدها جِري ... ومن عجب أَنِّى أَراه تَغَـاضَى

وما نَصر القلْبَ الجَمُوح بِحُبِّه ... ولا سَاسَ من هذا الجِماح ورَاضَا

رفعْت إلى الشيخ الوزير قَضِيَّتى ... فَهَل جئت يوماً قَاضِياً ويقَاضى

* * *

وأَجاب القاضى الشاعر ضياءُ الدين :

وقَاضَيْتنى يا جَبْرُ فى ظِل دولة ... أَدَار بها السَّاقى المنى وأَفَاضَـا

رُوِينا وأَرْوَينا، ولِلكأْسِ صَبْوةٌ ... مُصفَّقَة تَجْلو النفوس رِيَاضَـا

تَنَفَّست الأَسْحارُ بين ظِـلالها ... فَجَاسَت رُبًى مُخْضَلة وغِياضَـا

* * *

وأَلْبَسَت الدنيا حُلًى عزٍّ وشيُها أَيَادِيَ كالفجر المُشعِّ بيَاضَا

رَعَى الطيرُ فى أَفْيائها وارِف الجَنى فرَاح قَريراً بالحَياة وآضا

وأَخْجَل فيهاالنَّرجِسُ الغضُّ مِثْله عُيُونًا صِحَاحًا فاسْتَحَلْن مِرَاضا

أَجلْ إِنَّه القاضيِالذيرَقْرق النُّهى بِفَضْلٍ حَسِبْناه الشِّفا وعِيَاضَا

سرورٌ ، تحدَّي كلَّ مجد بِمَجْدِه فَقد جَال فى أَسْمى المَجَالوخَاضَا

حَبِيب إلى المَشْكوِّ بَيْن رِحَابه شَكَاوَى لَعَمْري كَمْ مَلأْن وِفاضَا

تَمَالأَ والشَّاكِي عليها فَلم تَزَل طِوالًا على مرٍّ الزمان عِرَاضَا

فيا أَيُّهذا المُرسِل الشَّكْو باعِثًا بهِ الشَّدْو مَنْ قاضَيت لَيس يقَاضى

فَتًى ظمِئَت بالرَّي منه حُشَاشَةٌ ولَمْ يَحْم أَرْبَاضًا لَها وحِيَاضَا

نُفوس وآثام زَحَمْن حيَاتَـــه وعَاشَت به الدنْيا فَجفَّ وغَاضَا

ولكِنَّه مِن جِيرَة عَزَّ قُرْبُهَـــا غَذَاها بالندى من رَاحتَيْه وفَاضَا

فيَا شَاعر البيت الـكَريم وآلِه حَنَانَيك هل جَار النَّبى يقَاضى ؟

فرد شاعر آل البيت على ذلك الإبداع . . . قال : –

بُروقُ أَمَانٍ أَوْمَضَت إِيمَـاضَهَـا فَسحَّ هَتُون الرَّاوِيات وَفَاضَـا

وأَفْلَحْت فى أَنّى أَهَجْت شُجُونَها	فأَتْـــرعَ هذا أَبْحُرًا وحِيَاضَـــا

وكنتَ كَمَنْ يشكو إِلى القَلْبِ مابه	فَفجَّر نَبْعاً كان جَفَّ وغَاضَـــا

ولوْلا شَكاة الطِّفْلِ ما اهْتَزَّ خَافِقُ	بِعَطف ولا قلبُ الصَّغير تَرَاضى

شكوْت وما نَصت شَكَاتى لِحَاذِق	أَدَان المعانى بالبَدِيع وقَاضَـــى

بعثْت له عُجْفًا تَرَدَّت سَمِينة	وَزَاد وأَرْبى لا أَقول وعَاضَا

وأَيْن المعانى البِكْر فى شِعْر شَاعِر	ويا سَعْد من يَجِد النُّهى فَضَّاضَا

وزير النَّدى والنُّبْل والفَضْل والحِجَا	وهاتِيك أَدْوَاح زَحَمْن رِيَاضَـــا

سلامٌ على قَاضِى القَرِيضِ وعاذِرٌ	بَسَطْت له عُذري فَهَل يَتَغَاضى

* * *

سحر الكراسي

يشُدُّ إلى سِحْر الكَراسِي حَيَاتَه ... ويَرجِعُ بعد الفَوْت ينْشُد ذَاتَه

فَلَا ذاتُه أَبْقى ولا مَجْد واهِم ... بِأَنَّ حياة الوهم تُبقى حَياتَه

تَلمَّس فى تلْك الأَرائك نَشْوةً ... تَخيَّلَها صَحْوًا فَـكانت سُبَاته

وأَغْرق حتى لَا يَرَي غَيْر نَفْسه ... سِواهَا وإِلَّا ، لَاتَهُ «ومُنَـاتَهُ»

وفاقَ على سِرٍّ الحقيقة صَارِخًا ... فأَجْهَش اثر الرَّكْب والركب فَاتَه

وهَزْهزةُ الكُرسيِّ هـزة عابِـثٍ ... فأَقْصاه واسْتَعْدى عليه رُفاتَـه

وقَهْقَه يَسْتَدْنى إليه لِدَاتَـهُ ... وأَعْول يَسْتَعْدي عليه عُداتَه

وقال له أَهْوى الدَّمى ويَلذُّ لِي ... هَزِيل المعانى لا أَدَارِي شَمَاته

تعبَّد بِى فى صَوْمه وصـلاته ... فَضَيَّع حتى صومَهُ وصَلاتَه

وَيَا طَالمَا هزَّ الندِيَّ مُغَـرِّدٌ ... بِحَمْدي فما أبقيت حتى لهَاته

لَقدْ مَات فى المَوْتى وزَاد عليهمو ... وأَحْلِف أَنِّي قد نَسيت وفَاتَه

التاريخ الشامت

وتَمطَّى التاريخ شَمْتَان واسْتَرْخى فأَحسَسْت فى المَفاصل ضَغْطَه

صَارِخاً نَاعِقاً كَعْبٍ حَقُود شَالَه فوق رأْسه ثم حَطَّه

كان ربُّ اليَراع سِبْطى فَهَل يَخْدع ربُّ اليَرَاع فىالكوْنسِبْطَه

أَنَا أَلْبَسْتُه القَلَائد مِن حُرِّجُمانٍ فَمزَّق اليوم سِمْطَه

* * *

قد وطأْتُم أَمجَادَكم وعُلاكم شرُوطمن لَم يَرْع إلَّا وَمَهْ

أَنْتُمُوا أَنتموا الذي شَرب الكَأْس المُصفَّى على رَوَاسِب رِمّه

* * *

كِلْتُموا المدْح والثَّناءَ لِمنْ شَوَّه أَزمانكم بِظُلم وظُلْمَه

ما اسْتَحيتم وقلتُمُوا صانع المَجْد تَبنَّاه قِمَّة فوق قِمَّه

* * *

ويْحَكُم تخْتَفُون إِذَا ما حَصْحص الحقُّ واسْتَدار الزَّمان

واسْتَفَاق أَشَدُّ واسْتيقظ الوسْنَان وأَنْقَد فى السِّباق البَنَان

سَوْف تَنْصَبُّ فَوْقَكم لَعْنَة العصْر بأَبْعـادِه ويَفْنَى الأَوَان

وتَمنُّون لوْ تَذُوبون فى اللعْنة لـكِن لم يُسْعِف الذَّوَبَـان

* * *

وتَضاحكْت ثم قلت له رِفْقًا فقيل الوجود حُمَّ القَضَـاء

ليس فى الكون غَيْرَ ماضَمَّت الأَرْض وماأَنْزَلتْ علينا السَّمَاءُ

ما لِهَذِي الحياة ماضٍ ولا آتٍ ولا حاضِرٍ لَـه أَمْـدَاءُ

هِى تاريخه الحىُّ أَنفاسٌ وظرفٌ كما يَشَـاءُ الفَنَـاءُ

ثم يَجْري القَضاءُ بالبعثِ والبعثُ امتِدَاد ولا يعتَريه فَنَاءُ

• • •

فدَع النَّوْح والعَويل ولا تَرْجُف فَطبْع الأَشياء ضِدّ السُّكون

فإذا كُنت من مِداد وطِرْس والمعانى من جَوْهر مَكْنُـون

فَتَحمَّل وزْرَ الوعاء الذي مزَّق أَحْشاءه صِراعُ السِّنيـن

ذَاك شأْن الغُرْبال يُلقى الذي فِيه بحُسْبان مُطمَئن ضَنين

وإذا كُنْتَ من تَجَاديف طِين فالذي فِيك أَصْلُه من طِين

منك يا صَاح طِينَة الأَمْس أما اليوم فَالطِّين صَائر كالعَجين

كُلُّنا كلنا شَجٍ فَتَرفَّق لا تُحَرِّك نَوازِعى وشُجُـونـى

وتَلَمْلم واستَبق فى القَاع إن شِئْت ظِلالًا من طَيْفِك المَسْجُون

بيني وبين الدينار

وأومأَ بالفِتْنـة الصَّارِخة على قِمَّـةٍ صَعْبة شـامِخَة
بِتلك الأَنامـل غَلاَّبُهـا حَكى الزَّهْو فى الرَّوعَة الباذِخَة
يقول هَلُمَّ فَهذي الحيـاةُ بِدُونـى كالِحَـة ماسِـخَةُ

* * *

وما طَابَ لى غَيْر حَطْم العَيُوف وأَخْلاقُه الساهِيَات الأَبِيَّة
أرامِقُ حاجَـاتِه الـكارِبَات يَلح صَبِىٌّ بهـا أَو صبْية
فانفُذ كالسَّهم من بَيْنِها وازْهُو بِمَصْرع تِلك الضَّحِية

* * *

وحمْلَقت فى خادِع ماكِـرٍ يُقـامِر بالشَّـرَف الغـامِر
ويمْتَصُّ فى نَشْوة السَّاحِـر إِبَاءَ الكَـرامة فى الصَّابِر
وأَشْقَى البَلاءِ هوانُ الكريمِ بِبَابِ لَئيمِ الخُـطى هَادِر

بما فيه مِنْ ذُلِّه يُرتَجَـــى مذَلَّة عَـفٍّ اليَدِ الطَّاهِـر
وحِين يَشِيم بَرِيــق النُّضَار إذا هُو كَالرَّاكِع الصَّاغِـر

* * *

شحِيح النُّهى مِثْل شُحِّ الفُؤَاد ثَقِيل على البرِّ والفَاجِـر
ويهْربُ مثل هُروبِ الجَبَان من الأَسَد الزَّائر الـكَاسِـر
ويخْشَى على المالِ هَبَّ النسيم وتُرْعِبُــه نَظْـرة الناظِـر

* * *

فَمَا الصَّحْب فى ظِلِّ تقْدِيــره سِوَي طُغْمة عشِقوا مَا لَــه
تَنَاسى على الخصْب أَحوالهم وأنكر فى الجَدْب أَخْوالـه
كَـذلِك عُبَّــاد دينَــارِهم حَقِيرُون . والله . أَمثالُـه

* * *

فَيَا ابنَ الكرامةِ خُضْ للعلوم بِحَارًا من الفَيْض لا تَنْفَذُ
وطأْطِئ لها الرأْس حتى تَغُوص فَــكَمْ غائِص دُونه الفرْقَد
ومَنْ ذَلَّ للعلم ذَلَّتْ لــه رُؤُوسٌ ودَان لَــه السُّؤْدَد

* * *

مجد الأدب

أَدَبُ المجدِ ومجدُ الأَدَبِ　　خيرُ أَثْوابِ الخُلود القَشِب

فَالْمَعالى فى ذُرَاهــا شُهُبٌ　　والإِطَــارَاتُ رِدَاء الشُّهُــب

والمعانى البِيض يعْرُوها البِلى　　حِينَما تأْوِي لِجُحْـرٍ خَرِب

رُبَّ سِرٍّ غامِضٍ قد صانه　　فى الجَمَال الحُرِّ نَسْج الذَّهَب

وثِمَار منْ جَنَا الفِكْر ذَوَتْ　　فى أَكُفٍّ بَادِياتِ العَطَب

مِثْل ما تَهْوي صُرُوح رَفعِتْ　　فى بِنَاء عائم مضْطَــرِب

دوْحَةُ العِرْفانِ مجْدٌ باذِخٌ　　ضوْؤُها الحَرْف كَظِل الكَوْكَب

والبُطُــولاتُ وأَمْجادُ النُّهى　　والخَيَالاتُ ورَاءَ السُّحُــب

والثَّقافَاتُ وسَاحَــاتُ الوَغــى　　وهَوى الفَنِّ ودُنْيا الطَّــرب

والسِّيَــاسَات ومــا تقــاسُ　　من شُجُون وشُئُون عَجَــب

كلُّها من مُزْنَةِ الحرف ارْتَــوت　　فَتَــلاقتْ كلِقَــاء النَّسَــب

فى دَم حــرٍّ كما تَهْوى العُلا　　طَيِّبَ العِرْق وشِيجَ القُرَب

الثلاثيات

يَا صديقى الذي تألَّق فى اليُسْر حَفِيًّا يَري بِقَلْبِى وَعينى

كَيْف أَصْبَحْتَ كيف حالُك يا حُلْوَ التَّغَني وياجَمِيلَ التَّثَنى

أَيْن مِنِّى هواك فى ساعة العسرَةِ قُلْها عَساي يَكْذِبُ ظَنى

* * *

وتَعَالى الصَّدى يُقَهْقِه يا وَيْحُ غَبِيٌّ يَرَي السَّرابَ كَمُزْن

كان لى يَوْمَ كان غَضَّ الأَسَارِير فَذَاك الهَوى الذي كُنْتُ أَعْنى

كلُّ ما بَيْنَنا عَواطِفُ لا تُسْمِنُ يوما ولا مِنَ الجوعِ تُغْنى

* * *

الوِدَادُ الرَّسْمي صِدْق المَعَايِير إذا قِسْتَها بِكَيْل وَوَزْنِ

وابتِسَاماتُنَا الغَنية كالحِلْيَة والسِّرُّ فى الجُيوبِ يُغْنيٌ

نَتَبارى فى الأُمْنيات لِبَعْضٍ ثمَّ لا شَىءَ غيْرُ ذَاك التَّمَنِّى

الناقد والمنقود

الناقِد الحُرُّ مَشَّاءٌ على سَنَن أهدافُه البِيض قَدْ شَدَّتْ مَبادِئَه

حتَّى يَرى نفسَه فى النَّقْد ماثِلَة ولو رَأى ذَلك المنْقُود شَائِنَه

يَجْلو المِحَاسنَ فى قَصْد وفى أَدَبٍ كما يُعالِجُ فى رِفْق مَساوِئَه

فالنَّقْدتَصْفِيَة كُبرى وتَنْقِيـة لا جَمْر يَحرِق بِالنِّيران واطِئَه

فَلَنْ يُجامِل منْقودًا بِمَحْض هَوَى ولن يَثُور عليه أَوْ يُنَـاوِئه

كِلاهُما فى كُؤُوس الفنِّ غَمْغمةٌ وطَالَما قد تَحدَّى الكأْس مالِئه

ورُبَّ مُستَهْدِف يَلْوي به هَدَف وربَّما مَزَّق المْكلُـوءَ كالِئـه

والنقد إنْ جَلَّ عن هدْمٍ ومنْقَصَة بَحْر منائره تحيي موانِئـه

وليس سَهْلًا فَحُرُّ النَّقْد هَنْدَسَة تُقِيم مُعْوجَّه : تُقْصى نَواتِئَه

صوتُ الضَّمير وسِرُّ الذَّوْقِ جَوْهره كمَنْ يُراقِب : فى نَجْواه بارِئَه

* * *

الصـــديقان

عَرفْتُهما قبل أَن يُعـرُفَا مُضيئين فى الوِدِّ كالمَقْتَلَين

لقد رَضَعا من لِبَان الصَّفَا كأَنَّهمــا صاحِبَــا الرقْمتَين

واسْعى لِدارَيْهمــا طَائِعًــا كَمَنْ خَفَّ للسَّـعْيِ فى المَرْوتَين

وعَاشا على الحُبِّ ما أَخْلَفَا له مَوْعدا يُبْعِد الخَطْـوَتَين

فَغَار الصُّدودُ وغار الجَفَا وهَمَّا بما يُوغِـر المُهْجَتَين

فَقَد سَاوَمَا الجَاه أَن يعْـــزِفَا على وَتَرٍ واحِـدٍ نَغْمَتَـين

فَواحــدة تَشْطُــر الأَحْــرُفَا كَما انْشَطرتْ نَجْمةٌ نَجمَتَين

تُريك التَّنَافُسَ كَيْف اصْطَفا وشَاحَ المعاركِ فى الجَبْهتين

وزحْمَتــه تُلهِب الموْقِفَــا فَتَجْعــل عَزْفَتــه عَزْفَتين

وثانِيــة النَّغْمتَيــن الــوفَا تُصَــوِّره ثَانى الْخُدْعتَــين

ودَارَتْ حُميَّاهُمــا قَرقَفَــا لَها أَلق الصَّحْــو فى الجَمرْتَين

وعبٌّ طَريفٌ فلما اختَــــفَى عن الحِسِّ يَسْبح فى الضَّفَّتَين

تَخَيَّل أن السِّماكَ احْتَفى بِمقْدمِه حامِلًا شَمْعَتَين

وبدْر السماءِ له قَدْ وَفَا وحَيَّاه مبْتَسِما بَسْمَتَين

وفَوْق الذُّرى الشُّم قد رَفْرَفَا يُواكِبُ فى الجو شَحْرُورَتَين

رَأى الوِدّ بينهما عَازِفًا صَدَّي فَرْحَة أَشْرَقتْ مَرَّتَين

ومَهْما قَسَا الدَّهرُ أو أَنْصَفَا لَصِيقَيْن شَبًّا على الحَالَتَين

ومِنْ عَجَبٍ أَنَّه خلَّفَا صَديقَ الطُّفولة فى كربَتَيْن

ولم يَتَذكَّرْ بِه الموقِفَا فَقَدْ عظُمَ الخُلْفُ فى النظْرَتَين

ولكنَّ تَوْأَمَه المُنْصِفَا « ولِيدًا » تألَّق فى دمْعَتَين

وشَقَّ الطَّريقَ كَما أَسْرَفَا إلى وِجْهةٍ لَا إلى وِجْهَتَين

فَثَبَّتَ أقدامه واكْتَفَى بِعَذْبِ النسيم من الشُّرْفتَيْن

ومَن أَحْكم الهدفَ الهادِفَا إلى اللَّيثِ لَم يَنْتَظِر قُبْلَتَين

ومنْ جاوَر الشادِن الأَهْيَفَا فَلَيس كَمن يَمَّمَ القِبْلَتَين

وطَارا إلى الجدِّ هذَا وفَا لهُ حقُّه فى « رُبى » المكَّتَين[1]

---

(١) يشير الى من فرق بين مكة وبكة فى المدلول

* * *

ويحْلو خِصام العُلا عَاصِفـا فليس سِوي وَهَج الحِقْبَتَيْن

وموتُ العُلا كالهوي إن شَفَا عَلِيلا نَمُوت بـه مَرَّتين

وَأَرَّقَنى سامِقٌ قَدْ عَفَـا وذَابَتْ معانيه فى لَحْظَتَيْن

وفى نَشْوةِ الجِد لمَّا غَفَـا تَقَطَّع محْتَرِقا قِطْعَتَيـن

وقَدْ وخط الشَّيبُ عهْد الصَّفَـا وعَهْدَ شَبَابِ المُنَى وخْطَتَين

وما رَاعَنى بَعْد ذَاك الجَفَـا وبَعْد القَطِيعة فى الذُّرْوَتَيْن

سِوَي نَغَمٍ حَرَّك المعْـزِفَـا وبحتّـه مِنْ صَـدَا البحتيْن

وفى الجِدِّ معنًى غريبُ الصِّفَات على الدَّرب لا يقْبَل الزَّحْمَتَيْن

فإن أَخْصَبَتْ فَتَرات الجَفَاف اطمئنًا إلى شامِخِ القِمَّتَين

فَضَمَّهُما ضَمَّة اعْنَفا من الحب رَقَّتْ بِهِ برقتين

* * *

عندما يبكي العقل

أهدي هذه القصيدة إلى نوعين : من الناس الذين عرفتهم وجهلوني والذين عرفوني وجهلتهم .

تُسَائِلنى كيفَ الْتقَينا على هَوًى ... شَحِيحِ المعانى كُلُّ أرباضِه مَحْل

فما آنسَتْنَا فى فَيافِيه نَسمةٌ ... ولا طَلَّنا فى جَوْفِه أَبدًا طَل

ولا ظَلَّلَتْنَا فى سُراه سَحَابَة ... ولا بارِقٌ حَتَّى ولو خلبٌ ضَحْل

رَضِينا بأَشْواكِ القَتَاد وماارتَضَتْ ... فَيَاويْح سَارٍ عَافه الصَّعْبُ والسَّهْل

ودُرْنا ودَارَتْ حولنا البِيدُ هَلْ تَرى ... جُنِنَّا أَم البَيْداءُ قَدْ مَسَّها خَبْلُ

وما أَنَا فى شكٍّ من الحب إنما ... تَعجَّبْتُ هل للنار من جَمْرِها ظل

أَجَلْ فى اللَّظى عِشْنا.وفى القلب جَنَّةٌ ... لَها شَفَقٌ يَزْهو بِحُمْرته النَّخْلُ

وفى عُنفوَان الجَدْب تُخْصِبُ لَوْبَدتْ ... بَوادٍ من النعمى يَلِجُّ بِنا الْوَبْلُ

أَجَلْ فى حَواشينا تَرِفُّ خَمِيلةٌ ... رَبِيعيةُ الأَنداءِ تَزْكو وتَخْضَل

لَها أَلَقٌ أَمَّا إذا الشَّمس زَاوَرتْ ... فيَصْحو وبالمُزْن العَقِيقيِّ يَنْهل

ونَصْحو على هَمْسِ الكَرَى مثلَ ما صَحَت ... على النَّرجِس الغَفْوَان أَعْيُنُه النُّجْل

ضَحِكْنا فَعَبَّ النجمُ نَخْبَ شعاعِه ورقَّتْ عُرُوق الأَيك تَغْفُو وتَنْحَل

وغَرَّدَ لحْنٌ عبْقَرِيٌّ كأَنَّما تَعجَّل ضوْءَ الفجرِ طَال بِه الليل

فقلت لها يا ميُّ للحب مَنْطِقٌ فَرِيدٌ فَلَا زَمْرَ لَدَيه ولا طَبْل

مَطَالِعُه فَوْق السَّحابِ فإن دَنَتْ مَنَازلُه فالحُبُّ مِنْ دُونها يَعلو

وأَجْواؤُه حُمْر المَطا لَا قَشَاعِمٌ تُزَاحِم عُقبانا هُنَاك ولا جُدْل

ولا نَهْجُه نهجَ القَطا وهْوَ سَابِح ولا لِمَرامى شَأْوِه أَبدا سُبْل

إذا حَارب الهَادُون جَهْلا بعلمهم فَعِلمُ المُحبين الغَبَاوَةُ والجهل

وَإِنْ ضَحِكَ القلب الشَّجِيُّ وَرَاقَصتْ مَعَانيه أَطيافَ الحياةِ بكى العقل

• • •

عندما يضحك الدم

وغَرَّدَ في «ميٍّ» نَحيبُ مُهَدْهَدٍ ... وَوَمْضٌ تَوَارى بَيْنَ أعطافِهِ سُؤْل

أَتَعْرِضُ للحُب المُوشَّج سَلْوَةٌ ... أَيَسْطُو على أَعْراقِه : العِزُّ والذُّل

أَيَعْروه ما يَعْرو الربيعَ أَظَلَّـــــه ... خَرِيفٌ فَيذْوي في الغصونويَنْسَل

وهَلْهو مِثْل الكون يرجفُ إن عَدَتْ ... زلازلُ أَم تعدو رواسيَه البُسْلُ

وهل لِسُمُوم الشكِّ والغدْرِ جوْلة ... تُحَاوِره حتى يرثَّ له . حَبْل

وكيفَ يجُور الحبُّ والسِّرُّ واحدٌ ... أَمَا كَان مِثلًا حين قال هُو المِثْل

فَقُلت خَلَاك الذَّم قد يحْجُبالسَّنَا ... دَبِيبٌ : كما دَبَّت على رِزْقِها النمْل

خَفَاءٌ بِلا ذَنْب لِجَانِيه لَوْ دَرى ... لَكَان لَدَيه الموتُ أَسهلَ والقَتْلُ

وما هُو لُؤْمٌ فَالهَوى حُلَّ أَمْرُه ... وكَمْ في سبيل الحب يَمْتَنِع الْحلُّ

رَقيقٌ كَحدِّ السيف أَما صَفَاؤُه ... فَبِالعَيْن مِنْ إشعاعه النَّهْلُ والْعَلُّ

وكَمْ مِن دم في العِرْق يَجْريوَرَاءَه ... دَمٌ ليس مِنْه قد يَمُرُّ وقد يَحْلو

ويا وَيْلَنا من ضِحْكَة الدم لَيْتَنَا ... ضَحِكْنا عليه قبل أن يَضْحَكَالعَقْل

* * *

دودة القز

حَسِبوا أَنَّها إذا نَسَجَتْ نسْجًا جميلا يمْتَصُّها فَتَـــذُوب
وهْيَ فى جُهدِها المحجَّبِ تَحْيا فى جَدِيدٍ هو البَقاءُ العجِيب
لِمَ هذا وكيف ؟ ذَلك سرٌّ فى مَدَارَاتِه الحياة تَلـــــوب
هو حِينًا يَبْدو على النَّسَقِ العالِي وحِينًا بيْن الضَّبابِ يَغِيب

* * *

كَتَمْت أنها تُمَزِّق ذاك النّورَ من جُهْدها كما تَشِعُّ الكُروب
ثُمَّ تغْدو فَراشة فى انطِلاق تَنْفُث « البَيْض » بالحياة يَؤُوب
إنه بَعْثُها الجديد ولَوْلا ذَلِك النَّسْجُ لاحْتَوَاهــا المَغِيــب
كم غُروبٍ يَلُوح منْه شُرُوق وشُروق يُطِلُّ مِنْه الغُرُوب
فالذي يَسْرِق الحياةَ من الموت يُوفىَّ له كَما يشاءُ النَّصِيب
إنه البَاذِلُ الحَياةَ لأَسْمى ما يُرجِّيه فى الحياةِ دَؤُوب
للبَقَاءِ الجميلِ فى الأَثَرِ الأَبْقَى وبالمجد لا تَضِيق الدُّرُوب

* * *

لم يكنْ بذْله لأَجل مُرَادِ النَّفْس فالعَاشِقُ المُرادُ سَلِيب
وخَصِيبُ المنى على شهْوة الذَّات وإنْ فَاض فَيْضُه لَجَدِيب
جَوْهَر المَجْد فى معانِيه فَرْدٌ لَا يطِيق العَذُول بَلْ يَسْتَرِيب
شَرَفٌ واحدٌ إذا مَزَجُوه بِهَوى غَيرِه عَرَاه الشُّحُـــوب
شَرف سِرُّه الجمالُ المصفى ضَوْءُه فى شُعَاعِه مَسْكــوب
ذَائعُ الدِّفْءِ شَائعُ الحُبِّ لا تَرْقصُ إلَّا على سَنَاه القُلوب
مَا لَه من جَدَاه أَدنى نَصيبٍ مَا لَه فى ارتِفَاعِـه مَنْسُـوب
اللَّذَاذَاتُ عِنده فى الوَغَى الحُرَّةِ يُدعى لِخَوْضِها فَيُجِيب
وأَمَانيه أَن تُزف الأَمانى فإذا طَابَتْ الحياة يَطِيـب
وتَلُفَّ الحياة آصرة الرّحْمى سواءٌ بَعيدُهـا والقَرِيب
انَّما تضحاك الكُرُوبُ وتَمْتَدُّ إذا ضَاق بالحياة غَرِيب
حيثُ لا غُربةٌ إذا صَدَق الحِسُّ فَما فِى الوجُود إلَّا نَسِيب
وعَطَاءُ القُلوبِ أَسمى عَطاءٍ واهبُ الحب نَفْسُهُ الموهوب
كُلَّما صَفَّق المُدَامةَ ذواقٌ شذاها يَبْقَى السَّنا وتَذُوب
وتَعيش الظِّلالُ حَرَّكَها الوقْدُ وَحلى أَطْيافَهُنَّ اللَّهِيب
واسْتَراح الكَمالُ فوق مَدَاه وتَسَاوى المُحِبُّ والمَحْبُوب

* * *

إلى تهـــاني

دخلت غرفة ابنتى « تهانى » فى البيت وهى فى المستشفى تعملُ عملية الزائدة : فنظرت إلى صورتها و كتبت تحتها هذه الأَبيات :

لَا خَلا : منكِ زمانٌ لا خَلَا : مِنك مـكــانٌ

يا ابْنَتى قد غِبت أَياماً لها شَانٌ : وشَـان

فَصِغـارُ البيتِ غَذَتْهـم وإِيَّـاكِ لِبَـــان

فى دُعـاءٍ : عنـه لم يَفْتـرْ جَنَـان : ولِسان

يــا تهـانى كُلُّـكم عِنـديَ أَمْـنٌ وأمــان

فَـرْحـة تَمْشـى وأَكْبـاد حواشِيهـا حنــان

وعُقُـود حَالِيـات أَنْتُـمو : فيهـا الجُمــان

وأَزَاهِيـــر ربيـــع غَـارَ مِنهـا الأُقْحـوان

ستَعُـودين كَمَـا عـــاد بِنَعمـاه الزَّمَـان

إن تَـكُن « زائـدة » عِندك تُقْصَى وتُبَـان

فَلَقَـد تـكمُل بالنَّقْص كِعَـاب : وحِسَـان

وعـلى الإيجـاز كَـمْ يَحْلو حديث وبَيَـان

والـذي زَاد عـلى زَيْـفٍ طِـلاءٌ ودِهَـان

إنَّهـا سَبْعَـة أَيَّـام وإن زَادتْ ثَمـان

وتَعـوديـن كَمَـا عـاد بِنَعْمـاه الزَّمـان

قـد حَمِـدنا الله والنّعمـى بِشُكْرانٍ تُصَـان

* * *

فَلَـكمْ : مـرَّ على الخاطِر مَعْـلولٌ مُهَـان

مـا لَه ضِلْع ولا رِيش وفى الـرِّيش الـكِيَـان

كَـمْ كـريم قـد تَخَطَّـاه لئيمٌ أَلْعُبَـان

ليس فى الوُجْدان رُحْمى ليس فى الـكَفِ لسان

يا ابْنَتِي : الصِّدْقَ فإنَّ الصِّدْقَ نِعْم التَّرْجُمـان

مثْـل ما نَعْمـل نَلْقى وبِمَـا دِنَّـا نُـدان

والذي يَسْعى لِهـوْن الناسِ : لا شَكَّ يُهـان

حسْبُنــا الصحــة والعفْو فَذَاك : الصَّوْلَجَــان

وهمــا السِّــر المُرْجى حِين يَشْتَــدُّ الزَّمَــان

وهُمَــا الخَمْــر المصَفَّى ليس ما تَسْقى الدنَان

وهمــا النَّعْمــاءُ لا يَهْــرم فيهــا العُنْفــوان

فارْقُبِى السَّعْد كما تَهْوِين قد آن . . . الأَوان

إنَّ مــن يطــرُقُ بــابَ الله محْفُوظ مُعَــان

مِثْلَمــا يَقْهَــرُ حُــرَّ النفس رِعْدِيــدٌ جَبــان

أَوْ يَصِــد فــى عَــكِــر المــاءِ دَعِــىٌّ بَهْلَوان

* * *

شاعر الأمس

يا شاعرَ الأَمسِ كان الأَمسُ رابِيةً ... مِنَ العقيق عَليها تَنْطفُ السُّحب
تَهْتز أَعْطافُها فى مَحْمَلٍ عَجَب ... الفرْحَة البِكْرُ من أَرجَائه تَثِبُ
وللْمَها العِينِ خَطْوٌ فى مَدارجه ... والبدرُ يُسْفِرُ أَحْيَانًا ويَنْتَقِب
نَشْوانَ فى عَبَق هَيْمان فى أَلَق ... الْعَيْنُ فى ضَوئه تَنأَى وتَقْتَرِب
وللثُّرَيَّا حفيفٌ حوْل هَالَتِه ... كَما يَئِن بِجُنْح اللَّيل مُغْتَرِب
كأَنها فى رِحاب الخُلْد غَانِيةٌ ... أَثْري بِها الحُسْنُ حتَّى شَعْرُهاذهب

* * *

يا شاعرَ الأَمْسِ روَّتْك الحياةُ هَوًى ... غَضًّا تمنى شَذَاه الكَرْمُ والعِنَب
تموج فى سُبَحات مِنْ عوالِمِها ... كمَا تَمَاوج ليلٌ فِيكَ مضْطَرِب
سوادُه كسَوَاد العين مُأْتَلِقٌ ... بِنُور إِنْسانها والمُلْتَقى عَجَب
الحِسُّ رافِدُه الأَسْمى ورائِده ... والحسنُ مُنْطلق شُقَّت له الحُجُب
طِباعُه كطِبَاع الليل رَفْرَفَةٌ ... فَوْق المَدى ورِحَاب مَا لَها طَنَب
تَمُدُّ للحب أَسْبَابًا مُغَرَّبة ... أَحلامُها نَغَمٌ أَسْرارُها قُرَب
لا تَأْلَف القيدُ يُمْليه النُهى قَدْرا ... يجري على سَنَن تَعْيا بِه الحِقَب

فللنُّهَى شِقْوة من عَجْزِها نَصَبت | شِرَاكها تَتَحدى وهى تَنْتَحِب
ياشاعرَ الأَمس كان الأَمْسُ أَجْنِحَة | كَأَنها من خِضَاب الحُور تَخْتَضِب
ظِلَالُها كَرِياض الخُلد ضَاحِكَةٌ | وسِحْرُها من حُميًّا الخُلْد مُنْسَكب
شَبَابُها من شباب الرُّوح مُصْطَفِقٌ | والأَنْجم الزُّهْر فى أَقْداحه حَبَبُ
فَلَيس تَهْرمُ فى أَعْماق نَشْوته | إلا السِنين عَليها تَضْحك الشُّهب
فإِنْ نأَتْ بِصُروف الدهر بَهْجَته | هَبَّت لِتُرجِعه الذِّكري فَيَقْترب
وإنها من لُهَابِ الروح جَذْوَتُه | وكَم شَبَابٌ خبَا فى شَرْخِه اللَّهَب
ياشاعر الأَمسِ عادَ الأَمسُ اصبغَةً | وأَفؤساً فى بُطون الغَاب تَحْتَطِب
ومُدخِنات لَظًى قدْ راح يَنْسِجها | من القتَام هَدِيرٌ لَحْنُه صَخِب
حتى المظَلَّة كانت فَيْءً حَانيـة | يَحْنو على صَبّها من ظِلِّها سبب
عَادَت وسيلة فَتْك نَسْجُها حُمَم | يَجُرها عَسْكرٌ مُسْتَهْتِر لَجِـب
فَاعْجب لِمُنْتَحِر يرْمى فَريسَته | وربَّما مسه منْ دُونها العَطَـب
ياشاعر الأَمس هل نَمْضى علىسَنَن | تَشَعَّبت فى مَلاوِي خَطِّه الشُّعَب
وأَيُّ ظِلٍّ خَيالٍ لم يَلِدْ نَسَقا | من الحَقَائق حتى اللَّهْو واللَّعب
ياشاعر الأَمس دعْهُم تِلْك تَجْرُبة | تَمُر والأَصْلَحُ الأَبقى له الغَلَب

* * *

أدوا الأمانات

أَدُّوا الأَمانَاتِ إلى أَهْلِهـــا تَعِبْتَ: من « بُكْرا » ومن ظِلِّها

مَمْطوطة تَسْبح فى عَرْضِهَا ورُبَّما تسبـح فى طُولِها

فى سَبْخَــةٍ زعمــوا أنهــا خَمائلُ الأُنُسِ على مَحْلِها

لا أَشْرقَت شمسٌ على أَرْضها لا رَفَّ قِمْـرِيٌّ على نَخْلِهـا

أَتْعَبَـنِي هذا الصَّديقُ الذي أَودَعْتُـه أَلْفَيْن مَع مِثْلِها

وطالَت الغُـرْبةُ مَشْـــدودة لِكَربــة أَخْبط فى لَيْلــها

خَابَرْتُــه قلت له أَدِّهَـــا بِبَعْضِها إن شِئْت أَو كُلِّها

إلى وكِيلى حَامـدٍ إنَّـــه أَسْلَفَــنى أَكْثر من جُلِّــها

فَردَّنى يطلب أَنْ أَحْضُـــرا بالذَّات أَو أُحْرَم من نَيْلِها

وقلتُ للنفس على غُصَّــةٍ هَيَّا إلى الْمُودَعِ مِنْ أَجْلها

لعَـلَّه خَيْرٌ ولَوْ مَــرَّةً واحِـدة : أَنْعَم فى سَهْلِــها

ولم أُكَذِّب خَبَرا مُبْهَـــما حَمَّلْت نَفْسى فَوْق مَا حِمْلِها

وجئت للصَّـــاحب فى فرحة اقْبِض قَبْضَـــاتى على أصْلِها

فَهَشَّ فى الوجه على خَشْبةٍ كقاصِــدِ الحَسْـناء فى أهْلِها

ومَنْ غدا لبُعْــدها : : بُعْده أَلْمحَ لى باليَأْسِ فى وَصْلِها

وقال لى فى جَفْـوَةٍ ساخِـرًا أَيْن بَقَايَاكَ على كُلِّـــها

فَقُلتُ ماذا تَبْتَــغى مِنْهُمــو أَمانَتِى وحْـدي ومن : حِلِّها

قال اشْكِنِى إن شِئْت لكنَّـها دارُ ابنِ لقْمَـان على حَالِهـا

فقلتُ أَشْكو حَالـتى كلَّـها لله يَا ويْلَك مِن وَيْلِـها

* * *

تهنئة وشكر

جاءتني من الصديق الأديب الكبير الأُستاذ السيد على عامر قصيدة يهنئنى فيها بزفاف إبنتى مرام ويدعونى باسم الصحافة السعودية إلى مغادرة مصر والعودة إلى المملكة فأجبت بهذه القصيدة.

شكرا

شكراً فقَدْ عوَّدْتنى حُلْوَ المعَانِى الخُرَّد

بَهِيجَةً كالعَسْجَد شَرِيفَة كالمَقْصد

ما ضَرَّها طولُ النَّوى أوفَدْتَ أَوْ لم تَفِدِ

فى أَلَقٍ مُعَطَّرٍ مِثْل الشَّذى المُنَضَّد

مسْجُوعة كأَنها تَرْجِيع شَادٍ غَردِ

محْبُوكَةٌ مِن زرَدٍ . . فى حُلَّه مِنْ بَرد

صَافِيَة مِنْ كَدَرِ نَقِيَّةٌ مِنْ حَرَد

تَحْكى المُنَى رَقَّافةً مِنْ خلَدٍ لِخَلَد

صَار المَرام نَسْجُها مِنْ مُهَجٍ وأَكْبُد

فإِن نَأَتْ فَرْحَتُنا فإِنَّنا لَم نَبْعُد

بالــروح بالمَعْــنى الوضِـ يءِ هالَةٌ فى الجَسَـــد

فَخُـذُ حَديثَ القَلْب منْ نَخْبِ هَـوَانا السَّـرْمَدي

مَعْصــــورَةً خَمْــرَتُه مِنْ خَافِق لَمْ يَبْـــرد

مفتــــونةً بالــدَّرْدَبِيـ سِ فى دِنَـان الأَبَـــد

مختـــومةً مَا مَسَّــــها ثَغْـــرٌ ولَا ظِـــلٌّ يَـد

أَثَـارة المـاضِى الــذي عِشْــنا وبُقِيــا مجْهَد

مَخْبــوءَةً مذخُـــورَة لمـا نُرَجِّى فِى غَـــد

فَلَيْتَــــها ياصَــاحِبي رهِينَــــة بالمَـــوْعِد

يــومَ العُلا يَوْمَ الـذُّرَى في مَوْطِـنى فِى بَلَــدي

ونَلْتَـقِى فى فَرْحَــةٍ غَامِرة لم تَهجَــــــد

مــوَّارة صَخَّـــابَةً فــوْق السُّهَى والفَــرْقَد

بادِئَــة بَرِيئَـــــةً مِنْ عَبَــثٍ ومِــنْ رَد

هِى الوُجـــود قَبْلَها كأَنَّنـــــا لمْ نُولَــد

ونَعــــد كَيْف الحال يا أَخَا الْهَــوى المُتَّقِد

وهل تَــرَدد الشَّـــط فى غَفْـــلةِ عَـــيْن الرَّصَد

وتكْحل المُقْلة أمْ . .   عُوِّدَت ما لَم تَعْتَد
طَارِئٌ أو عَارِضٌ   أَو خَلل فِى المِرْوَد
وكَيْف نَقْضِى الوقْتَ فى الرَّوْشَن أَوْ فِى المَقْعَد
وكيْف زَيْدانُ وياسين وأَهْل المُدُد . .
والجَهْبَذُ الأَشى من   زَكَا بِعِطْر المَحْتِد
أَبْلِغهُموا الوكة   مِن ظَامِئٍ لَم يَرِد
فى غُرْبة قَاسِية   يا صَاح أَوْهَتْ جَلَدي
وكل ما يَشْفَع لى   فِى تَعَبى لكبِدي
إِنى هنا مِن أَجْلِه   فَلْذة كَبِديْ ولَدي
أَطْعمك الله ولَو   بُرْعُمَة كالشَّهْد
ترى الشَّباب منْ جَديدٍ   بالمعانِى الجُدد
وتَزْرع النُّور على   نَهْجٍ خَلا مِنْ عُقَد
فربَّمَا طَاب الثَّرَى   فِى خَطْوة المُتَّئِد
وربَّمَا وربما . .   حَمدت ما لم تحمد
ولا تَهَب مِنَ أَحَد   فأَنْت مِثْل « أُحُد »
فاقْنُص لَها يا دَلْعَدِي   «جِيدَانُة» فى غَيَدِ
« مَوْلُودَةٌ » مَوْلُودَة . .   فى بُرْجِ ثَوْرِ أَوْجَدي

* * *

البراءة الحالمة

أيُّ حُب مَهْما سَمَا وتَعَالى بالِــغُ فى سَمائِكَ الآمالا

فَجَّرت مَجْدَهُ العَرِيق مِنَ النَّفْس يَنابِيــع صَفَّقَتْــه زُلَالا

سَكَبتْــه رُوحى فَطَابَت بِمــرْآهُ وضَمَّت حَقيقةً وخَيَالا

وَرَوتْه من الشُّعاع المُصفَّى عَسْجديا مُعــطَّراً سَلْسَالا

بَعْضُ نفْسٍ وسرٌّ مَعْنى عَميــق كَان لَوْلا الوُجودُ أمْرًا مُحَالا

إنَّه غُصْنُ دَوْحَــة قد تَغنّتْ لَوْ شآها فى قِمَّــة لَنْ تُطَالا

* * *

سَأَلَ العَقْلُ : خاشِعا هلْ لِعَاطفة الحب من السِّحْر ما يَفُكُّ الحِبَالَا

هذه البرعمُ النَّدِيَّة تَحْيَــاها لِتَرْعى طُفُولةً : أمْ جَمالا

والأماني قد حَوَّلَتْك عن النفس إلى ظِلِّها لِتَنْعَــم حَالا

وتَغَافلْتَ عن سنَا البَــدْر وضَّاءً بِهَذا الذي تَظُن هِــلَالا

المَجالات كلُّــها فِى النُّهى الواصِل لا فِى طُفولة تَتَلالا . .

وتصدَّتْ من الطُّيوفِ الغَوالى لَمحاتٌ على النُّهى تَتَغالى

تَتَحدَّى الأَطْواد : لُحْنَ ثِقالًا بِرؤًى أَرسَلَت سَحَابا ثِقَالَا . .

إنَّما هذه الطُّفــولةُ أَسْرابٌ شِفَافٌ لا تَعْرِفُ الأَوْحَالا

إنَّها الرُّوحُ فى طبِيعَتِها الحُـرَّة وَحىً لَمْ يأْلَفِ الأَغْلالا

إنها الوجْهُ للخَليقــة مذْ فَطَــر الله عليها نَسَائما وظِلَالا . .

لمْ يُدَنِّس جبينَهــا وضرُ الــذَّات أنانِيــةً ونَفْعًــا مُذَالا

هِى أَنفاسُها اللِّطافُ هِى المُثُل العُلْيــا لَعمْري بَراءَةً وَجَلالا

إن فِيها خُلودا لأسْمَى . . الرِّسَالات عَطاءً مِن السَّماءِ تَوالى

إن فيها مِن الجَمَــال المُسَجَّى بِمَعانيــه ما يَدِقُّ مِثــالا . .

إنَّ فِيها حَلَاوة البشَر الواغِل فى عُمُق جِيفَة تَتَعــــالى

قَــذَرٌ عَاشَه ويحمِــلُه الناسُ غُثَــاءً وكُــدْرَة وضَــلَالا . .

ما أَحَسُّوا بِثِقْله عِنــدما كَانوا نِطَافًا أَو هُــذِّبُوا أَطْفــالا

ولَقَد جاوزُوا الطُّفــولَة فارْتَاعُوا وذَاقُــوا السِّنين عُجفا مِحالا

ودَّعُوها فَودَّعُوا الخيرَ . والحُسْنَ وعَافُوا المِيَــاه والأَظْـلَالا

واسْتَرَاحــوا للشَّر يكْمُن فى الأَطْـواءِ خَالُوا رُؤوسَه أَبْطَالا

واستَبدُّوا وقاومُوا السِّلْم . . بالحَـرْب فَـزَادَتْهـم الحُرُوبُ وبَالا

واستَطَابوا مَراعِىَ السُّـوءِ ظَنُّـوها ذكَاءاً وأَرقَلـوا أَرْقَالا . .

زَعَموا طِيبَةَ النُّفـوسِ غَبَاءً واسْتَغَـلوا الضَّمائِرَ استِغْلالا

وَرَمُوا بالعَفافِ فى لُجَّة القَــا عِ وَرَاموا الحَيَــاةَ جَاهًا ومَالا

والمـنى عِنْدهم طَرَائِقُ أَنَّى وجَّهَتْــهم خَديعــةً واحْتِيَالا

وعجِيبٌ أَمْرُ الحياة وأَمْر . الخَلْق فِيها قَـذَارَة وسِفَــالا

بالدنَايَا انْطَوتْ عليها يَراها الإِنْسَانُ حَالا ويَرْتَجِيها مِثَالا

فى مُنى حُبِّــه وفى شَهْـوة النَّفْسِ إلى وصْلِها يَمُد الحِبَالا

فَلَكٌ دائِرٌ يُغَلِّفــه . . الشَّكْلُ جَمَــالا مُنَمَّــقًا خَتَّــالا

كَىْ يَدُورَ الإِنســان فى الفَلَك الواغِل فى الرِّجْس ضَلَّةً وَخبَــالا

ومن الحُسْنِ ما يَرِينُ على . . الآمال يَغْتَــال حسنَهُـن اغْتِيَــالا

ومن القُبْح والدَّمامَة . . ما يَغْمــرُ دُنْيــا الوجـود سِحْرا حَلَالا

رُبَّ طِفلٍ أَهْـدى إلى الخير من شَيْخٍ عُتُلٍّ يُضَلِّل الأَجْيَالا

رُبَّ طفلٍ « بغايةٍ » يُبْهِـج النفسَ لأَجْدى مِمَّن حَسِبْت رِجَالا

كَمْ مُهُودٍ تسمو عليها نُهَى الأَطْفال تَدْعو أَكابِرًا أَطْفَالا

كلُّ مَنْ فى الحياة يَنْسِج مِنْــوالا ويأْتى مَنْ يَنْسخُ المِنْوالا

صُوَرٌ كُرِّرَت علَى نَسَقٍ فرْدٍ حــلَاها وغَــيَّروا الأَشْكَالا . .

فالأُبُــوَّات والأُمُومات . . تَلْقَــاك لِتَلْــقى مِنْهُــن عَمًّا وخَالا . .

فإِذَا ما افْتَقَدْت قُرْبَاك . . لا تَيْأَس فَقَــد تُبْصِر الأَباعِدَ آلا

سُنَنُ الْعَيْشِ لا تَــدوم لِكَى نَذْكرَ ربًّا يُبَــدِّل الأَحْــوالا

* * *

حلم غادة

ليس لى إلا فضل الرواية فقد قصت على غادة ابنة صديقى الفيلسوف رحمه الله حلمها اللذيذ فآثرت أن أقدمه للقراءُ منظوما فعسى أن يروقهم كما راقنى :

يَا أَبى كيف أَنْت كيف تُرَوض الوقْت فى العَالَم الكَبِير الكبير

كنتَ لا تَسْتريح فى هَدْأَة الليــل ولا ضَحْوة النهــار الهَجــير

لم يَكُن للفَراغ عِنــدك . مِيقَــات فَقَد ذُبْت بــين نَارٍ ونُــور

وتَــأَلقَت فى العشِيَّــات بالفِكْر المُجَلِّى غَياهِب الدَيْجُــور

يا أَبى الفَيْلسوف بِالله هــل تَذْكر أَشْيَــاءَنَا بِوَعْى ذَكُــور

والأَماسِى حَالِمات المَعَــانى صَاحِيات صَحْو النُّهى فى البُكور

تَنْضح الليل فى النجــوم كما تَنْضح أَشْطَانَها صبَايا الغَــدِير

هَلْ لَقِيت الصِّحاب فى النَّدْوَة الكُبْرى : أَرِسْطو والجَهْبَذ ابن نَظِير

والأَساطِين فى القَرِيض الأُلى كنْتَ تُنــاجِيهُمُــوا بِذَوْبِ الشُّعُور

ابْنِ هانِى وأَحْمد المُتَنَــبِّى والنَّــدَامى فَرزْدَقٍ وجَرِير

كُلهم كيف حَالَهم هل تَلاَقَت بعْدَ لأْيٍ أفكارهُمْ فى المَصِير

كيف ذَابَ الخِلاف أيْن تَولَّت إِحَنٌ أَوْغَلت بِهم فى الصُّدور

هل بِدَار القَرَار تُشْفى صُدُورٌ بَيْن نُعمى وبَيْن عَيْش قَرِير

ما لِقاءُ الأَرواح ما هَيْنَمَات . . الكون ما السِّرُّ فى خَفَايَا الأُمُور

كيف تَحْيا النُّفوس حِين يَسُود الصَّمْت مُسْتَلْهِما حَيَاة القُبُور

والنسِيمُ العَلِيل من نَكْهَة الفِردوس هل نَفْحُه كَنَفْح العَبِير

وسُؤَال أَلْقَيْته أَنَا من قَبْل على عِلْمِك الوَفِير الغَزِير

ذلك الدُّود هل يَلُوك صَغِير القَوْم تحت التُّرابِ لوْكَ الكَبِير

أمْ يَهَاب الكبير شأْنَ بَنِى الدنيا ولا يَسْتطيب غيْر الصَّغير

والإِهَاب النَّضِير بالحُسْن والروْنَق هل طَعْمُه كطَعْم النَّضِير

وعُيُون المَهَا واهْدَابها الوُطْف تَنَاهلْن من شُعَاع البُدور

سَلمت : مِن بَرَاثِن الدود فى الظُّلْمة أَقْوى مِنْ مِخْلب مَسْعُور

* * *

وتَجَلَّى أَبى كَعَهْدي بِسيمَاهُ مُحَيا مُشَعْشعاً فى حُبُور

وهو يُمْلى سُطورَه فى ابتِسَام كابتسام مقطَّر فى سُطور

إيه يا غَادَتى ويا نَـفْسِيَ خُـذِينى فى جَـوْهَري فى ضَمِيري

كل من قد ذَكَرتِ فى كنَف الله رِفاق على بِسَـــاط السُّــرور

مِثْل رَشْف الرِّضَاب من رحمة الله نَظِيمٍ إن شِئْــــته أو نَثِـير

والمعــانى كُؤُوسُهم والمغـانِى حَانيـات بيْن الرُّبَى والزُّهُـــور

نَحْن للصَّفْو يا حَبيبة فِى الَجْنَّة كالزُّغْب هُجَّعًا فى الوُكُور

السَّيَّاج الكبِير يا زَهْرة . . العُمر حَيَــاةٌ لم تَدْر معْنى الفُتُـور

وإذا الوِدُّ عندكم أرْسَل . . اللَّوْم عِتَابا عَبِيره كالزَّفِـير

فَهُنا عَالَمٌ من الرَّحْمة الكُبْرى مِنَ الحب والفِـدَاءِ الأثِــير

أَبْعَـدُ الخاطِرات فى عَالَم الخُـلْد رِثَاءٌ لِعـابِدٍ مغْـرُور

أو مَهِيض الجَنَــاح فى زَحْمــة النُّــور بِجُـرح دَامٍ وقَلْبٍ كَسِير

والْتِماس الغُفْران للأَمَل الرَّاجى سَمَاحٌ من العَفُـــو الغَفُــور

وعَن الدُّود فاسْمعِى مَنْطـق الـدُّود بِصــوت جَمٍّ البَيان جَهِير

إنَّهُ قال لَسْت كالنَّاس فى الدُّنْيــا ولا مِثْلهــم بِشَرَوي نَقِـير

لا أَمَسُّ الضَّعيفَ لكِنَّما . أَقْـوى على كُلِّ فاتِـكٍ جَسُورِ

إنَّمَا الدُّود عِندنَا ثاقِب النَّظْرة مَهْما خَطَى كَخطْـو الضَّرِير

وإذا ما سَمِعت عن أَقْرع . . اللَّحْـدِ وثُعْبَانه العَتِيّ المَرِير

فهو والدُّود تَوْأَمان وكم نَابَا جِهَارا عن مُنــكَرٍ ونَــكِير

لَا تُرَاعِي يا غَادَتِي انَّما نَحْن وأَنْتُنَّ على شَفًــا أو شَفِيــر

نَتَرجَّى المِيعاد فى يَوْمه الأَكــبَرِ فى ظِلّه الخَفِيّ الوَثِير

نحن يَا غَادَتِي وأَنْتُنَّ على الْمَفْرَقِ والسِّر فى الهُدى المُسْتَنِير

مَالنا شافع سِوَى صَالِح الأَعْمَال مَنْ لِي بالوَاصِل المَبْرُور

وبَنِينا فى دعْوة تَنْقل . . السِّر إِلَيْنَا على جَنَاح الأَثِيــر

وعلى فِكْرةٍ فأُمُّك . . . . تُقْرِيكِ سلاما كالعِقْد فَوْق النُّحُور

وَوِصَاةٌ مِنها إلَيْك على البُعْد خُذِيها كَبُشْرَيات البَشِيــر

أَنْ تُقِيمى على العَفَاف على الصَّوْن بِمَنْجى مِن عَالَم مَسْحُور

بَهَرَته الأَضْواءُ بالخلَّبِ البَارق لا مَاطِرٍ ولا مَمْطُــــور

فَتَبدَّى وقــد تَسَرْبَل بالعُرْيِ وعِزُّ الجمال فى المَسْتُــور

واستَراح الأَوْغَاد إِذْ وجَدُوا العَلْياء مبذُولة بِغَير مُهُـــور

ثُم ماذا لَقَد صَحَوْت من الحُلْم بِقَلب مُرَوَّعٍ مَذْعُـــور

وتَحَرِيْتِ أن أَقُصَّك . . . رؤْياك فإِنِّى ظَمْأَى إلى التَّعْبِير

المريض الجانى

أقْعدَه الـدَّاءُ ولـم يَقْعُـد   بِهِمَّـة المَشْـلول والمُقْعَـد

الخائِفُ الجَانى على نفسـه   لم يَرْقُد الليل ولم يُرْقِـدِ

يا مغْلقَ الحِقْد على نفسـه   تُوارِبُ الباب ولَمْ يُوصَـد

وانْجَـذَب اللَّفْـح وجَـذَّابه   واشْتَعـل المَوْقِد فى المَوْقِدِ

حَسَدْت حتى قَلبك المُبْتَلَى   بِأَنَّـه بالدَّاءِ لـم يُحْسَـد

وحجَّبْت عَنْك معانِى الهُدى   لم تُهْد للخَيْر ولـم تَهْتَد

العِلَّـةَ الـكبرى تَذوَّقتهـا   فانْعَكَست فى النَّظَر الأَرْمَد

مجْنُونـة الحَسْرة مشْبُوبـة   مَطْوِيَّة فى قَلْبِك الأَسْـود

مَثَّلها الحِس الَّذي أَذْهَبَت   رَوْنَقـه نَفْسِيَّةُ المُجْهَـد

نفسية المَسْلُوب قد آدهـا   تَجَهُّم اليوم و كَرْبُ الغَد

وقَسْـوة الدهـر وَهِـزَّاتُـهُ   ومَـكْرُهَـا الحَـائِق بالمُعْتَدي

طُيوفُها الوَسْنى إذا أُبْعدت   فى أُنْفِها من أَفْقِهِ الإِرْبِد

فإنَّهـا صُـورةُ مُسْتَقْبَـل يُلْفِي الرَّدَى فِيها عَلى مَوْعد

تَقْدمـه اللَّـوْعَـةُ حَـرَّاقَة جَـزَاءَ ما حـرَّق مِنْ أَكْبُد

والبؤسُ هَتَّـاك لأَسْتَـارِه كَهَتْكِـه لِلصُّـوَّن الخرَّد

والجوع َوالعُرْي وسَوْط الأَذَى ونَقْمَة كَالليل لَمْ تَجْهَـد

قَالُـوا كلِيم مِلءَ أبْـرَادِه حصَافَةُ كَالعَلَم المُفْـرد

وعبقَرِيٌّ نَضْـحُ أَعْرَاقِـه مِنْ سُؤْدَدٍ يُنْمـى إلى سُـؤْدَد

يَجُول بالرَّأْي مَجَـال النُّهى فَيَقْنص الشُّـرَّدَ بالشُّـرَّد

وقِيل سِرُّ العقْل فى صَمْته وَإِنَّـهُ كالصَّـارم المُغْمَد

وانطَلَـق الدهـر بأَحْداثِه وعَصْفِـه كالهَـادِر المُزْبِد

تَعَلَّـق النـاس بأذيالِـه تعلُّـق الحـائِر بالفَـرْقَد

وانْتَظَر الناس وما اسْتَعْجَلوا سَيِّدهم فى المَوْقِف السَيِّـد

فَراعَهـم يا هَوْلَ مَا رَاعَهم ضَحَالَةُ الرَّأْي وَوَهْن اليَـد

والفَشَـل الصَّاعِـق لا يأْتَلِي يُعَـالِـج الفَاسِـدَ بالأَفْسَـد

قد أَجْدَبَ الخِصْب على عَهْده وانْفَضَح العابِدُ فى المَعْبَد

وما صَحَا إلَّا على نَفْسـه مُطَارَدًا يَلْهَث فى الفَدْفَـد

إلى أبي العلاء المعري في عالمه

يا فَلْذةً من ضَميرِ الكَوْنِ صَاحِيَةً ... صَحْوَ الرَّبيعِ المُوشَّى بِالرَّيَاحِين

ونَاسِجَ المَجْدِ فى أعْرَاقِ حِكْمَتِه ... تَتيهُ فى الخُلْدِ تِيهَ الخُرَّدِ العِين

شَذِيَّة العُرْف تَحْكى فِى مَلَاحِظِها ... لَواحِظَ الغِيدِ فى عُنْفٍ وفى لِين

سَامَرتَ كُلَّ شَجِيٍّ فى مَفاتِنِــه ... وهِجْتَ كلَّ خَلِيٍّ غَيْر مَفْتُــون

ولَم تَدعَ فَوْق آفاقِ السَّماءِ عُلاً ... حَتَّى أَبَاحَك مِنْه كُلَّ مَكْنُون

ولم تَذَر تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرى جَدثًا ... حتى تَحرَّكَ بَيْنَ المَاءِ والطِّين

قالُوا تحيَّرتَ فى دُنْياكَ بَيْنَ هوً ... طَاغٍ وبَيْنَ رَشَادٍ غَيْرِ مَأْمُون

وإنَّ ظُلْمــةَ كَوْنٍ عِشْتَها قَلِقًا ... تَجْترُّ حِرْمَانها فى الخَفْض والهُون

قد أَوْرَثَتْك ضَلَالاً في مَتاهَتِها ... فَرُحْتَ تَحْرِق مَضْمُونا بِمَضْمون

وتَسْتَحِل حَرَامَ العَيْش فى شَظَفٍ ... وتَحْرِمُ النفْسَ من نُعْمى ومِنْ لِين

ولَسْتَ يا ابْنَ الشآمِ الحُلْوِ غَيْرَ فتًى ... أَعْطَى الحياةَ عَطَاءً غَيْر مَمْنُون

صَحَا بِمُهْجته صَحْوا تَضِيقُ بِه ... مَشَاهِدُ الكَوْنِ فى رُؤْيا المَجَانين

رَعَى الحَقِيقةَ فى أَسْمَى مَنَازِلِهَا ... بَصِيرةً فوْقَ أَبْصَارِ المَلَايِين

وعَانَق الحُسْنَ فى أَطْواءِ عَالَمِهِ ... كَمَا تَعَانَق فَتَّــانٌ بِمَفْتُــون

إذا تَدفَّــقَ فالسَّلْسَالُ رَوْنَقُه		يَجْري مَع الغَيْثِ فى آنٍ وفى حِين
وإن تـأَلَّقَ فى أَعْماقِه قَبَــسٌ		تَفتَّح الرَّوْض عَنْ وَرْدٍ ونِسْرِين
وإنْ تَلفَّتَ صَوْبَ الغِيد بَارِقُه		مَشَيْن مَشْى القَطَا حَول البَسَاتِين
حَبَتْ على رُكْبَتَيْها كلُّ فَلسفةِ		رَعْنَاء تَنْشُدُ سِرَّ الكَافِ والنُّون
وأَنْطَق المجد نُطْقًا غَيْر مُتَّكِىءٍ		عَلى الخُرَافَةِ فى تَهْرِيج مأْفُون
وراش بالمُثُلِ العُلْيَــا كَنَانَتَــه		فَمزَّق السهمُ أَحشــاءَ الثَّعابِين
ومدَّ للعَقْل ظِلًّا مِنْ رَحابَتِــــه		تَمخَّضتْ عَن حَضَاراتٍ وتَمْدِين
قالوا شَمَخْتَ شُمُوخَ الحِقْدِلَوْعَقَلوا		لَمَجَّدُوا فِيكَ تَفْجِيرَ البرَاكِين
الرَّائِدُ الفَرْدُ فى عُمْقِ الفَضَاءِ عَلى		مَطَارِح البِيدِ فى نَجْحِ الدَّهَاقِين
فإنْ تدَافَع «دَانْتِى» حَوْل سَرْحَتِه		فَذَاكَ مَجْد النُّهَى فى مَنْطِق الدِّين

* * *

ذكرتك

ذكرْتُك والقلبُ الوفيُّ ذَكورُ فَهَاجتْ شؤون هُجَّعٌ وأُمورُ
وصَاغَ الهوى من لَحنِها ما أثارَني وأذْكى حَنيني والحَنينُ شُعُور
وما صَدَحتْ إلَّا بِلَحْني ولَيْتَها تَحِس بأَشْجان الفُؤادِ تَمُور
إذَنْ لَدَرَتْ قَلْباً وَعَى اللَّحْنَ حِسُّه تطِير به آهاتُه وتَثُور
تَنَاءَى الذي يَجْلو سَنَاه بِقُرْبِه وآفاقُه بِشْرٌ يَلُوح ونُور
وغَادَره لَا عَنْ قلى أو مَلَالة ولم يَدْر أن الحَفْل بَعْدُ يَصِيرُ
فَحَمَّلَني هَمَّيْنِ هَمَّ فِرَاقِه وهَمًّا من الذِّكْرى عليَّ يَجُور
عَشِيَّة قالوا أُمُّ كلثوم وَعْدُها مَسَاءً عَرتْني رِعْدَة وَفُتُور
وأَنْكرت نَفْسي والحياةَ وَصَفْوها وقُلت هو الحَظُّ الجَميل نفُور
وغَنَّتْ وقَلْبي شَارِدُ الحِسِّ هائم يُنازِعه مِنِّي هَوًى وضَمِير
وصَحْبيَ مِنْ حَوْلي يُرِيدُون سَلْوَتي أَأَسْلُو ؟ كأَنِّي خَائِن وغَدُور
خُذِيها كَمَا شَاءَ الهَوى عَسْجَدِيَّة سُلَافًا على ذِكْرَى هَواكِ تدُور
ويا طَلْعتي قَلْبي ضَنِينٌ بِحُبه وفيٌّ على حاليْ هَواكِ صَبُور

* * *

الشامخة

وشَامِخــــةٌ نَفْسُــها عِــزَّةً   كما شَمَخ الصَّــدْر بِالنَاهِد

تـآلفَ فى جِيـــدِها العَبْقَرِي   شَذًى مِثْل تَنْهِيدة العَـابِد

وأَصْبُــوَ لِحُسْنٍ ثُريَّاتُــــهُ   أَشِعَّــةُ بدْر الدُّجَى السَّاهِد

أفَاقَ الصَّبــــاح ولمَّا تزَل   شَوَاديه كالوَاجِــــد الفَاقِد

هُوَ الحُسْن فى الموْكِبِ المجْتَلَى   فأَعظِمْ بِموْكِبِـــهِ الخَالِد

تَنــاغِمُ أَمْجــادَه الصَّادِحَات   مَجَالى المُنَى فى الصِّبَا العَائِد

وتَبْسُم فى رَوْضِــه فَرْحَتَان   قَتُــولان للعَـــازِل الحَاسِد

تكوَّرتَا فَــوْق مَجْـرى العَبِير   تَعُبَّــانِ من مَنْهَــلٍ وَاحِد

دُعاءُ الطَّبيعـــة قَدْ صَوَّرَتْه   ثِمَارًا على الغُصــن المَائِــد

تَرَجْرج مِنْ فَوْقِها بُرْعــم   حَكَى هِزَّة الرِّيب فِى الشَّــاهِد

فياما أَحَيْلَى المُــنَى الزَّاهِيـات   مُفَصَّضَّـــة بالسَّنا الوَاقِد

ويَسْرِي الهَوِي بَيْن هَمْسِ الكَرَى   وتَعْــزِيمَة الفَاتِك العَــامِد

يُوازِن فى خَطْــوِه كَالقَطَا ويَبْسُـم للمشْـرِع الرَّافِـد
وعَادَ ولَـمَّـا يَشُبْ رُشْـدُه ويَخْلُد غَير الهَـوى الرَّاشِد
فَيا نَفْحـةَ الحُلْم العَسْجَدِي وإغْفَـاءَةَ القَـدَرِ الرَّاصِد
ويَا فَرْحَةً فى شِغافِ القلـوبِ أَضَاءَتْ على الكفِّ والسَّاعِد
رَوِينـا من البَسَمات العِذَاب تُصَفِّـق سِرَّ الهَـوَي الرَّائِد
تُمَثِّل رِفْق النفـوس الرِّطَاب وتَهْـزَأُ بِالزمن الحَاقِــد
وعُدْنا وفى الصَّحْو لَمَّا تَـزَل مَعالِمُ فى سَرْحِه البَائِـد
وبَيْــن لُبَـانَاته ذِكْرَيَـاتٌ هِىَ العَيْش بالأَمَل الشَّـارِد
فَيا أَنْتِ يا حُـلْوة المُجْتَـنى ويا قِمَّـة المُلْتَـقى الصَّاعِد
ويا نَسْمة أَقْبَلت بِالحَيَــاة كمَا ابْتَسم القَصْـد للقَاصِد
تَلُمِّينَ فىَّ حُطَـام الشَّبَاب وما فَاضَ عن جُهْـدِه الجَاهِد
تُرَاعِين مَجْدًا هَوَى كالشِّهَاب وما يَقْدر المَجْرَ كَالمَاجِد
هُو الحُبُّ نَهْرُ الحَياة السري ومُعْجِزة الصَّيْـد والصَّائِد
لَقَدْ كان مُذْ كان سِرَّ الوُجُود تَدَفَّـقَ فِى الوَجْد والوَاجِد
وبَيْن الرِّعان وبَيْن الشِّعَـافِ تُزَمْزِم أُنْشُـودة النَّاشِـد
وَفى غَمْغَمَاتِ العِرَاك الخَفِىِّ وفِى صَوْلَة الجُنْـد بِالقَائِد
وفى صَحْوة الفِكْر فى سُهْـده وفى جَلْوة الفَـلقِ المَـارِد
فَيا فَرْحَتِى : للمُـنَى « قَارِبِى » ويَا مُنيَـتِى : لِلجَفَـا « بَاعِدي »

ضحك العين

يا ضَاحِك العَيْن وبَسَّـــامَها   وَوَاهِبًــا للنَّفْس أَحْلَامَهــــا

وراقِصًــا فَوْق ثُغُــور المُنَى   ومُلْهِـمَ الأَلْحَان أَنْغَــامَها

ما بَسْمَة الثَّغْر سِوَي شُعْلَةٍ   من خَمْرَةٍ قد أَسْكَرَتْ جَامَها

مِنْ سِرٍّ عَيْنَيْك ومِنْ سِحـرِها   تَصُـوغُ لِلبَسْمـــةِ بَسَّامَها

بَرَاءَة فى ظِلٍّ أَنْفَاسِهـــا   أَطْيــابُها تَغْسِل آثَامَهــا

نَاسِكَــة تعبــق ارْدَانُــهَا   ما فَارَقَتْ فى الحِـلِّ أَحْرَامَها

ويا حَدِيثًــا لم يَزُل سِحْرُه   يَحْكِى من الرِّقَّة أَنْسَامَها

ويا مُنَى صَاغَتْ مَعَانى الهَوَى   حِسَانُها الغِيــدُ وآرَامُها

وطارَحْت بِالحب أُسْـد الشَّرى   فَمَا أَطَاقَتْ بعــد آجامَها

وآمنَت باللّٰه فى حُبِّـــها   وأَسْرَعت تُعْـلن إِسْلَامها

تُسَـابِق الفَرْحــة أَعْــوَامَها   وتمْلأُ البَهْجَــةُ أَيَّامَهــا

* * *

لماذا أحبته ؟

أَحبَّتْــه فى تَحْنَــانِه وحَنَانِه ورَاعَتْــه فى إيْمَانِه وأَمَانِه

فَلَيْس لهُ فِى نفسه غيْرُ شَانِها وَلَيس لَها فى نفسِها غيرُ شَانِه

أَطلَّتْ بِعَيْنَيه فلم تَر غَيْرَه وشَامَ بِعَيْنيها صَفاءَ زَمَانِه

إذَا خَافَ غَدْرَاتِ الزَّمان أَحِبَّةٌ ورَوَّعَهم زحْفُ النَّــوي بِجرَانِه

وكَحَّل أَعْينَــهمْ سُهَادٌ مُؤَرِّق يُحَجِّب اشْرَاقَ المُنَى بِدُخَانه

تَساقُوا كُؤُوسَ الخُلْدِ رَفَّافَةَ السَّنَا وعَاشُوا بِرَوْضِ الحُبِّ أَغْصَان بَانِه

صَحَاوى فَلَا يدْري الحمامُ مَكَانهم وغَاظُوه حتَّى مَادَرُوا بِمَكَانِه

هُمَا فى رِحَاب الأَمْن والحُبِّ بَهْجَةٌ مُطَوَّقةٌ فى الخُلْد بَيْن جِنَانِه

ولَيْس النَّوى إلَّا لِقَــاءٌ وبَهْجَةٌ لإلْفَيْن فى رُوحِ الهَوى وَكَيانِه

* * *

يا نسمة

يا نَسْمَةً مثل اللَّمىٰ عَذْبَـة | تَرْوِي الهَوي عن طِيبِ أنفَاسِها
ناشدتُك اللهَ أَمِنْ فَجْــرِها | أَشْرَقْتِ أَمْ مِنْ نبع إِحْسَـاسِها
وهذِه البَسْــمةُ من ثَغْـرِها | أَوْ مَزْجُ ياقُوتٍ بأَلْمَاسِهـا
وكيْف جَاوَزَتْ سَـوَادَ الـدُّجَى | فى شعْرِها المَاتِـع فى رَأْسِها
أَمَا خَشِيتِ العُنْفَ فى رِفْقِهـا | أَمَا خَشِيت البَأس مِنْ بأْسِـها
وهى الَّتى تُسْكِرُ أُسْدَ الحِمَى | فَلَا تَفِيقُ الدَّهْر مِنْ كَأْسِـها
وهى التى تَقْتُـلُ فى بَسْمَةٍ | وهى التى تُحْي بِإِينَـاسِها
فَقَالَتِ النَّسْـمةُ خَالَسْـتُها | فى غَفْلةٍ عن عَيْنِ جُلَّاسِـها
غافِيَةٌ تَضحَكُ أَحْلامُها | صَاحِيــةٌ فى ضَـوْءِ نِبْرَاسِها
عَوَّذْتُها مِن شَرٍّ وِسْــوَاسِها | رَقَيْـتُها من سِحْر خَنَّاسهـا
أَعْمَيْتـــه عَنْها لِكَى اهرُبَا | من ساجِنِ الرُّوح وحَبَّـاسها
تَركْتُها تَسْبَـــح فى صَمْتِها | تَضْرِب أَخْمَاسًا بِأَسْـدَاسِهَا
كَأَنَّهــا الوَرْدَة فى كُمِّـهَا | وأَنت مِنْها العَيْن فى رَأْسِهَا
شَبَّهْتُها مِثْلَ ظِبَـــاء الفَلَا | ضَاقَتْ بِها وَحْشَـةُ أَكْنَاسها

من عطرها غبٌّ الضيا وانتشى لم يـــدر بالدنيـــا ولا ناسها

ملائِكُ الرحمِة فى برجها حارسةً اكْـــرِمْ بحرَّاسها

طباعها الحلوة من معدن غراســـه يُنْمى لأَغْرَاسِهَـا

تَزُفٌّ بشري فَــرحٍ غامــرٍ كفرحـــةِ الغيـــد باعراسها

والحربُ فى الحسادِ قد أَعلنت واليوم قد دقَّتْ بأَجراسها

* * *

يـا ميُّ

أَهْواكِ فَوْق هَوَايَ فَوْق هَوَاكِ ... وأَراكَ أَجْمَلَ ما تَكُونُ رُءَاكِ

أَشْذَاءُ رُوحٍ فى غَلَائِل سُنْدُسٍ ... فَكَأَنَّمَا صَاغَتْك مِنْك يَدَاك

هَمْسُ المَلَائِك دُون هَمْسِك رَاعَهُم ... مِنْكِ السَّنا فَتَطلَّعوا لِذُرَاك

وتَلَفَّتُوا من حَوْلِ ذَاتِك فانْبَرَى ... طَيْفٌ يُنَغِّم رَجْعُه بِصَدَاك

ويُصفِّق الأَملُ الهَنِيُّ كُؤُوسَه ... رَاحًا مُشَعْشَعة بِخَمْرِ لَمَاك

أَقْسَمْتُ ما أَدْرِي لَهُ طَعْمًا سِوَى ... أَرَج عرفْتُ بِعَـــرْفه رَيَّاك

أَطْيافُ أُنْسٍ فى مَبَاهِج صَانَها ... مَرحُ الشَّجِيِّ ولوعـةُ النُّسَّاك

وإِذَا تَرَاقَصَت المُنَى وتزَاحمتْ ... فى مُهْجَتِى أَغْرَيْتُـــها بِرِضَاك

ولَكِ الرِّضى ما شِئْتِ حتى تَعْلَمِى ... أَنَّ المُنَى كُلَّ المُنَى لُقْيَـــاك

يا «مَيُّ» مَنْ لِى والهَواجِسُ جَمَّةٌ ... حُفَّتْ وُرودُ هَـواكِ بالأَشْوَاك

والعاذِلُون تَفَنَّنُـــوا فى كَيْدِهم ... كَىْ يُحْرِموا عَيْنَيَّ مِنْ رُؤْيَاك

يا مَيُّ لا أَدْري وقَدْ عصَفَ الجَوَى ... بِحشَاشَتِى ما مَوْضِعى بِحَشَاك

يا مَيُّ ما أَحْلَاك بَسْمــة طالِع ... باليُمْن فى دُنْيَاي ما أَحْــلاك

العُمر فى لَحظَات عُمرِكِ سَاعَةٌ ... مَسْحُورَةٌ ضَحِكَتْ لَهَا عَيْنَــاك

والحُسْنُ فى ذَهَب الأَصِيل كأَنَّه ... فَحواكِ أَو مَعْناك أَوْ مَغْنَــاك

وإذا سَخَوْتِ بِبَسْمةٍ عِطْرِيَّةٍ فكأنَّما جَادتْ بِهـا كَفَّاك

وإذا تَحدَّث خَاطِري وتـأَلَّقتْ شَفَتَاكِ واهْتَزَّا لَها عِطْفَـاك

طَابَ الحَديثُ إِلَيْك حَتَّى أَنَّنِي أَبْصَرْتُه شَبَحًا يُقبِّل فَـاك

فَأَغَارُ من ذَاتِي لِذَاتِي وَيْحَها خُدَعُ الهَوى مَنْصُوبةُ الأَشْرَاك

فَأَعِيشُ بَيْن يَدَيْك عُمْرًا ثانيا لَوْلَاك مَا عِفتُ الكَرَى لَـوْلَاك

أَفْراحُ أَسمَارٍ كَأَنَّ نَعِيمَها أَسْحارُ أَنْـداءٍ وطَيْف مَلَاك

وأُودُّ لو وَصَل الهَناءُ دَوَامَهـا لِمُؤرَّقٍ صَاحٍ وقَلْبٍ بَاكِي

فاللَّيلُ يا ذَاتَ الوِشَاح جَوَانِحٌ مَخْضُوبةٌ في صَمْتِها أَرْعاك

واللَّيْلُ حَمَّال الكُرُوبِ سَجِيَّة فِيه عَرَفْنَاها من الأَفْـلاك

يَحْلو به سَمَرُ التَّهَجُّع آهَـة هَجْع الحَمَائِم فَوْق غُصْن أَرَاك

وإذا أَنِسْتُ إِليْك أَخْطَرَ ما أَرَى مَسْراك وَيْح القَلْبِ مِنْ مَسْراك

فأَحِسُّ وثْبَتَه كَوثْبِك في الخُطَى يا لَيْتَنِي يا مَيُّ بَعْضُ خُطَاك

يا مَيّ أَسْعَدَنِي هَواكِ فَهَلْ تَرِيْ يَا مَيُّ قد أَحْظَاكِ أَمْ أَشْقَاك

• • •

يا صمتها

يا صَمْتَها الحُلْوَ يا أَسْرارَ مُهْجتِها　　يا سِحْرَها العَذْبَ فى أَنْفاسِ رِقَّتِها

ويَا رَهَافَةَ حِسٍّ بَعْض حِلْيَتِها　　مَتَى أَبُوحُ بِأَقْصَى ما أُدارِيه

★ ● ★

الحُسْنُ نَفْحَة عِطْرٍ مِنْ مَجَامِرهَا　　والسِّحْرُ ومضَةُ جَفْنٍ فى مَحَاجِرها

والأَسْرُ لَفْتَةُ جِيدٍ : هَمُّ شاعِرِها　　صَوْغُ النجومِ عُقُودًا فى مَعَانيه

★ ● ★

ويا عُذُوبَةَ نَفْسٍ قَدْ كَلفتُ بِها　　ولَمَ أَزلْ أَتغذَّى مِنْ أَطَايِبِها

فَكانَ مذْهَبَ حُبِّى مِنْ مَذاهِبِها　　قَد طوَّقتْنِى بِدَيْنٍ كَيْف أَقْضِيه

★ ● ★

يا ربِّ نَفْسي إِليْها اليَوْم قدأَنِسَتْ　　فى فَرْحَةٍ بِقَضَاءٍ مِنْك قَدْ سَنَحَت

ما خَادَعَتْنِى ولا رَاءتْ ولَا لَبِستْ　　غَيْرَ الوفَاءِ رِدَاءً عَزَّ بَارِيه

★ ● ★

واليَوْم كَاشَفْتُها بَعْضَ الَّذي أَجِدُ　　وفى الحَنَايا لَظًى كالجَمْر يَتَّقِدُ

فاغْرَوْرَقتْ عَيْنُها مُذْ خَانَها الجَلَدُ　　مَعْنًى حَظِيتُ بِه مِمَّنْ أُفديه

★ ● ★

وفَتَّ فِى عَضُدِي أَنِّى شَكَوْتُ لَهَا　　يَا لَيْتَنِى قَدْ كَتَمْتُ الحُبَّ والْوَلَها

لكِنَّ إِيمانَها الحَسَّاسَ شَاغِلُهَا　　فَادْرَكَتْ فى هِوَاهَا ما أُعَانِيه

وطَال صَمْتُ كَئِيبٍ شابَهُ أَلَمُ وفِكْرَةٌ فى النَّوىَ تَغْلي وتَحْتَدِمُ

وفَارق الشّعرَ حتّى الجرسُ والنَّغمُ ودبَّ حِسّ غَرِيبٌ فى قَوَافِيه

★ ● ★

وقَاوَمَتْ بِبَقَايا الجُهْدِ قَائِلَةً أَلَا تَرَى فى احْتِجَا بِى عَنْك طَائِلَة ؟

فَقُلْتُ هَلْ تَحْسَبِينَ الحبّ قَافِلَةً يَلْوِي أَزِمَّتَها فى الرَّكْبِ حَادِيه

★ ● ★

قَدزِدْتُ فى القَلْبِ فَوْقَ العَيْنِ والنَّظَر لكِنَّ صَفْوَ الهَوَى يَحْلُو معَ الكَدَرِ

فَلْنَصْطَبِرْ عَلَّ في تَصْرِيفهِ القَدَر حَظًّا إلى أَجَلٍ عَنَّا يُوَارِيه

★ ● ★

ولَمْ تَدَعْنِىَ إلَّا والدُّجَى أَمَلُ فالعينُ قد ضَحِكَتْ والصَّفْوُ مكتَمِلُ

حتَّى كأَنَّ أَحادِيثَ المُنَى قُبَلُ صَدَّاحَةٌ فى فَمٍ حُلْوٍ تُنَاجِيه

* * *

لو كان

لوْ كَان مُعْتَقَدِي أَنّ الهوَى ثَمَنٌ ... ما عِشْتُ وَحْدِي فَرِيداً بَيْن خِلّانى
أَوْ كُنْت مِثْلَ بَنَاتِ اليَوْم عَاطِفَةً ... لَصَانَنِى عَنْكِ وُجْدَانى وإِيمَانِى
ولَوْ رَضِيتُ بأَنَّ الحُبَّ مَنْزِلَةٌ ... تُشْرى لَسَاوَمْتُ فى مِصْر ولِبْنَان
لكِنَّ لِى أَمَلًا فى الحُبِّ يَعْرِفُـه ... مِثْلى ويَعْجَزُ عنــه كُلُّ فَنَّان
ورِثْتُه عَنْ مَعَانٍ فىّ صَافِيَةٍ ... صَفَاءَ نَفْسىَ فِى سِرِّي واعْلَانِى
إِنِّى أُجِلُّكِ عن عَيْبٍ ومَنْقَصَةٍ ... لَوْلَاكِ ما سَمَحَتْ نَفْسي بِغُفْران
أَحْبَبْتُ فِيكِ نَقَاءَ المُزْنِفانْطَلَقَتْ ... تَشْدُو بِرُوحِكِ قِيثَاري وأَلْحَانِى
وهَبْتُكِ الرُّوحَ مَجْدًا خَالِدًا أَبَداً ... فَهلْ يُقاس بِمَجْدٍ خَالِدٍ : فانِى
جَرَحْتِ يا أَمْنَ نَفْسا أَنت عِزَّتُها ... وأَنتِ جَوْهَرُها فى نَفْس إِنسان
أَأَشْتَري أُنْسَكِ الغَالي وبَهْجَتَه ... بِمَا أَرَى فِيه تَقْصِيري ونُقْصَانِى
لَيْسَتْ هِبَاتٌ ولَكِن فَرْحَةُ عَرَضَتْ ... مِنى إِلىّ حَكَتْ أَنْفاسَ نَيْسَانِ
قَد كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الكأْسَ واحِدَةٌ ... ولو تَرشَّفَها يَا آمِنَ اثْنَــان
لِمَنْ أَبُثُّ شكَاتِى وهْيَ فِى خَلَدِي ... سِرٌّ كَسِرِّك فى طَيٍّ وكِتْمَان

• • •

هو وهي

كَيْف أَحْبَبْتُ رُوَاهَا ؟ كيف أَكْبَرْتُ هَواها ؟

لَسْت أَدْرِي

أَصْبَحَتْ للقَلْبِ دينَه يَوْمَ أَحْظَانِي لِقَــاهــا

فهــو عُمْري

أَهيَ أَحْلامُ شَبَابٍ زَهْزَهتْ عِنْد مَشِيب ؟

وَهِي تَــدْري

فَتَوارَتْ بالحِجَــابِ لَا كَهِندٍ أَوْ رَبــابِ

رغْم صَبري

يا فتَاتِي لَكِ أَجْــرٌ لَكِ إِنْ صَدَّيْتِ عُــذْرٌ

أَيُّ عُــذْر

لَا يَطِيقُ المَاءَ جَمْــرٌ لا يَطِيقُ الحُلْوَ مُــرٌّ

أَيُّ مُــر

لَامَ عُـذَّالِي ولُمْـتُ وَتَحـدَّوْني فَقُلْـتُ

بِنْتُ . . . حُرٌّ

أَنْتِ زَهْرٌ أَنْتِ نَبْتٌ وأَنَـا يَا آمَنَ مَيْـت

دُونَ قَـبْري

هَيْكَلٌ يَمْشِي ثَقِيـلًا بَيْنَ عَيْنَيْـكِ ذَلِيـلا

مِثْلَ شِعْري

إِنْ تَمِيلي لَنْ أَمِيـلا فَاصْبِري صَبْرا قَلِيـلا

أَي صَبْـر

فَهْـيَ أَيَّـامٌ بَوَاقِـي رَغْمَ أَنَّ الحُبَّ بَاقِـي

كُلُّ دَهْـري

فَرْحَتِي يَـوم التَّلاقِـي تَتَـلاشَى بِالفِـرَاق

غَيْر سِـرِّي

فَصِلِيـني بالتَّمَـنِّي بِـرِضَـاكِ المُطْمَئِـنِّ

لا تَفِـرِّي

لا تَـرِقِّي لَا تَحِـنِّي غَيـر حِنِّيَّـةِ ضَـنٍّ

دُونَ هَجْـر

فَأَنَـا يا أَنْتِ مَعْـنًى دُون لَفْـظٍ يَتَغَـنَّى

مِثْل طَيْـر

أَنَـا رَمـزٌ يَتَمـنَّى لَكِ إِسْعـادًا وأَمْنًـا

لَوْ بِغَيْري

يا فَتاتِي لَنْ تَخـافِي أَنْتِ حُبٌّ فِي شِغَافِي

طُول عُمْري

للعَنـادِيلِ خَوَافِـي وأَنَا تِلْك الخَوَافِـي

فاطْمَئِنِّى واسْتَقِري

واسْمَعِي بَعْـدَ الأَصِيلِ كلَّ يَوْمٍ فِي المَقِيـل

خَفْقُ صَدْري

تَعْرِفِيني بالخَمِيـلِ إنْ شَدا بَينَ الخَمِيـلِ

لَحْنُ قِمْري

وإذا أَظْلَمَ لَيْلٌ وأَوَى فَرْعٌ وأَصْلُ
تَحْتَ سِتْرِ
وإذَا حَفْحَف نَخْل واخْتَفَى لَحْنٌ وَهَدْلٌ
فَهو أَمْري
أَنا رَاضٍ يَا فَتاتِي مِنْكِ حتى بالفُتَاتِ
وَسْطَ قَفْر
أَتَحرَّى أُمْنِيَاتِي عَلَّ فَجْرَ الصُّبْحِ آتِي
لَصَبُورٍ مُتَحَري
قَال لِي حسِّي العَجِيبُ إِنَّهُ أَمْرٌ غَرِيبُ
أَيَّ سِر
أَشُرُوقٌ أَمْ غُرُوبٌ ؟ أَغِنَاءٌ أَمْ نَحِيبٌ ؟
لَسْتُ أَدْرِي
أَنْتِ أَبْصَرْتِ . . . . قَبْلَ مِيلادِ . . . . . .
دُونَ أَمْري

هَلْ تَحدَّيْتَ السِّنينَ ؟ هَلْ تَهَجَّمْتِ العَرِينَ ؟

بَعْد عُشْـرِ

كيف أَرْضيْتِ السَّماءَ ؟ كيف دَارَيْتِ القَضاءَ ؟

هَلْ بِيُسْر ؟

هل تخَطَّيْتِ القضاءَ ؟ مِثْلَمَـا شِئْتِ وشَـاءَ

قَبْلَ فَجْـر

قلْـتِ للحُبِّ شُهـودُ والهـوَى عِطْـرٌ وعُودُ

فَوْقَ قَـدْري

كُنْـت أبْـدِي وأُعِيد فَدَنـا النَّجْم البَعِيـد

حَوْل شَهْـر

ورَعَـانِي ورَعَـاهَـا وسَقَـانِي وسَقَـاهَـا

حُلْوَ خمْـر

وبَدتْ لِي مُقْلَتَـاهَـا ثُم رقَّتْ وَجْنَتَـاهـا

دُونَ مَـكْر

وتَملَّيْــتُ شَــذَاهــا ناقِــلاً عِطَــرَ لَمَــاها

عِطْرَ سِحْــر

كُلُّ ما أَعْلَمُ عَنْهــا أَنَّ نَفْحَ المِسْكِ مِنْها

نَفْح زَهْــر

كُلُّ حُبِّى لَمْ يَزِنْهــا كُلُّ وصْفِي لم يُبِنْها

فَوْق شِعْــري

فاقْبَلي أنفاس قَلْبِــي إنَّهــا زَفْرَةُ حُــبِّى

رَمْز شُكْــري

كُلُّ ما أَرْجُوهُ مِنْــكِ عِنْــدَمَا أَبْعُــدُ عَنْــكِ

قَيْدَ شِبْــر

إن تَصُونِي فِي يَدَيْك لَمسَــاتٍ مِنْ يَدَيْــك

فَهِي ذِكْــرى

ودُعَــاءٌ كَالحَنِيــنِ لِهَــوى حُــرٍّ أَمِــينٍ

صَوْب وَكْري

إنَّهـا دُنْيـا تَمُـرُّ والمُنَـى مَـدٌّ وجَـزْرُ

مَوْج بَحْـر

فإذَا أَظْلَـم فَجْـرٌ ومَضَى عُمْـرٌ وعُمْـرُ

أيَّ عُمْـرِ

ليْس للأَحْيـاء قَـدرٌ إنَّمـا الأَيَّـامُ ذِكـرٌ

نَبْع خَيْـر

قَال لِي طَيْفُك أَمْـسِ إنَّ طَبْعَ الدَّهْـرِ يَنْسي

قُلْتُ بَدْري

هِيَ عَيْني هِيَ رأْسِـى فَوْقَ أَرْضِي تَحْتَ رَمْسِي

ضَوْءُ بَـدْري

* * *

يارب

يا رَبِّ صَنْعَتُكَ الجَمِيلَةْ يا ربِّ فِطْرَتُك الأَصِيلَةْ

فَاقَتْ بِنُبْــلِ خِصَالِها

وبِطِيبِهَــا وَكَمالِهــا

قَد كَانَ يأْسِرُنى الجَمَالُ واليَوْم يأْسِرُنى الجَلالُ

قد كُنْتُ أَحْسُبُه الدَّلَالُ وأَظُنُّــه أَلَــقُ الجَمَال

فَبَدَتْ حنانُ فَوْقَ مَــا

تَبْدُو المَلائكُ فى السَّمَا

كَانتْ بِحَقٍّ بَلْسَمًــا ومِنَ المَكارِمِ أَكْـرَمَا

يا ربِّ صَنْعَتُكَ الجَمِيلة يا رَبِّ فِطْرَتُك الأَصيله

يارَبِّ كالإِشْراقِ يَسْطَعُ فى الخَمِيلة يارب كالإِعْجَازِ إِذْ يَرْوِي دَلِيلَه

يا رب كَــانَتْ بالكَمَالِ

تَضِنُّ بِالسِّحْــر الحَلالِ

كَانَتْ تُجَمْجِمُ بالحَنَانِ وتَخَافُ من زَحم الحَنَان

كَانَتْ بِأَطْرافِ البَنَانِ تَذُودُ إِشْرَاقَ البَيَـان

وَتظُنُّه سِحْرَ اللِّسَـان

وكَانَ إِحْسَاس الحَنَـانْ

فَركَعْتُ يا رَبَّـاه لَا تَغْضبْ عليّ أَمَـامَهـا

وجَثَوْتُ أَلْثم فى رِضَا فَوْقَ الرِّضَا أَقْـدَامَهـا

وضَممْتُهـا ضَـمَّ السَّحَـابَـةِ فى سمـاك غَمَامَها

وقَـرنْتُ بِاسْمِـكَ مُسْتَرِيحًـا بَدْءَهـا وخِتَـامَها

ولَقَـدْ شَكَرْتُك رَحْمَةً بَرَزتْ دَلائِـلُ أَصْلِها

فِي قَوْلِها فِي فِعْلِهـا لَسْتُ الجَدِيرَ بِمِثْلِهـا

أَبَدًا ولا مِنْ أَهْلِهـا

لَكِنَّها رُحْماكَ تَغْمُرنِي بِـوَارِفِ ظِلِّهــا

سَكْرانَ يَا ربَّـاهُ مِـنْ عَذْبِ اللَّمى مِنْ كَوْثَرك

ومن الشَّذَي قَدْ ذُقْتُه وكَأَنَّنِي فى جَنَّتِـك

ونَهَلْتُ مِنْ حُلْوِ الرِّضَـابِ وإِنَّـهُ مِنْ رَحْمَتِـك

وسَكرتُ لَسْتُ بِجَاحِدٍ مِن ثَغْرِها مِنْ خمْرَتِـك

يا رَبٍّ إنْ مَنَعْــتْ بأَسْـرَارِ الـكَمَـالِ

فاليَـوْمْ قَـد مَنَحــتْ بأَسْـرَار الـكَمَــال

بالحُبِّ موْصُـولاً بِحُبِّــك فى الحَقِيقَة والخَيَالِ

ولأَنْتَ يا رَبَّ القُلوبِ البِيضِ لا يَخْفَـاكَ حَـالي

فاكْتُبَ لِقَلبَيْنا الأَمَـانْ

واكْتُبَ لَنا حُسْنَ الْمَآلْ

واجْعَل . . . . دَائِما فى حُسْنِها ذَاتَ الدَّلَال

فَأَنَا الفَخُورُ بِحُبِّهــا

فى بُعْدِهَا أَوْ قُرْبِهــا

صُنْها عَنِ الشَّرِّ المُبَيَّــتِ فى الجَلَاءِ وفى الخَفَاءْ

صُنْها عَنِ الحُسَّـادِ أَنْـتَ كَمَـا تَشَـــاءْ

فَهِيَ الي تَهْوَى رِضَاكَ وَلا تُحَاذِرْ مَا سِـوَاك

وأَنَا الفَخُورُ بِحُبِّهــا

فِي بُعْدِها أَوْ قُرْبِهــا

أهـــلا

أهْلاً بِمَن وَهَبَتْ نفسي وَأَعْيَادِي | عُمْرًا جَدِيدًا كَعُمْرِي يَوْمَ مِيلَادِي
فَنَشِّيه كَما تَبْغِينَ تَنْشِئَةً | وزَوِّديهِ بِمَا تَهْوِينَ مِنْ زَادِ
وأَشْرِقِي فى مَعَانيه يَكُنْ أَبَدًا | صَداكِ يَامىٌّ مِن وَادٍ إِلَى وَادِ
طَوَّقْته مِنَنًا غَرَّاءَ ضَافِيَـةً | فَكَيْفَ يَنْسَى النَّدَى مِنْ غُصْنِه النَّادي
يوَدُّ لَوْ سَارتِ الرُّكْبَانُ تَنْقُلُها | كالْغَيْثِ يَنْقُلُه لِلرَّائِح الغَادِي
أَجَلْ مُرِيهِ فَمَا أَخْلَاكِ آمِـرَةً | عَلَيه يَامىٌّ فى خَافٍ وَفِى بَادِي
أَسِيرُك اليَوْم يَرْجو أَنْ يَدُومَ على | أَسَارِ فَضْلِكِ أَسْرَ الظَّامِئِ الصَّادي

• • •

ساعتها

يَا عَـذُولًا فى يَدَيْها   أَنْتَ مَنْ أَنْتَ لَدَيْها؟

مَا كَفَى أَنَّكَ طُولَ الوَقْـتِ تَطْوِي مِعْصَمَيْهَـا ؟

كالَّذِيْ يَسْتَرِقُ السَّمْـعَ ويـلْوي نَاظِرَيْهَـا

صَوْبَ ذَاكَ العَقْرَبِ اللَّامِـعِ . يُغْـرِي أُذُنَيْهَـا

فَتُطِيـلُ المْسَّ والنَّظْـرَةَ دَوْمًـا فِي يَـدَيْهَـا

مَنْ تُرى أَنْتَ وهَلْ وَصَّـاكَ ذُو شَأْن عَلَيْهَـا ؟

* * *

كَان أَحْـرَى بِكَ ذَوْقٌ   يَتَـأَنَّى ، يَتَـأَدَّبْ

لَا يُطِيلُ الرَّقصَ كَيْ يَرْكُـضَ بِالوَقْتِ ويَهْربْ

أَنْتَ حَوْلَ القَلبِ والقَلْـبُ شُعَـاعٌ يتَـوثَّـبْ

كَيْفَ لَا تُشْجِيكَ دقَّـاتُ فُؤَادٍ مِنْكَ أَقْـرَبْ ؟

كَيْف لَا تسْكُنُ لَا تَهْـدَأُ فى رِفْـقٍ وتَطْـرَبْ ؟

فَتمهَّـلْ أيُّهَـا الرَّقَّـــاصُ واعْقِـلْ وتَهَـذَّبْ
بَاركِ الوَقْتَ وَجَـرِّبْ وتَعَلَّمْ مِنْ مُجَـرِّبْ
إنَّهـا لَحْظَـةُ أَحْلَامـــى وعُمْري فَتَجَنَّــبْ
لَسْتَ لَوْلَا يَدُهَا الحلـــوةُ إلَّا سُمَّ عَقْرَبْ

* * *

وإذَا حَاوَلْتَ أنْ تُسْـــرِعَ بِالوَقْتِ على غَيْرِ هَوَانا
سَوف نَسْتَبْدِلُك عَقْيَانــــاً ومَاسًــا وجُمَـانَا
ويَوَاقِيتَ تُرِينَـا الوَقْـــتَ لـكِنْ لَا تَرانَــا
سـاعَةٌ قــد صَنَعُـوهَا ذَاتَ حِسٍّ لا يُـدَانَـى
ترْقُب الفَـرْحَة تُغلِـــيهـا زَمانًا وَمـكَانَــا
ذاتُ حِسٍّ عَبْقَـرِيٍّ فِى لِقَـانَــا تَتَفــانَى
حَسْبُهــا رجْـعُ صَدَانا تَغْمِضُ الطَّرْفَ حَنـانَـا
تَكْتُــم السِّـرَّ ولا تَنْطِـــقُ شَيْئًا مِـن وَرَانَـا
رُبَّمَا أَبْطَأْتِ السَّيْرَ فَلا تَسْبِقُ فى السَّيْر خُطَانَا
بِنْتُ أَصْل ٍوبَنَاتُ الأَصْـــلِ أَغْلى النَّاسِ شَانَا

حَسْبُهـا يَا نَـاسُ أَنْ تَشْهدَ حَالَيْنا عِيَانَـا

حَسْبُها رُؤْيا لِقَانَـا ثُمَّ تَشْيِيعُ خُطَـانَـا

ومَعًا للبَـابِ حَتَّى حِينَ تَعْيَـا قدمَانَـا

نَسْرِقُ الصَّفْوَ مِنَ الوَقْـــتِ ونَرْجُـوهُ الأَمَانَـا

وهو بِالأُنْس ضَنِين قَلَّما يُعْطِي الأَمَـانَـا

وإذَا صَافَـى فأَيَّـــامُ الصَّفَا آنًا فآنَـا

وأَخِيرًا فاعْلَمي يَامَـــيُّ أَنَّا فِي الهَوَى غَيْرُ سِوَانا

إنْ مَحَا الدَّهْرُ أَمَانِي النَّـــاسِ لَا يَمْحُو مُنَـانَـا

أَوْ طَـوى النَّاسَ فَإِنَّ الحُـــبَّ قَـدْ يَطْوِي الزَّمَانا

* * *

ساعتها تجيب

حَنَانَيْكَ قد أَوْسَعْتَ لَوْمًا كأَنَّني عَذُولٌ بِحَقٍّ تُسْتَباحُ دِمَائي

ومَا أَنا نَمَّامٌ ولَا أَنا حَاسِدٌ فَحسْبِيَ فى دُنْيا البَلاءِ بَلَائِي

فَبُرْجِي كَما تَدْري كَفِيفٌ وصَامِتٌ ثَقِيلٌ بَطِيءٌ فى أَشدِّ حَيَاءِ

فَفِي حُبِّهِ أَعْمَى وفى الكُرْهِ مُبْصِرٌ على غَيْرَةٍ شَفَّافَةٍ كَذُكَاءِ

يُحَرِّكُهَا سَمْعٌ وَيُلْهِبُهَا لَظًى إذا مَسَّها ذو غِلْظَةٍ وغَبَاءِ

وفى بُرجِ ذَاتِ المِعْصَمِ الرخْصِ شِيمَةٌ تُلائِمُ حُبِّي فى الهَوي وإِبَائِي

قَلِيلة حُبٍّ غيْر أَنَّ مزَاجِهَا عَلَى الحُبِّ يَجْرِي دَائِما بِقَضَاءِ

لَهَا فى مَذَاقِ الحُبِّ نَكْهَةُ حَالِمٍ بَرِيءٍ يَرِي الدنيا بِعَيْنِ رِضَاءِ

ورُبَّ خَيَالٍ آسِرٍ فى صَفَائِه يَفُوقُ الهَوى الطَّاغِي بِغَيْرِ صَفَاءِ

طَبِيبٌ يُدَاوي طِبُّه غَيْر دَائِه تُشَعْشِعُ فيه حِكْمَةُ الحُكَمَاءِ

يَرى فى دَلالِ الحُبِّ سُلْطَةَ قَادِرٍ مُمَثَّلة فى نَشْوةِ الخُيَلاءِ

ويُعْجِبُه فى الحُبِّ طَاعَةُ والِهٍ تَفِيضُ عليها رِقَّةُ النُّبَلاءِ

وأَسْمَى مَعَانِيهِ الوفَاءُ ورُبَّما يَذُوبُ حَيَاءً في رِدَاءِ وَفَاءِ

ويَعْصِمُهُ الحبُّ الحَفِيُّ وطَالَما ... تَسَامَى على جَاهٍ وطولِ ثَـراء

ويعْصِمُ مَنْ يهواهُ حتى كأنَّما ... يَرىَ كَوْنَهُ دُنْيا بِغَيْرِ شَقَـاء

ويُبْصرُ آفَاقَ الحَياةِ جَمِيعَهـا ... مَغَانِيَ تَرْعَى أَنْفسَ الشُّعَراء

وحتى مَعَاني الحَظِّ مَعْكُوسة الرُّؤَى ... عَلَى مَنْ حَوَالَيْها بِكُلِّ سَخَـاء

وتَحْزِمُ حتى نَفْسَها يُمْنَ حَظِّها ... وتَرْعَى بِحُبٍّ عِزَّةَ الكُرَمَـاء

فَلا تَرتَضِي فى عِزِّها ذُلَّ والِـهٍ ... وتَـأْسِرُها فى البَذْلِ جَرْعَةُ مَـاء

تَضِجُّ المَعاني فى حَنَايا فُؤَادِها ... وتَكْبَحُها حتى عن الخُلَصَاء

وتَرْعَى انْطِلاقَ الحبِّ فى غَيْرِ مَغْرَم ... ولا مَغْنَمٍ عَن عِفَّةٍ وإبَـاء

تُديرُ أَحَادِيثَ الهَوَى بِلَبَاقَةٍ ... وتُعْجِبُها إشْرَاقَةُ النُّدَمَـاء

ويَكْبُر منها الضَّنُّ حتى كأَنَّهُ ... عَطَاءٌ يرى فيه أَلَذَّ عَطَـاء

طَيَابَةُ نفس بَيْن صَحْوٍ وغَفْوةٍ ... وتِلْك المَزَايا مُنْيَةُ العُظَمَـاء

حَنَانَيْك فاسْجَحْ إنَّنى لَسْتُ عَازِلا ... وكيف وآسادُ العَرِين وَرَائِى

وللأَسَدِ الزَّءارِ بُرْجٌ كأَنَّـهُ ... على جَنَبَاتِ الكَوْنِ رَعْدُ سَمَـاء

وتِلْك التى قَدْ هَدْهَدتْ فِيك ثَوْرةً ... أَرَتْنا لُيُوثًا فِي إسَارِ ظِبَـاء

لَها الشُّكْرُ نُزْجِيهِ ثَنَاءً مُعَطَّرًا ... مَنْ غَيْرُها حَقٌّ بِكلِّ ثَنَـاء

الصحو الحالم

وقَدْ غادَرْتِني بَيْن صَفْوٍ وضِدِّهِ | وَحَيْرَةِ مَسْلوبٍ وقَسْوةِ سَالِبِ
تَسَمَّرْتُ خَلْفَ البابِ ثُمَّ وصَدْتُه | بِحُرْقَةِ مَغْلوبٍ وآمالِ غَالِبِ
مَشيْتُ الهُوَيْنَا وانِيَ الخَطْوِرَاجِفًا | كَمُبْصِرِ أَظْعَانٍ مَشَتْ بالحَبَاحب
رَجعْتُ إلى كُرْسِيِّها فَلَثَمْتُه | وحَاضَنْتُه فى حُزْن أَسْفَان ذَائب
وسَاوَرَني مَالَا أُطِيــقُ احْتِمالَهُ | وزَاحَمَنى زَحْمَ القَنَا والقَواضِب
ولَيْلٍ كَلَيلِ « النَّابِغِيِّ » مُؤَرِّقٍ | ثِقَالٍ مَراسِيهِ بَطِيءِ الكَوَاكِب
تُمَلْمِلُني فِيه أَمانِيُّ ظَافِــرٍ | وتَحْرِقُني فِيه أَحَاسِيسُ خَائِب
أُعاتِبُ نَفْسي كَيْف ضَايَقْتُ ثَاوِيًا | بِقَلْبي مُقِيما بَيْنَ عَيْني وحَاجِبي
ولو كُنْتُ ذَا وُدٍّ صَحِيحٍ كَتَمْتُه | وعِشْتُ على مَعْناه أَطْوِي جَوَانِبي
وأَبْدي سِوَاه عِنْدها رَغْمَ أَنَّني | أَضُمُّ عَلى ذِكْراهُ كُلَّ رَوَاجِبي
فَمَنْ لى بِمَنْ يُرْضِيني . بَعْدَما | رَمَتْنى بِلَحْظٍ جَاهِمِ الحِسِّ غَاضِب
وقَدخَلَّفَتْنى فى اللَّظَى العذْبِ حَائِراً | وما أَنَا بِالسالي ولَسْتُ بِعَاتِب

ولكِنَّها نفسُ المُحِبِّ عَجُولَة تَطِيرُ بِهَا أَحْلامُها للسَّحَـائِب

فَمَنْ مُبْلِــغٍ عَنِّيَ . . أَنَّها إذا ما عَفَتْ تَلْقَى شَمائِلَ تَائِب

وحَسْبِي مِنْها في الكَرى طَيْفُ حَالِمٍ ولَوْ حَسبَتْنِي فِي عِدَادِ الصَّوَاحِب

سَأَحْمِيكِ مِنْ نَفْسِي ومِنْ كُلِّ خَاطِرٍ يَسُوءُكِ وَعْدًا صَادِقا غَيْرَ كَاذِب

ودُمْتِ كَما تَبْغِين نُبْلا وعِزَّة تَفُوقِينَ في دُنْياكِ أَسْمى الكَوَاكِب

ورَجْوَاي أَنْ لاتَنْدَمِي رَغْمَ مَاجَرَى عَلى كُلِّ مَا اسْلَفْتِ رَغْم مَعَائِبِي

وإنِّي عَلى ودِّي بِأَشْوَاقِ حَاضِرٍ وإنِّي عَلى عَهْدِي بآمَالِ غَائِب

* * *

أتنسين ؟

إذَا فَرَغَ العَطْفُ هَلْ تَنْتَهِي مَعَانيه فى نَفْسِكِ الطَّيِّبَــة ؟

وأَنْتِ التي لَمْ يَزَلْ نَفْحُها نَدِيٌّ العُذُوبَةِ ما أَطْيَبَــه ؟

أَتَنْسِيــنَ أَنَّكِ أَزْهَى رَبِيعٍ حَفِيلِ الصِّلاتِ جَزِيلِ الهِبَة ؟

وشعــرُك تَنْسِين إلْهَامَــه وأَوْرَاقَــه الغَضَّــةَ المُخْصِبَة؟

أَلَمْ تَرْتَضِى حَــرَّ أَنْفَاسِــه وَلَوْ لَمْ تَكُونى بِهِ مُعْجَبَة ؟

* * *

الكوافـــير

وكُنْتُ أخَافُ على الوَجْنَتَيْن   من اللَّهبِ الحَرِّ فى الجَمْرَتَيْن
ومِنْ أثَرِ الكأْسِ فى «الشَفَّتَيْن»   ومنْ خَطَراتِ النَّسيمِ العَلِيـــل
فَطَمْأَنَنِي حَارِسُ المُقْلَتَيْن   وقَال أنَا الحِرْزُ مِنْ كُلِّ عَيْن
ولَا تنْسَ عَنْبَرةً بَيْـــنَ بَيْـــنَ   عَلى شَفَةٍ كاحْمِــرَارِ الأَصيل
تَصُـــونُ لَمَاها بِغَمَّـــازتَيْـــــن   وظِلُّ الجُفُونِ الوَرِيفِ الظَّلِيـــل
وللسُّهْـــرِيِّ لَظَى طَعْنَتَيْـــنِ   يصونُ على الغُصْن رُمَّانَتَيْـــن
فَلا تَخْش إلَّا تبَـــارِيحَ بَيْنٍ   فَشَرُّ الهَوى يَوم شَدِّ الحُمُـــول

* * *

فَقُلْت لِحَارِسِها المُشْفِـــقِ   فَدَيْتُك صِفْ لِى ولَا تَقْلَقِ
بِمَاذَا تَصُـــدّ يَدَ الحَالِـــق   كَوافِيرُها والشَّـــذَى يَقْطِرُ
أأَحْسَنُ مِن صَنْعـــةِ الخَالِق ؟   تُرِيدُ وفى شَعْـــرِهَا أَبْحُـــرُ
تَمُوجُ بِتَعْبِيـــرِهَا النَّاطِـــق   تَرانِيمُها النَّـــايُ والمِزْهَرُ
يَمُـــر بِكَفَّيْـــــه كَالسَّـــارِق   وَيَسْكرُ بِالنَّفَـــسِ العَـــابِق

وفى خَصَــلاتِ الصِّبَا الدَّافقِ يُخَالِسُها المُشْـطَ إذْ يَعْبــر

وفى شَعْرِها كُلٌّ ما فِى الدُّجَى مِنَ الوَمْضِ كالأَمَلِ المُرْتَجى

وفِيــه دُعَاءٌ يُدِيرُ الحِــجَى فَكَيْف عَلى حُسْنِــه آمنُ ؟

فَجَاوَبَنِى الحَارِسُ الآسِــرُ هَواكَ هو الحَاكِم الآمِــر

يُكَيِّفُــهُ حِسُّــكَ الشَّــاعِرُ ومِنْ خَوْفهِ تغْمُــضُ الأَعْينُ

• • •

المستلقية

رأَيْتُكِ فى سَدْحَةِ النَّائِمِ كأَنَّكِ فى سَبْحَةِ العَائِم

ولِلَّحْنِ فى الجَسدِ النَّاعِم تَرَانِيمُ مِثْل الدُّجَى الفَاغِم

فَمَا هَزْهَزَ الغُصْنَ أَثْمَارُه سِوَى ثَمَرٍ نَافِرٍ هَائِم

كأَمْوَاجِ نُورٍ تَدَلَّتْ على عَنَاقِيدَ منْ عَسْجَدٍ بَاسِم

فَعَوَّذْتُها ثَمِلاً بالمُنَى تَضَاحكْنَ لِلْحُلْمِ والحَالِم

* * *

قالت

قَالَتْ أَخَافُ المَعانِي فِيكَ غَافِيةً ولَا أَخَافُكَ فى صَحْـوٍ يُدَارِيها

فأَنْتَ إِذْ يَهْجَعُ الإِحْسَاسُ مُنْطَلِقٌ كالماءِ فى الأَرْضِ يَنْأَى عَنْ أَعَالِيها

ويَسْتَريحُ إلى أَعْطَافِ مُنْخَفَض عَلى طَبِيعَتِهِ فى حِضْنِ وَادِيهـا

وأَنْتَ كالحُبِّ تَطْوِيهِ عَوَاطِفُهُ وحُلْوُهُ حِينَ تَطْوِيهِ وَيَطْوِيها

فقُلْتُ أَنْتِ المَعانى فِى حَقِيقَتِها فكُلٌّ ما فِيكِ عُنْوانٌ لِمَا فِيها

قَالتْ حَبسْتُ مُنَى نَفْسِي بِأَقْنِعَة طَرِيَّة اللَّمْس رَقَّتْ فِى حَوَاشِيها

فَلنْ أطِيقَ بِمَا أَخْفَيْتُ أُبْدِيها ولَنْ أَطِيقَ بِمَا أَبْدَيْتُ أُخْفِيها

فقُلْتُ لا تَحْسَبِيها حَيْرَةً أُنُفًا فَكَمْ نُفُوسٍ مَضَتْ كَانَتْ تُعانِيها

وقِمَّةُ الحِسِّ فى دُنْيا الهَوى صُوَرٌ وشِيكَةُ الصَّفْوِ أَشْبَاحٌ مَرَائِيها

إِذَا اسْتَراحَتْ إِليْها النَّفْسُ ثَانِيةً كَرَّتْ عليه بِأَهْوالِ لَيَالِيها

والحبُ كَالكَوْنِ يَا لَيْلايَ تَجْرِبةٌ تُضِيءُ فى الزَّحْمةِ الكُبْرى مَعَانِيها

والفَجْرُ مِن غَسَقٍ يَبْدو ومِنْ حُرَقٍ كأَدْمُعِ الصَّبِّ حَارتْ فى مآقِيها

وكَمْ سحائِبَ ظَمْأَى وهي مُثْقَلَةٌ بِمُزْنِها ثُمَّ لا تَدْرِي بِمَا فِيها

رَجَوْتُ أَمْنَكِ يَا لَيْلايَ فَأَعْتَرَضَتْ شَتَّى صُرُوفٌ تَمَادَتْ فِي تَجَنِّيها

لكِنَّنِي بِكِ يا أَمْنِي ويا أَمَلِي سَأَحْتَمِي بِالعَوَادِي مِنْ عَوادِيها

فَهلْ تَصُونِينَ بُقْيا النَّفْسِ فِي حُلُمٍ فَقَد تَعِيشَ الأَمَاني في بَوَاقِيها

قَضيْتُ عُمْرِيَ في دُنْيا الهُدي أَرِقاً أَرْعَى الذِّمارَ لأَوْطانِي وأَحْمِيها

بَذلْتُ رُوحيَ في أَمْجَادِها لأَرَى ما كُنْتُ آمُلُهُ في عِزٍّ أَهْلِيها

وآثَرَتْ نَفْسِيَ الحِرْمانَ أَنْشُدُه غِذاءَ أُمْنِيةٍ كُبْرَي أُرَجِّيها

فَعَقَّنِي كُلُّ خِلٍّ كُنْتُ آمُلُه وبَاعَ دِينًا بِدُنْيا ذَلَّ رَاجِيها

وهَا أَنَا اليَوْمَ مُعْتاضٌ بأُمْنِيةٍ عَزِيزَةٍ كَهَوَى الأَوْطانِ أُغْلِيها

إِذا صَحوْتُ فَمِن أَنْفَاسِها أَمَلِي وإِنْ غَفَوْتُ فَأَطْيافٌ أُنَاجِيها

مَلَّكْتُها القَلْبَ لا أَبْغِي لَه ثَمنًا حَسْبِي ابْتِسَامَةُ فَجْرٍ لا تُوارِيها

وليْتَ أَورَاقَ عُمْرِي بَعْدما ذَبُلَتْ تَلُمُّها كفُّ أُمِّيٍّ ثُمَّ تَطْوِيها

* * *

قولي

قُولي بِرَبِّك ماذَا أَنْتِ صَانِعَـةٌ　　بَعْدي وقَدْ سَرَقَتْ عَيْنَيَّ عَيْنَاك

فَلَيْت أَنِّيَ لَمْ أَرسُمْ هَوىً ثَمِلاً　　على جَبِينِكِ بَادٍ فى مُحَيَّاكِ

ولَيْت أَنَّكِ قَد أَطفَأْتِ شُعْلَتَه　　أَوْ أَنَّ حُبًّا سِوَى حُبِّى تَفَادَاك

إنْ كُنْتُ أُسْعِدُ نَفْسى فِى شَقَاكِ فَلا　　دَامَتْ سَعادَةُ مَنْ يا ميُّ أَشْقَاك

حَسْبِي مِنَ الذِّكْريَاتِ البِيضِ ماتَرَكَتْ　　فِى كُلِّ جَارِحَةٍ مني بَقَايَاك

وأُمْسِيَاتٌ لَنَا كَالحُلْم قَدْ سَلَفَتْ　　الشِّعْرُ أَنْجُمُها والخَمْرُ نَجْوَاك

ولَمْ نَذُقْ طَعْمَ رَاحٍ غَيْرَ مَا سَكَبَتْ　　عَيْنَاكِ مِنْ نَشْوةٍ فِيها حُمَيَّاك

أَجَلْ فَدَيْتُك هَلَّا تَذْكُرِينَ إِذَا　　مَررْتِ بالجِيزَة الزَّهْرَاءِ مُضنَاك

ولَوْ بِنَظْرةٍ عَطْفٍ فَوْق مِصْعَدِهَا　　إِذا تَيَمَّمتْ فى أَعْلَاه قُرْبَاك

تَذكَّرِيهِ ولَوْ عَتْبًا ولَوْ غَضَبًا　　فَسَوْفَ تُسْعِـدُهُ يا ميُّ ذِكْرَاك

قَولى هُنَا كَان مِن دارِ الهُدَى رَجلٌ　　بَادِي الهُيَامِ عَليلٌ ضَاحِكٌ بَاكِى

سلمت يداك

سلِمَتْ يَـدَاكِ الحُلْوتَانْ يَا مىُّ يا نَوْرَ الجِنَـانْ

يا مَنْ سَمَوْتِ على الحَنَانِ فكَيْفَ يَبْلُغْك البَيَـانْ

لو قُلْتُ جَوْهرَةَ الزَّمـانِ أَخافُ مِن حَسَـدِ الزَّمَـانْ

لَمَسَاتُ كَفِّكِ بالبَنَـانِ طَابَتْ بِهِـنَّ المُقْلَتَـان

مَا « كَمَّدَتْنِي » « القُطْنَتَان » بِالمَاءِ ثَلْجًا يَقْطُـرَان

لكِنْ بأَنْفَـاسِ الحَنَانِ بِشَـذَى الحَلاوةِ فى اللِّسَان

عَزَّافَةٌ عَزْفَ الكَمَـان وأَقُولُ فِى نَفْسي : كَمَان

أَنْتِ الطَبِيبَـةُ بالرِّهَان ولَقدْ كَسِبْتُ أَنَا الرِّهَـان

أُمْنِيَّتَـانِ عَزِيزَتَـانِ انْ تَعْتَرِيـنِي مَرْضَتَـان

أَحْظَى بأَنْمُلِكِ الحِسَان وَلَوْ تَطُـولُ العِلَّتَـان

يا مَن أَبَيْتِ لِىَ الدُّخَـان وقُلْت تَكْفيك لُفافَتَانْ

أَغْضَتْ وقَالَتْ « نُكْتَتَان » وسَكَتُّ فى حَذَرِ الجَبَـان

* * *

أمـــل

هى النَّدامَةُ أَخْشَاها عَلى « أَمَلٍ » ... أَبَاحَنِي الحُبُّ فِيه كُلَّ مَمْنُوع
وما نَدِمْتُ ولَمْ أَنْدمْ عَلى ثِقَـــةٍ ... لكِنْ ندمتْ «وقَدْ» جَفَّت يَنَابِيعى
تَبَلْبَلت فى مفَاهِيمِ الهوي فَبَدَتْ ... تَقِيسُ مصنُوعَهُ البَالِى بِمَطْبُوع
وفَاتَها أَننى فى حُبِّها قَبَـسٌ ... شُعَاعه طُولَ عُمْري غَيْرُ مَقْطُوع
وفَاتَها أَنني كَالشَّمْـعِ مُحْـتَرِق ... لِكَي يُضِيءَ وأَنِّي غَيْرُ مَدْفُوع
وأَنَّ لِي أَمَلًا فيها أُرَعْرِعُــهُ ... بَيْن الحَنَايا بِتَنْهِيدِي وتَلْوِيعِى
وإنَّنى غَيْرُ ما أُبْدِيهِ مِنْ صُوَرٍ ... سِرٌّ مِن الغَيْب يَمْشي فى التَّلافِيع
إن غَابَ عنْكَ فأَيَّامُ المُنَى دُوَلٌ ... كَم بَائِع قَد بَكَى فِى إِثْرِ مَبْيُوع
إِنى أُعِيــذُكِ مِنْ آلامِ نَادِمَةٍ ... مَضَى بِها الوَهْمُ في أَحْلامِ مَفْزُوع
يَسُوءُنى ظَنُّك العَاتِى ويُحْزِنُنى ... رُؤيا فُؤَادِك في أَثْوَاب مَخْدُوع
لَسْتُ المُخَادِعَ عُمْري وقدْجَعَلْت هَوى ... النفسِ منى تَابِعًا فى ظِلِّ مَتْبُوع
فَلا أَقُولُ وَدَاعًا بل ودادَ رِضا ... إِن فَاتَنى حَظٌّ تَشْيِيعٍ وتَوْدِيع
فَالبُعْدُ أَهْوَنُ مِنْ لُقْيا مُرَوَّعَةٍ ... ومِنْ لِقَاءِ وَدَاعٍ بَعْد أُسْبُــوع

* * *

أعلمتَ ؟

أعَلِمْتِ كيفَ دَنَوْتُ مِنْكِ ومِنْ سَمَاكِ ومِنْ رِحَابِك ؟

ومِنَ البَشَاشَةِ في طِبَاعِك والحَلاوَةِ فِي دُعَابِك ؟

وَمِنَ الصَّفَاءِ العَبْقَرِيِّ لقد تَلأْلأَ فِي شَبَابِك ؟

ومِنَ الأَرِيجِ العَذْبِ احْسَبُه تَقَطَّرَ مِنْ رضَابِك ؟

شَيءٌ خَفِيٌّ لا يُبَيَّنُ لَقَدْ دَنَا بِي نَحْوَ بابِك

شَيْءٌ تَلَعْثَمَ فِي سُؤَالِي إِذْ تَلَعْثَمَ فِي جَوابِك

شيءٌ أَطَلَّ مِن السَّمَاءِ ولَيْسَ ظِلاً مِن رِغَابِك

حدَثٌ واحْلِفُ أَنَّهُ مَا كَان يَوْمًا في حِسَابِك

شيءٌ تَسَامَى عَنْ هَوَى الدُّنْيا وأَشْرَقَ فِي إِهَابِك

ذِكْري مُعَطَّرةٌ سَتُقْرأُ يا وفيَّةُ في كِتَابِك

قُولِي لأَهْلِكِ والأَقَارِبِ والأَعِزَّةِ مِنْ صِحَابِك

هَذي الحيَاةُ مَشَاهِدٌ غَيْرَ القَنا . غَيْرَ السَّنَابِك

غَيْرَ الوُجُودِ بِكُلِّ مَا فِيه وغَيْرَ سَنا المَلائِك

أَعْطافُــهُ الوَرْدُ المُصَفَّى رَغْمَ أَنَّ اللَّمْسَ شَــائِك

وبِسَــاطُهُ رَوحٌ بِــلَا وَقْــدٍ أَلَــذُّ مِنَ الأَرَائِــك

ذَهَبِيَّـــــةٌ لَحَظَــاتُه مِنْ دُونِها أَغْلى السَّبـــائِك

لَوْ ذُقْتِ يا أُمَّــاهُ لاسْتَحليْــتِ ماءً غَيْــرَ مَائِــك

ولَقَــالَ لِي كُــلُّ الصَّواحِبِ زَوَّدِينَــا مِنْ سَمــائِك

لكِنْ أَضِــنُّ لِيَهْتِفُــوا يا مَيُّ هَــذا بَعْض دَائِك

• • •

الحب الشاعر

أَحِبُّكَ يا حُبَّها الشاعِرَا ... وأُغْلِيكَ يا قَلْبَهَا الطَّاهِرا
وأَصْدَحُ يا غُصْنَها الزَّاهِرا ... لِتَرْحمَ فى خَافِقى طَائِرا
وتُؤْوِيَ مُرْتَعِشًا صَابِراً ... وتُنْهِضَ حَظَّاً له عَاثِرا
نَصبْتَ له الفَلَكَ الدَّائِرا ... فَعبَّ الضِّيَاءَ هَوًى سَاحِرا
فَيَا لَيْتَ آخِرُه أَوَّلا ... ويَا لَيْتَ أَوَّلُه آخِرا
لقَدْ كُنْتُ أَرْصُدُ سَيْرَ النُّجُومِ ... واجْعَلُ بَاطِنَها ظَاهِرا
وهَا أَنَا يَرْصُدُني آسِرٌ ... وكُنْتُ لأَمْثَالِه آسِرا
فَيا مَنْ أَسَرْتَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ... فَتًى حَاسِبًا مَاهِرا
فَدَعْنِيَ أَصْنَعْ لَكَ الطَّالِعَا ... فَرِيدًا كَما تَشْتَهي نَادِرا
وشَرْطِيَ أَنْ لَا تَفُكَّ الأَسارَ ... وتَبْقَى على مُهْجَتِي آمِرا
وإِنْ لَاحَ فى البُرْجِ نَجْمٌ سِوَايَ ... فَكُنْ لِي وَلَوْ خُفْيَةً ذاكِرا

* * *

لا تلمني

لا تَلُمْـنِى حِيـنَ يَنْحُو العقلُ عِنْدي غَيْرَ نَحْوِك

لا تَلُمْنى

لا تَقُلْ فَرْطُ دَلَالٍ لَا تَقُـلْ زَهْوُ جَمَال

وتَرفُّـقْ

لَا تَلُمْنى

لِىَ رُؤْيا غَيْـرُ رُؤْيَـاكِ وعِلْمٌ غَيْرُ عِلْمِـك

فَتَمَهَّـل

لَا تلُمْنى

لَسْتُ بِالجَاهِـلِ قَـدْرَكَ مِثْلَ مَا أَجْهَلُ سِرَّك

ورَجَـائِى

لَا تَلُمْنى

فَرْحَتِي فَرْحَــةُ إِحْسَاسٍ وقَلْبٍ يَتَضَــرَّمْ

فَتَــأَمَّــلي

لَا تَلُمْني

أَنْتَ مَعْـنًى غَيْــرَ مَيْسُورٍ عَلى العَقْلِ قَبُــولُه

لَا تَسَلْني

لَا تَلُمْنى

وبِـذَوْقِـي وأَحَاسِيــسي هضَمْـــته

دُون عَقْلى

لَا تَلُمْنى

فَمَعَــانِي الحُبِّ قَدْ تَعْـرِفُ لكِنْ لا تُطَــاق

فأَجِـرْنِي

لَا تَلُمْني

فَوْق سُــوءِ الظَّنِّ فَــوقَ الشَّكِّ تَعْـلُو للثُّــرَيَّا

للثُّــرَيَّا

لَا تَلُمْنى

قُلْتِ لِى إنّي فِى اللّحْظَةِ والخَطْرَةِ جَنْبَك

فَصُعِقْت

لَا تَلُمْنى

أَنْتَ شىءٌ غَيْرُ حُبٌّ غيرُ وِدٌّ غَيْرُ قُرْب

لَا تَسَلْنى

لَا تَلُمْنى

قالَ لي حِسُّكِ فِي صَمْتٍ عَجِيبٍ

وغَريبٍ

لَا تَلُمْنى

إنَّنِى أكْثَرُ مِنْ بِنْتٍ وأُخْتٍ وحَلِيلَة

وصَمَتُّ

لَا تَلُمْنى

إنَّني عِنْدَكَ فِى النَّوْمِ وفِي الصَّحْوِ سَواءٌ

بِسَواء

لَا تَلُمْنى

إنَّـنِي راحتُـك الكُبْرَي عَلى رَغْمِ انْبِهَــاري

واعْتِـذَاري

لَا تلُمْنى

إنَّـنِي دُونَ رُضُــوخٍ وجُمُــوحٍ فى جِوارِك

ودِثـارِك

لَا تَلُمْنى

فَتَملْمَـلْتُ وأَصْبَحْتُ كَمـا تَهْـوَى وأَكْثَـرُ

ثُمَّ أَكْثَـرُ

لَا تَلُمْنى

وتَمَلَّيْتُـك فِى نَفْـسي ورَاقَبْـتُ زِيــارةً

لا إشارة

لا تلمنى

وتَقَمَّصْتُ الَّـذي فِيكَ « تَحَابِيشُ » ورَجْوَى

بَعْد نَجْوي

لَا تَلُمْنى

عِنْدَما أَنْزِعُ فُسْتَانِى وأَخْتَارُ شعاري

وسِوَاه

لَا تَلُمْنى

عِنْدَ حَمَّامِى وهِنْدَامِى و كَوَافِيرِي وشَعْري

أَيُّ شَعْر

لا تَلُمْنى

ربَّما أَخْرجُ مِنْ عِنْدِكَ غَضْبَى أَيَّ غَضْبَى

دُون قَصْد

لا تَلُمْنى

ثم أَرْضَــى فِــي شُعُــورٍ يَتَجَــلَّى بِابْتِسَــام

والْتِئَام

لا تَلُمْنى

كُنْت أَخْشَــاكَ وأَصْبَحْــتُ عَلَيْكَ اليَوْمَ أَخْشَى

فَتَريَّثْ

لا تَلُمْنى

إنْ صَحَا عَقْلِــى لَا أَرْغَبُ فِى حِسِّىَ صَحْــوَهُ

مِثْلَ سَهْوه

لا تَلُمْنى

إنَّ حُسْنَ الظَّنِّ مِنْ مِثْلِىَ عَيْبٌ أَنْتَ تَعْلَــمُ

فَوْقَ عِلْمِى

لا تَلُمْنى

غَيْرَ أَنِّي دُونَ مَنٍّ قَدْ تَنَــاسَيْتُ الظُّنُــونَ

والحِسَاب

لا تَلُمْنى

كلٌّ ما أَرْجُــوهُ مِــنْ قَلْبِكَ فِى قَلْبِي وَرُوحِي

أَنْ تبُوحَ

لا تَلُمْنى

وَتُــرِينِي ما تَــرَاهُ لِأَرَى رُؤْيــا اليَقِــينِ

فى جَلاء

لا تَلُمْنى

وأَرَى تَدْبِيــرَ صُنْعِ اللهِ فى حَــالِي وحَــالِــك

للنِّهَايَة

لا تَلُمْنى

هُــو شَهْرٌ فِى حِسَــابِ النَّــاسِ لكِنْ فى حِسَابِنَا

سِنِين

لا تَلُمْنى

فأَجِبْني كَيْف نَحْيـا كَيْف نبْقَـى فِي سَلام

وأَمَان

لا تَلُمْني

مـا مَصِيرُ البُعْـدِ بَعْـدَ القُـرْبِ قُـلْ لِي

هَلْ يَذُوب

لا تَلُمْني

قُلْت حُبٌّ فوقَ حُبٍّ النـاسِ ما شَكْل الحَصَانَة

لَسْتُ أَدري

لا تَلُمْني

فأَجِبنِـي لا تَدَعْنِـي وأَعِنِّـي أَيَّ عَـــوْنٍ

لَا تَدَعْني

لَا تَلُمْني

الجواب المنثور

أَجَبْتُكَ فى نَثْرٍ عَمِيقٍ كأَنَّه . فَتَاوَي إمَامٍ يَسْتَريحُ لِمَأْمُـوم

وصوَّرْتُ مَجْهولَ الحَقِيقَةِ غَامِضًا بِإيماءِ مَفْهومٍ وإشْرَاقٍ مَعْلُـوم

ولكِنَّ نفسًا بين جَنْبَيْك حُرَّةٌ تـأْثَمُ حتَّى مِن هُبُوبِ نَسِيـم

تَحَيَّرْتُ فى نَصٍّ تحرَّيْتُ صِدْقَه وإنْ بَانَ فى مَعْنَاكِ غَيرَ هَضِيم

وهَا أنَا قد حرَّمْتُ كُلَّ مُحَلَّلٍ « لَدَيَّ » لِأَحْيَا فِي لَظًى وجَحِيم

وهَا أنَا ذَا يا آمِنَ آخِرِ طَاعَـةٍ باحْسَاس تِلْميذٍ وطَبْع حَلِيـم

ولا تَحْمِلِي إلَّا عَصَا العُنْفِ دَائِما فَكَمْ مُخْلِص ياآمِنَ غَيْر رَحِيم

وكُلُّ الذي أَرْجُوهُ غُفْرانَ قَادرٍ وَتَـأْدِيبَ إنسانٍ وهَجْرَ حَكِيـم

وكَمْ رَحمَةٍ جَاءَتْ بـأَثْوَابِ نِقْمَةٍ وكَمْ مِنْ وَلُودٍ أَخْصَبَتْ بِعَقِيم

• • •

سامحني

« يا رَبِّ سامِحْني » تقولُ وذَنْبُها   وهْمُ البَرِيئَةِ فى حَنَانِ المُحْسن

وتَظُنُّ رِقَّتَها رَغِيبــةَ نَفْسِهــا   مِنْ طِيبِ عُنْصُرِها وفَرْطِ تَحَنُّن

وسَمِعْتُها ولَمَحْتُ بَينَ جُفُونِها   أَلَقَ الرَّجاءِ الوَاثِقِ المُتَمَكِّــن

وهَتَفْتُ يا ربى أَبُوءُ بإِثْمِهــا   وَحْدِي وخُذْنِى أَخْذَ رَاضٍ مُذْعِن

واملأْ جَوانِحَها بِمَا تَرْضَى لَها   وأَمْنُنْ بِحِسٍّ من «لَدُنْك»مُطَمْئِن

يا رب إنْ أَغْضَتْ فكُلُّ عُيُوبِها   إسْرَاعُ مُؤْمِنَةٍ لِنَجْدَةِ مُؤْمِــن

يا ربِّ بِاسْمِك قَد شَفَعْتُ لِحُبِّها   وبِكُلِّ ما أَعْطَيْتَنِى ومَنَحْتَنِــى

يا ربِّ فامْنَحْ لِي بِفَضْلِكَ حُلَّةً   كَالخُلْدِ لَم تَذْبُلْ وَلَم تَتَغَضَّن

ومِنَ السَّعادَةِ ما تُرِيدُ وعَزْمَــةً   كالنَّصْلِ لَم تَخْدعْ ولَمَّا تَغْبُن

فى فِطْنَةٍ لَمَّاحَةٍ طَمَّــاحَــةٍ   تُودِي بِكُلِّ مُجَازِفٍ لَم يَفْطِن

لكِنَّ رَجْوايَ الحَبِيبَةَ أَنْ أَرى   قَلْبي بِغَيْرِ وفَائِها لَمْ يُفْتَــن

* * *

الشراب الجديد

ولمَّا أرَتْنِي « الشُّرابَ الجَدِيدَ » تَساءلتُ هَلَّا أراهُ عَلَيْكِ
فَلَعْثَمَها خَفَرٌ ذَائِبٌ ولَعْثَمَنِى مِثْلُه فاسْتَحَيْتُ

• • •

ولَاذَتْ بِصَمْتٍ ومِنْ بَعْدِه تَنفَّسَ فِيها الحَنَانُ اللَّذِيذ
وقالتْ إذَنْ فأَغْمِضْ نَاظِرَيْكَ وأَغْمَضْتُ حَتَّى كأنِّى سَكِرتُ

• • •

ولم أدْرِ إلَّا وكَفًّا رَشِيقًا على العَيْنِ تَفْتَحُها كَالنَّسِيم
ولَاحَ الشُّرابُ ومِنْ لَوْنِها يَعُبُّ النَّبِيذَ كأنِّى عَبَبْتُ

• • •

فَيَا لَيْتَ كُلَّ جَدِيدٍ أَرَاهُ كَمَا قد رَأَيْتُ الشُّرابَ الجَمِيلَ
فَفِى هَذِه الوَمَضَاتِ القِصَارِ لَذَائِذُ وَحْدي بها قَدْ دَرَيْتُ

• • •

خذُوا مَثَلًا « نَأْنَآتِ الحَدِيثِ » على فُسْتقٍ فى يَدَيْها تَقَشَّرُ
أَتَتْنِي بِهِ وهو فى الشَّنْطَةِ تَمنَّيْتُ لَوْ كُنْتُهُ فاختَبأْتُ

• • •

تُجَمْجِمُهُ فى الثَّنَايَا الوَضَــاءِ ولُؤْلُؤُهَا الأَبْيَضُ الأَفْلَــج

لَتَكسِـرَه وفُـؤَادِي يَخَـافُ عَلَيْهـا ولكِنَّنِــى أَسْكُــتُ

* * *

وتأْكُلُنِــى غَيْرَةٌ حُــرَّةٌ لَهــا أَوَّلٌ مَا لَهـا آخِـرُ

وَلَيْسَــتْ بِدَارِيَــةٍ لَيْتَهــا تَحُسُّ بأَنِى امْرؤٌ مَيِّــتُ

* * *

من مثلها ؟

مَنْ مِثْلُها فى رِقَّةٍ ؟ مَنْ مِثْلُها فى عِفَّةٍ ؟ سَلِمَتْ وزَانَتْ كُلُّها
دَعْ عَنْكَ حُسْنَ شِيَاتِها وسِمَاتِها فالرَّوْضُ والكَرْمُ المُهَدَّلُ ظِلُّها
والزَّهْرُ والضَّوْءُ المُقطَّرُ والصِّبَا رَوْضٌ سَقَاهُ مِن المليحة طَلُّهـا
قَالوا تُحِبُّ جَمَالَهَا فأَجَبْتُهمْ بَهرا وجَعْفَرها الظَّرِيفُ وأَهْلُها
هِيَ كالْكُرُومِ حَلَاوَةً ونَشَـاوَةً عَذْبٌ تجَنِّيها ، حَبِيبٌ دَلُّها
لَهَبُ الجَبَاءِ يُزِينُها إِيمَاؤُهـا وعَلى الحَيَاءِ أُحِبُّهـا وأُجِلُّهـا
ويُلِذُّنى فِيهـا حَنَـانٌ ضَاحِكٌ فَكَأَنَّ سُؤْلِي فى حَيَاتِي سُؤْلُها
ضَنَّتْ على الدُّنيا وما ضَنَّتْ على صَبٍّ يُنَازِعُه عَلَيها بُخْلُهـا
أَنَا مَنْ أَراحَ هَوىً وَطُمْئِنَ قلبُه ومَضَى لِعُقْدَةِ أَصْغَريه يَحِلُّهـا
فإِذَا وَهبْتُ لَها الحَياةَ فإِنَّهـا أَدْنَى أَمانِي مُهْجَتى وأَقَلُّهـا
قُولوا لَها إِنِّى الوَفِىُّ لِعَهْدِهـا فَهِي العَزِيزَةُ فَوْقَ رأْسِى نَعْلُها
وهِيَ الَّتِى من أَجْل قُرَّةِ عَيْنِها قَد يَسْتَوي صَعْبُ الحَياة وسَهْلُها
مِصْر « بِهَا » وَطَنِي وفى أَنْسَامِها دَارُ الهُدى ورُبَى العَقِيقِ ونَخْلُها
وهَوَا « قُباءَ » وماؤُها وثِمَارُها « فأَريسُ » طَيْبَةَ فى الكِنَانة نِيلُها
قُولوا لأُمَّتِنَا المُمَزَّقِ شَمْلُهـا بِالحُبِّ لَيس سِوَاه يُجْمَع شَمْلُها

إعتذار

سَهَوْتُ . . . . . فنَسِيت نَاسًا عُرِفْت بِهِمْ . . . . . هَلْ يَجُوزُ

شَغِلْتُ بِها فَلم تَسْأَلْ عَلَيْنـا وَوقْتُ الشُّغْلِ مَعْلُومٌ وَجِيزُ

فقُلْتُ ظَلَمْتُموها وهي مِنْكمْ فإن الحبَّ مَعْنًى عَزِيـزُ

ولَوْلاكُمْ لَما صَبرتْ عَلَيْنا وإِلَّا فَكَيْفَ يَنْهَضِمُ العَجُوزُ

يُضَايِقُهـا بِتَخْرِيفٍ سَخِيفٍ وأَوْرَاقٍ لَهـا أَبَـدًا أَزِيزُ

تَأَبَّتْ فَهِيَ تَرْفُضُ كلَّ شَيْءٍ وما أَنا مُسْتَغِلٌّ أَوْ نَهِيـزُ

ومِنْ أَخْلَاقِها الغَرَّاءِ تَبْـدو تَمـائِمُهـا الحَصِينَة والحُرُوز

* * *

قصة العمر الضائع

مهداة إلى الشباب اللامع

يا حُلُماً مرَّ على خَاطـرِي   وكنتُ فى واقعِــه أحلم
تَذوب فيَّ أَطيــافُهُ حسـرةً   محمومةً تكظـمُ : ما تكظم
تذكرتُ عهداً شذيَّ الرُّؤَي   تـحرسُه الأَقمــارُ والأَنجم
كأَنما شَقْشَــقَ أَنــداءه . . .   من المُـنَى النسمــةُ والبرعم
واستعبرتْ فيــه النهى فرحةً   وَشَى بها فى الوجنــةِ العندمُ
وأَشرقتْ دنيا الهوى غضــةً   تحتارُ : هل تنهلُ : أَو تلثم
آمالها أَرحُب مِنْ رَحْبِــهَا   وكأْسُها مِنْ « دَنِّها » أَفعــمُ
العينُ ما أَبصــر إِنســانُها   « دنيــا » على غرةٍ تبســم
وحاليــاتٍ سَمْحةِ المجتنى   مذاقُها حــلوٌ : ويدرِي الفَمُ
ومرتِ الذكري أَسىً طاويًا   على الشجا من دونِهِ العلقــم
سوانحا نضّت غلالأَتهــا   عنــه فلا جيــدٌ ولا معصم
مِنْ كلِّ حوراءَ على وصلها   أَراقَ خيرَ العمــر لو يعلمُ

فإن بكَى الأيامَ فى حسرةٍ   فقد أدارتْ وجْهَها تلطُم

أَيامَ ناداهُ ضميــرُ الهــدي   أنْ : قَدْكَ : فالأيامُ لا ترحم

وما وَنَى عن عتبِــه والنهَى   غافٍ : ألا تصحُو : ألا تنـدمُ

لكنـه الغارقُ فى لجــةٍ   أَلقَى بها فى مـدِّه العيلم

لكنـه الســادرُ ما يرعوِي   وقد أَفاق النـومُ والنُّوَّمُ

واليــوم إذ جالتْ بآفاقِـه   دُموعُـهُ والعـــودُ مستعجم

أَنحى على الذروةِ والغـــاربِ   غيبٌ تصــاريفُه تزحم

فصاحت العينُ وقد صُــوِّحَتْ   أَهدابُهــا : هل فيَّ ما يلهم

قد يجدب القلب ويذوي النهى   والروح لا تبلى ولا تهـرم

فخذ من الماضى وأَبعـــاده   عِبْرَةً والمنتـــأَى أسلم

كم عبرة هزت كيان الذري   تَنْقُضُ فى الأَهـوال ما يُبرمُ

فإن تَكُنْها عظـــةً للأُلى   تَلَوْكَ : فالذكرى هى المغنم

فكلهمْ والعمـــرُ فى صحوه   يحيــن بالعمــرِ كما يرسمُ

فالخطـةُ المُثْلَى هى الملتقى   وأَنهــا المنهـجُ والمعــلم

يختــارُهَا يعـرف أَمــداءَها   كما يراها الفارسُ المعـلم

يجـولُ بالرأيِ الصُّراح الذي يبـرحُ لا يخفَى ولا يكتمُ

ويمـلأُ النفسَ فلا منفـذ إلا على أهدافــه يقحمُ

يُوقِّتُ المرمَى بميقــاتِه وكيف ينبو : هادفٌ : محكمُ

فلا تُبيحُ النفسُ أهــواءَها إلا هوى عن غيرِهِ يَبْكُمُ

وفي ضلالِ السعي فى جهـله يضيعُ هذا العمرُ أو يعدم

وإنه الجهلُ دليـلُ الردى ومعـولُ الهدمِ الذي يحطم

وثائرُ العـزمةِ مـوارُها . . . . يسعى له المجلوُّ والمبهـم

فقد تخطَّى الهـولَ لا راغما فما يروض الهول من يرغم

وعالجَ الناس على ما بهـم لأنه بالمبتـــغى أعـلم

* * *

إليهــا

إليها حُنُواًّ من أَحاديث نفسها — تصيــدته منها بوحى خواطري

حديث معان زاحم الجـد سرها — ورب صراع من وراء الضمائر

وفى ومض عينيها تأَلق خافق — يداري جراحاً هجعاً فى السرائر

تهدهده بالأَمنيـــات حبيسة — لتنطق لكن فى جوانح شاعر

فيا أَنت يا نَفْحاءَ كلِّ هنيهة — كآمال حب فى مواكب هاجر

تحريت فيه الفجر أَرقب ضَوْءَهُ — وأَخشاه والأَقدار رهن المصائر

* * *

أتحلاك

أَتَحَلَّاكِ فى الأَهِلَّةِ تَنْسَابُ ضِيَاءً بِنُور عَيْنِك يَرْنُــــو
أَتحلاك فى الخَمِيلِ وفى الرَّوْضِ على نَفْسِه يَرِقُّ وَيَحْنُــو
أَتحلاك فى الأَصِيل الذي وَدَّعَ شَمْسَ الضُّحى حَزِينًا يَئِــنُّ
أَتحلاك فى المــآقِى التى يَزْحَم إِشْرَاقَها حَيــاءٌ وفَـــن
أَتحلاك فى النَّسَائِم أَنْــدَاءً لِطَــافًا رَفِيفُهــا مِنْك لَحْــن
أَتحلاك فى المَعَانى الَّتى تَنْبِض بالحُبِّ سَخَاءَ حَنَانُه لَا يضِن
أَتحلاك فى المُنَى باسِمَاتٍ فى ثُغُور الأَقَاح والغُصْنُ لدن
أَتحلاك فى الرُّبَى تُسْكِر النَّشْوة فِيها ويَبْهَجُ العَيْنَ حســن
أَتحلاك فى الكُؤُوسِ التى شَعْشع أَقْدَاحَها هَوًى مُسْتكِــن
نَوَّرَتْ بالحُبَابِ كالعَسْجَد الصَّافِى على وَقْدِها يُغَمغِم دَنُّ
أَتحلاك فى الدُّجى لَفَّه الصَّمْتُ وقد حَرَّك المَواجِــعَ بَيْنُ
أَتحلاك تَصْدَحِين كَما يَصْدَح فى الفَجْر هَزَارٌ إلى الأَلِيفِ يحن
أَتحلاك تَخْطُرين على الشَّطِّ وقد أَثْقَل الخُطَى مِنْك وَهْــن
رجَفَتْ بالخيال أَطْيافُك البِيضُ وحُسْنُ الخَيَال وهْمٌ وظَن
والهوى ثَائِرٌ يَعِيش على الشَّك ولا يَخْلُد الهَوي المُطْمَئِــن

أنتِ يا جوهَرَ الحَياةِ صَفَاءٌ سَكِرَتْ من لماه عَيْنٌ وأُذْن
ورَحِيقُ الجَمَال فِيكِ « حُمَيَّا » أَشْعَلَتْ خمْرَها المُعَتَّق عَين
من معانٍ كَرِيمةٍ وسِمَاتٍ : كُلُّها فَرْحةٌ وبِشْرٌ ويُمْــــن
وجَمالٌ فى النَّفْس والقَلْب والرَّوْح أَصِيل سَقَاه بالحُبِّ مُزن
فَسَلِينى عن النَّوى وَسَلِينى عَنْك فى ظِلِّه يُحَدِّثْك جَفْـنُ
قرَّحَتْ لَيْلَه الهُمومُ وشَابَتْ أَدمعٌ فيه ... ما تَأَلَّقَ سِــنٌّ
هِزَّةٌ بَعْدَ هِزَّةٍ وعِرَاكٌ وَطُيوفٌ تَنْأَي حِينًا وآخَر تَدْنُـــو
وأَنا الحائِرُ المُعذَّبُ لَا يشْكو ، وَصَمْتُ الهَوَى أَسارٌ وَسِجْن
كُنْتُ فى أَرْبُعِ الحجازِ غَرِيبًا فَالْهوى مَوْطِنٌ وعِشٌّ وكِــن
والهوى إِنْ تغَيَّب بالنفس والحِسِّ حَياةٌ فالقَلْبُ دِفْءٌ ورُكْن
والهوى مِعْزِفٌ يُغَرِّد للكوْن فَيزْهُو بالحُبِّ عَيْشٌ وَكَــوْن
وأَنَا اليوم بَعْد أَنْ سَمَح الدهرُ بِلُقْيَاك ما أَزال أَحِـــن
فاشهَدِي يا سَمَاءُ أَنَّ حَيَاتى فى يَدٍ كُلُّهــا سَلَام وأَمْـــن
أَنْتِ علَّمْتِنِى الوفاءَ الذي طَرَّز أَرْدَانه عَفَافٌ وَصَــوْن
فَلْتقُولي إِذا دَعُونِى إِلَيْهم مَا لَــه عِنْدنا سَمَــاحٌ وإِذْن
إِنَّنا هَا هُنا نعيش عَلى الغُرْبَة زَادًا ... فَكَيْفَ يُطْلَب ظَعْن

* * *

واختلفنا

قُلْتُ هَيَّا قد احْتَوانا الأَصِيلُ إنَّه الـذِّكْرَياتُ والتَّأْمِيـلُ

إنَّ مَعْنى الوجُودِ بُقْيا من الحُسْن وهَذِي الحياةُ لَفْظ جَمِيل

كَمْ مَغَانٍ مَشَتْ عَليها اللَّيالى فاضْمَحَلَّتْ والبَاقِياتُ الطُّلُول

وجَمالٍ حَسِبْته أَلَق الفَجْر مَحَاه لَيْل عَرِيض طـوِيـل

وتَبـقَّى خيـالُه فى مَعَـان ذَابِـلات كأَنَّهُـن الفتيـل

والضُّحى غَاله من الصَّمْت ما غَال ضَحايَاه : قَاتِل وقَتِيـل

رَقَدُوا فى الثَّرى وما رَقَدَتْ ذِكْرى على مِثْلِها يَلُوب الأَصيل

* * *

أَنا مَنْ يَعشَق الأَصيلَ : فَضُولٌ رَاسِخ فى هَواه يَحْلو الفُضُول

أَنا مَنْ يعشَق الخُلود ويَسْتَروحُ أَمْجادَه الـتى لَا تَـدُول

كَم عَشِقْنا الغناءَ لا يَرْمز إلَّا لِبَقاءٍ والذِّكْرَيَاتُ الرَّسُـول

انظري الحسن فى الاصيل نضاراً بَهَرَتْهُ شفائف وخميل

وانظريه على الشعاف أَكاليلَ سنـاها ماضٍ عريقٌ أَثيل

وانْظُرِيه على الوُرُودِ النَّدِيَّات عَبِيــرًا يَمُــوج فيه الخَمِيل

وانْظُريه مَع النَّسائِم أَلْحَانًا عِذَابًا كأَنَّهــا التَّقْبِيــل

والْمَحِيه على الضِّفَاف طُيُوفًا حَائِراتٍ أَنْفَاسُهُن الهَدِيــل

والصَّبايَا تَدَافعتْ تَسْبِق المَوْجَ وقَدْ شَفَّها جَوًى ونُحُــول

لا تُراعى من الأَصِيل فَمَا يَلْقِف هَمْس الجِيَادِ إِلَّا الأَصيل

وهُنَا لَفَّها الضَّبابُ الذي أَثْقَل أَجْواءَهُ أَسًى وعَــوِيــل

وتَمَطَّى الدُّجى الغُدافيُّ لا يَلْمَع فى جَوِّه الحُسَامُ الصَّقِيــل

واسْتَدَار الحديثُ تَحْسَبُهُ النَّعْيَ وقالت هَذا الأَصِيل : أُفُول

تَدْلِفُ الشمسُ للغُرُوب كما تدْلِف هَذِي الحَيَاةُ حِينَ تَزُول

خَيْرُ جَدْوَاه لَوْعَةٌ واصْفِرَار وبعَادٌ يَطُــول فِيــه الرَّحِيــل

أَنَا أَهْوِي الشُّرُوق تَسْطع دُنْياه ويَسْتَقْبِل النَّزِيــلَ النَّزِيــل

أَنَا أَهْوى فى دِفْئه الأَملَ الرَّحْب ، قُلوبٌ « تَهْفُو لَه وعُقُول »

إِنَّه الصَّحْوُ للطَّبِيعَة والحُبِّ على ظِلِّه يَطِيــبُ المَقِيــل

لا تَلُمْنِي فإِنَّ نَبْعَ حَيَاتِى فِى شُروقٍ كأَنَّــه السَّلْسَبِيــل

وقْدَةٌ فى الحياة أنفاسُها الحَرَّى على سِرِّهَا يَخِفُّ الثَّقِيــل

وجَنَاها المَوارُ فى الحبَبِ الوَاقِدِ تُرْقَى بِهِ ويُشْفَى العَلِيــل

كَيْف تَسْتبدل الْمَوَلِّيَ بالوَافِـد تَزْهـو فُروعُــه والأُصول

كيف تَسْتَبْدِلُ الرَّجَاءَ بِيَأْس غَارِقٍ فى ظَلَامِــه المَأْمُــول

واخْتَلَفْنَا ومَا اختلفنا ولَكِنْ فى اضْطِرابِ المُنَى تَروعُ الشُّكُول

فالحُميَّا على الكُؤوسِ شُرُوقٌ وغُروبٌ على الثُّغورِ يَسِيـــل

إنَّها غُرْبَةٌ على البُعْد والقُرْبَى وزَادُ الحَياةِ فِيهــا قلِيـــل

فالْغُروبُ الذي يَرُوعُ شُرُوقٌ والشُّروق الذي يَرُوق أُفُـــول

جَوْلَةٌ بَعْدَ جَوْلَةٍ وعِرَاكٌ سَوْف يَطْوِيه عَالَمٌ مَجْهُـــــول

نَفْثَةٌ ضلَّ سَعْيُها وحُروفٌ تَتَلَوَّى أَقْولهــا : وتَقُـــول

وانْتَحيْنا نُلَمْلِمُ الأَمَل الشَّــارِدَ مَسْحُــوبة عَلَيْه الذُّيُــول

وَبَكَيْنا على الضَّياع على المَعْقول يَطْغى عَليه : لا مَعْقُول

واسْتَرحْنا إلى الغَدِير نُعانى ما تُعَانِيه « شمأَلٌ » و « قَبول »

وشَرِبْنا هُمومَنَا مِثْل ما يَشْربُ صَب دُمُوعَهُ فيَعُــــول

وسَكَبْنا الحَيَاةَ أَغْلى صَبَابَات نُهانَا : هل كَفَّ قَالٌ وَقِيــل

ورَجعْنا إلى الوَرَاءِ وقَدْ يُحْمَد عِنْد السُّري المُمِضِّ قُفُـول

وأَدَرْنَا أَبْصَارَنا فى الذي كان فَرَاعَ الأَبْصَارَ هَذَا المُحُول

والتَفَتْنَا لِثَائِرٍ طَالَما خَضْخض أَحْشَاءَه دَمٌ مَطْلُـــول

وعَبَبْنَا مِنَ السُّلافِ الذي أَشْعَل جَمْرَ الغَضَى فَضَاق السَّبِيل

وانْتَشيْنا لَعلَّها صَحْوَةُ العُمْر فَخِلْنا الرُّؤُوس مِنَّا تَمِيــل

ولجأْنا لِلسَّلم نَسْتَلهِم العَوْنَ فَهُنَّـا وعَزَّ فِينَـا الدَّخِيـل

وأَخِيرًا لقدْ تسَاوى لدَيْنا فى الأَمانى شُرُوقها والأَصيــل

* * *

الهوى الأول

فى سن الرابعة عشر

قَلَّدْتُ جِيدَكِ يا بدورُ لآلِئَا ... من نَظْمِيَ الغَالى رَجَاءَ رِضَاك

قالوا إِذنْ ذابتْ بُدورُ حشَاشَة ... لمَّا رأَوا فيها لَهِيبَ فتاك

هذا النُّحُول كما تَرِين رَضِيتُه ... وأَلِفْتُه لِيَكُون رَمْزَ هَواك

هِمْنا وهَاموا والغَرامُ مذَاهِب ... ولِمَذْهبي فى الحُبِّ طِيبُ لِقَاك

أَبدُورُ إنْ جُزْتِ الفَضَاءَ وسِحتِ فِي ... أَوْجِ السَّعادَةِ فاذْكُري مُضْنَاك

أَوْ جُلْتِ فى أَرْضِ العِرَاق فَذَكِّري ... قَمَرًا هُنَاك بِحُسْنِه حَاكَاك

وصِفِي له مُضْنَى الغَرَامِ وَرَدِّدِي ... رُحْماكِ عاطِفَةَ الهَوى رُحْمَاك

* * *

دنا الرَّحِيلُ فَهَاج القلب واضْطرَما ... وصيِّبُ الدَّمْع من جِفْنَى القَرِيح هَمِي

وأَرَّقَ البين حبا كنْت آلفُه ... وكان يأْلَفُنى إلْف الذي غَرِمَا

قضيت بِضع شُهُور فى الوِصَال وَمَا ... غيْر الهَنَا ومُحَيًّا دائِما بَسَما

ملَّكته النفس فانْقَادَت وآنَسَها ... طبْع رَقِيق وحُب فى الفُؤَادِ نَمَا

يومُ سوءٍ ولَيلَةٌ نَكْراءُ ... آلمَانى وكلُّ خَطْبٍ بَلاءُ

* * *

عتب

قالَت وقَد غَضِبَتْ من قَوْلَةٍ بَدَرَتْ   مِنِّى سأَقْطعُ عنك الرَّدَّ إنْ تَعُد

وقُلْتُ يا لَيْته ضَرْبٌ فَيُسْعِدنى   أَوْ عَضَّةٌ فى لِسانى مِنْك بِالبَرد

إِذَنْ لَكَرَّرت هذا الذَّنْبَ مُلْتَمِسا   حُلْوَ العِقَاب الذي يَشْفِى مِنَ الكَمَد

يامَنْ بعثْتِ بإِنْذارٍ حَكَى سَلَفًا   انْذَارَ (روسيا) إلى المُسْتَعْمِرِ الحَرِد

وما اخْتَلَلْتِ رُبَى لِبْنان فى سفه   ولا اعْتَديْت على (الأُردن) فِى لَدَد

وما غَضِبْتِ من الشَّعْب الذي انْتَفَضَتْ عُروقُه ثوْرة فى الرُّوح والجَسَد

شعْبُ العِراق الذي اعتزَّت بِه مُضَرٌ   فأَنْقَذ الحَقَّ قَسرا مِنْ فم الأَسَد

أَمْضُوه عن موْكِب الدنيا وما عَلِمُوا   أَن الدُّنَا دُوَلٌ واليوْمُ غيْرُ غَد

وأَن لِلشَّعب حَقا سَوْفَ يُدْرِكه   عَمَّا قَرِيب بِمَا فِى الطَّوْق مِنْ جَلَد

هم حاربوا اللهَ والأَخلاق فى بلد   وحاربو الفضلَ عن حقد وعن حسد

وحالفوا الطغمةَ الأَشرار فانحدروا   إلى مخاطر أَضْحَتْ عقدَة العُقد

فيَا أَعزَّ المنى رفقاً بعاطفــةٍ   شَدَتْ بحبك شدوَ الطائرِ الغرد

سلى الدُّجى عن تباريح يشاطرني | في حملها وجْدي كالجمْرِ متقد
سلى النجوم فكم ناجيتها فرنت | تحنو على كوكب في الأرض منفرد
بَثَثْتُ شكواي من جور الزمان لها | وليس من طبعي الشكوي إلى أحد
وهاك أنفاسَ حبٍ خانه جلدٌ | فلاطفي مهجتي واستعطفي خلدي
ما عدتُ اهتفُ في الدنيا وَبهْجتها | إلا باسماك يا روحي ويا كبدي

– ٢ –

وبِاسْم بِلاد العُرْب تَرْعى زَمَانَها | إذا احْلَوْلَكَتْ دُكْنُ اللَّيالي وسُودُها
ويومَ البريمِي أَيَّ يَوْمَ تَجَمَّعَت | له العُرْبُ مُذْ رِيعَت حُدُودُهــا
ودَوَّى احْتِجَاجٌ دُونَه السُّمْرُ والقَنَا | حُقُوقُ العُلا مَضْمُونَةٌ أَوْ لُحُودُها
وما بَحَث العَادُون إلا لِحَتْفِهم | بِنَارٍ هُمُ رغْم العَوَادِي وَقُودُها
لَقَدْ عَبَثُوا بِالحق والعُرْفِ والحِجَى | فَباءُوا بِها نَكْرَاءَ نَتْنًا صَدِيدُها
ولَكِنَّها البَتْرَاءُ تَفْتِك فِيهِـم | هِي البِكْر والعَادُون حَتْمًا حَصِيدُها
وفي طَيِّها تَطْوي يَهُودَ وَعَوْنَهَا | وما دَاءُ قَلْبِ العُرْبِ إلَّا يَهُودُها

* * *

رسالة

حَمَلَ البريدُ رِسَا لَةَ الأَمَلِ الحَبِيب

أَلَقُ الضُّحَى المُنْسا بِ فى الأُفُقِ الرَّحِيب

ونَسَائِمُ الفَجْر العَلِيل نَوَاضِحًا بِشَذًا وَطِيب

تَسْري إلى الأَعْماقِ مَسْرى الروح فى اللَّحْنِ الطَّرُوب

بالفِتْنَة الكُبْرى تَضِجُّ مِنَ الشُّرُوق إلى الغُرُوب

لَيْلى لَمَحْتُكِ فى الرِّسا له لَمْحَةَ الطَّيفِ الوَثُوب

تَتَخطَّرِين وتَنْثَنِين تَخَطُّرَ الرَّشَإِ اللَّعُوب

وتُجَرِّحِين العُودَ تَجْرِ يحًا على وَتَرِ القُلُوب

عَزْفًا يُثِير الشَّدْوُ آهاتٍ بِلَحْنِ العَنْدَليب

لَيْلى وأَنْتِ الذِّكْرياتُ يَثُرْن فى وَهَج اللَّهِيب

أَملٌ تَأَلَّق فى الحَيَا ةِ وكانَ سِرًّا فى الغُيُوب

وهَوًى تَرقْرَق من هَواكِ وعَطْفِك الحَانى الرَّتِيب

لَيــلى دعَوْتُك والهوى الدَّعَّاءُ يَعْذُب بالمُجيب

قد كُنْتِ سَارِقَة القُلــو ب ولَسْتِ سَارِقَة الجُيُوب

أَسْعَدْتِ بالرُّحْمى فتَــا كِ بأَمْسِه الحُلْو القَرِيب

أَرْوَيْتِه أَوْرَيْتِــه أَنْعَشْــتِ بالأَمَــل الرَّغيــب

شُهْدًا يُذِيبُ ولا يَذُوب بِثَغْــرِك العَذْب الشَّنِيب

ولَكَمْ أَعدْتِ له الحَيَــاةَ وكان كَالرَّوْضِ الجَدِيب

ومَحَوْتِ آيةَ لَيْــلِهِ فى الشَّــام بِالفَجْر الرَّطِيب

قَدْ كان ذَا الرَّأْي الصَّلِيب فَعَــاد يَهْتِف لِلصَّلِيبِ[1]

هذا النَّوى القَاسِي اسْتَطَال فَهَلْ سَيَجْنَحُ للمَغِيب

هَذِي تَحِيَّــات القَرِيبِ وإِلْفــه الصَّبُّ القَرِيب

شَــطَّ المَــزَارُ بهِ وَبِى فَضَوى النَّسِيب إلى النَّسِيب

لَيْــلاي تَكْــريما وتَقْــدِيرا كَحُبِّك للحَبِــيب

حبٌّ يَطِيب بِمِثْــله أَمَــلُ النَّجِيبَة للنَّجِيب

• • •

(١) الشديد ·

في القطار

تَجلَّبْتِ إِشْعَاعاً من السحر جَائِلا ... مَجَال مَرامى الطَّرْف يَنْفُذُها نَفْذا

تَحكَّمْت فِينا تَفْتِنِين فَلا نُهى ... تَفِر ولا قلبٌ بِمَا أَخذُوا أَخْذا

سَحَرْتِ وكان السِّحْرَ إِدْمَانُ سَاحِر ... يَرَى في هَوَاه أَن يَلذَّ وَيَلْتَذا

وأَحْلَى الذي أَبْصَرْتَ من فِتْنَةِ المَها ... نَشَاوَى بِأَكْباد يَفلِذْنها فَلْذا

يَلُكْنَ لُبَانَاتِ الهَوَي وهى أَنْفُس ... يَدُرْن بِها شُهْدًا وَيَنبِذْنَها نَبْذا

عَجِبْتُ لَها بِنْتُ الرُّصَافَة حَثْحَثَتْ ... خُطَاهَا إِلى مصر تَغُذُّ الهوى غَذّا

تَنُورتُها بِين القِطَار فَرَقْرَقَت ... قِطَار السُّرى قَطْرًا يَرُذُّ بِنَا رَذّا

وزَادَتْ فَجَال الكَفُّ رخصا مُعَنَّمَا ... يُعَابِثُ بَدْرًا قَدْ مَحَا البَدْر أَوبَذّا

ولمَّا تَثَنَّتْ بِالقِـوام وزَحْزَحَت ... عَبَاءَةَ حُسْن لَمْ يَزَل حُسْنُها فَذّا

ذَكَرنَا رعابِيبَ الحِمَى وَجَمَالَهَا ... وعُفْنَ القَذَى المَصْنُوع فى الصُّور الأَقْذى

فَمنْ ذَا الذى لا يَشْتَهِى طُول رِحْلة ... بِأَفْيَائِها نُرْوى، بِنَعْمَائِها نُغْذَى

* * *

صباح

أَلقٌ تَنفَّس بالشَّذى وتَنَهَّدَتْ ... آهاتُه فإذا القُلوبُ جِرَاح

وعَلى الطَّبيعة من طَبيعة حُسْنِها ... دُرَرٌ تَوهَّج فَوقَهُنَّ وِشَاح

شَفَق تُعانِقُه الخَمَائِلُ والذُّرَى ... فَعلَى الحَوَاشِي الخُضْر منه بِطَاح

ومِنَ المَشَارِف أَشْرفَتْ تلعَاتُه ... ومَهًا تُسَارِق راحَهُنَّ الرَّاح

سَبَق النَّسائِم عِطْرُهُنَّ فصفَّقَتْ ... أَنْفَاسُها وتَلَاقَت الأَرْوَاح

وتنَسَّم الأُفُق الطَّروب كأَنَّه ... مَجْدُ السَّمَاءِ ولحْنُها الصَّدَّاح

وتَهَامَسَتْ حورُ الجِنَان فَمَا وَشَى ... إلَّا السَّنا وَعبِيرُها الفَوَّاح

وتَرَاقَصَتْ عَبْر الهَزِيج يَؤُودُها ... طُول الحَنِين كَمَا يَرِف جَنَاح

وإِنْسَابَ فى الظُّلَلِ الفِسَاح كأَنَّه ... دِفْءُ الحَيَاةِ تشيعُه الأَفْرَاح

وتَلأْلأَت « لَاءَاتُها » وَتَشدَّدَتْ ... فَتَرنَّح النَّدْمانُ والأَقْداح

هَذا الهَدِيل أَهَاج ورْقَاءَ الحِمَى ... فَإِذا بِأَسْرَارِ الغَرَام تُبَاح

والورْدُ غَيَّره الشَّذَى فَسخَى بِهِ ... وعَلَى الغُصُون تَحَيَّر التُّفَّاح

ولَقدْ صَحَوْتُ عَلى الحَياةِ وَعُرْسِها ... وسَأَلْتُ ما الدُّنْيا فَقِيل «صَبَاح »

* * *

وقالت

تَحَدَّثْ عن الآمَالِ سَكْرى حَوَالِما ... يَفِيضُ بِها حِبٌّ مُعَنًّى إلى صَب

وقُلْها كما شَاءَ الغَرَامُ طَلِيقَـــةً ... فإنَّ حَدِيثَ الحُبِّ أَحلَى من الحُبِّ

أَجَلْ قُلْتُها يا مُنْيَةَ النَّفْسِ حُرَّةً ... تَنَاقَلَها هُدْبٌ ظَلِيلٌ إلى هُدْب

تَبَيَّنْت فِيهَا حَيرَةً ما عَهِـدْتُها ... ورَعْشَةُ قَلْب لَا تَبِين ولا «تبي»

تَمثَّلْتُ يومًا مَا تمثلتُ غَيْـرَه ... غَدَاةَ الْتقَيْنَا مَوْعِد الغَيْبِ فى الغَيْب

* * *

إليهــا .. على صورتهـا

إنَّهـــا تِلْكَ التى أَعْرِفُهـــا   والَّتِى يَعْرِفُ قَلْبِى رَسْمَها

فى الحَنَايَا مِن ضُلُوعى هَجَعتْ   صَحْوُها . . يُشْبِه عِنْدي نَوْمُها

خاطَبَتْها العَيْنُ فى صُــورَتِها   ثم حَيَّتْها . . وَسَمَّت باسْمِها

وتَنبَّهْتُ لِنَفْــسى « نَبْهَــة »   فإذَا الصُّــورة تَجْلو غَيْمَها

وتُنَــادِينى على عَادَتِهــا   هَاكَها (خُذْها) تَذَوَّقْ طَعْمَها

هَــذه القَهْوةُ من هَيــأهَا   هذه الرَّشْفَــةُ مِنْ قَدَّمَهــا

آه يا قَلْبي فَمَا أَقسى النَّوى   لَسْت أَعْنِيها . . فَمَا أَرْحَمُــها

قُلْتُ والرسم أَمامِى مَاثِــلٌ   عَيْنُها . . بَلْ سِنُّها . . بَلْ فَمُهَا

وعَلَيْها الشَّــالُ قَدْ ظَلَّلَــها   مِثْل ظِلِّ الضَّوْءِ مِن تَحْتِ المَهَا

سامَرَتِنى بَيْن أَحْضَــان الدُّجَى   ونُجُوم اللَّيْل تَرْعى نَجْمــها

رَفَع الرَّسْم يَدًا تُزْجى بِهــا   مِنْ تَحايَاهَا . . وأُخْرَى ضَمَّها

سَلِمَت تِلْك وهَذِي فِى الهَنَا   ورَعَاهَا ولَنَـــا سَلَّمَها

وتمثَّلْتُ كأَنِّى عِنْدَهَا وقْفَة الباب وما أَنْعَمَها

جمع اللهُ بشملى شملَها واهبًا من بلسمى بلسمها

وحبانا منيةً أَغلى المنى فى حياتينا أَجل أَكرمها

ورعى اللهُ أَباها وأَبى ورعاها صنو أُمى أُمها

وابتسامُ الفجرِ ما زال لنا فرحة الأَيام بل مبسمها

* * *

أنا والشيشة

إنّي اشْتَعَلْتُ . . . وَشِيشَتي يا حُلْوَتِي . . . لَمْ تَشْتَعِلْ

غارَتْ فَقرْقَع صَوْتُها مُذْ رَاعَها رَجْعُ القُبَل

قالَتْ نَعِمْتُم بِاشْتِعَا لكمو فَمُتٌّ على مَهَل

يَا لَيْت لِى ثَغْرًا وَلَيت الله أوْجَد لى مُقَلْ

فَأَغِيظُ ضَرَّاتي الحِسَانَ ولا أُبَالِى . . . بالخَجَلْ

* * *

حب وأشواق

أنَا بِالجِسْم فِيكِ يا مصرُ حيْرَا ... نُ . . وقَلبِى مُعَلَّقٌ بِدِمَشْـــق

لا جَفَاءَ . . ولا قِلىً لَكِ يا مِصـ ... ـر . . فأَنْتِ الدُّنْيا رَحَابَةَ أُفْق

المُنَى كُلُّها كَمَا تَشْتهِى النَّفْـ ... ـس عَلى رُحْبِهَا مَجَالاتُ سَبْق

والحياةَ . . الحياة . . خَضْخَضها النِّيـ ... ـل رُوَاءاً للحَفِّ مِن كُلِّ ذَوْق

غير أن الشَّآمَ مِيـلادُ أَحْـلا ... مِى حَبِيب فيها أَسَارِي ورِقِّى

ذِكْرَياتي بِها حَنِينٌ . . وآمَا ... لِى على بُعْدِها ضِرامٌ لِشَـوْقى

بَرَدَى . . نَبْعُها سَقَانِى وَرَوَّا ... نِى ومَا زَال بِى يُرَوِّى ويَسْقِى

حَالِيَ النَّبْت زَاهِي الحُسْـ ... ـن سَخِيًّا بِالحُب يَهْنِى ويُشْقى

أنَا مِنْ طَيْبَةَ وحَسْبُـكِ مِنِّى ... لَذَّةً نَزْعَـةُ الهَوَى لِدَمَشْق

المُنَى النَّاضِر المُشَعْشِـعُ والمُشْـ ... ـبُّ صغري والعِرْقُ أَطْيَب عِرق

وَا لِفَؤَادِي مُصحِبَـات الفُرَادَى ... وامِضَات ومَضَ السَّنا خَلْفَ بَرْق

بَاسِمَاتٌ كالفَجْر فى صَحْوة الفَجْـ ... ـر على لحْنِ عِنْدلِيْبِ وَوُرْق

والمَعانِى ذَوْب المباني تُعَاطِيـ لك سُلافًا مِنْ دافِق السِّحْر طَلْق

أنا مِنْ سِحْرِها على سَحَرِ المجْـ ـدِ على صَدْرِه شَمَخْتُ بِرَوْقى

ضَمَّخَتْ أَرضَها طُيُوبُ النُّبُوَّا تِ فأَنَّى حَلَلْت أَشْذَاءَ عَبْق

عَرْبَدَ المَجْدُ فى مَرابِعِها الخُضْـ ـر على صَهْوَتَيْن بُلْقٍ وَزُرْق

ثُمَّ أَبرَّتْ اخْلَافَها البِيض سَخا ءً فَلا بَارِقَ عَلى غَيْـر وَدْقِ

وحلَّتْ صَفْحَة على الكَوْن غرا ءَ فِدَاءاً بِكْرًا وَصَـوْلَة حَقّ

قَدْ أَخذتَ الحياةَ والأُفْقُ مُرْبَـ ـدٌّ قُتَامٌ ما بَيْن رَعْـدٍ وَبَرْق

لا بِمَالٍ نَشرتُه . . إنَّـه طـا غٍ رخِيصٌ مَا لَمْ يُدَعَّم بِخُلق

* * *

فَلْتَقُولِي للنَّاس . . بَلْ فَلْتَعُودِي ثَوْرَة العُرْبِ أَنْتِ أَحْرَى بِسَبْق

لَقِّنيهم سِرَّ النَّجـاح . . فَمَا زا لوا لعَمْري على مَفَارِق طُرْق

فَالْتِآم الجِرَاح فى نَسَق الحُكْم على وَحْـدَة النِّظَـامِ الأَدَق

* * *

يا صَبا جِلِّـق فَدَيْتُـك رِفْقًا بِخَفَايا لَظىً ولَاهِبِ خَفْق

عُجْ على « النَّيْربين » مُنْعَطَفِ الـ وادِي وسَلِّمْ على الحَبِيب الأَرَق

إليها أيضا

إذا أَنِسَتْ نفسى إليها وسَرَّنى حَديثُ هَوًى أَلْفَاظُه تَتَلعْثَم
تَلمَّسْتُ قَلبِي وَهْو مِلْك يَمِينها فأَبْصَرْتُه فى قَلْبِها .. يَتَكَلَّم
وحدَّثَنِي قَبْل الحَدِيثِ مُعَبِّرٌ مِن اللَّحْظِ والدُّنيا حَوَالَيْه تَبْسُم
ومِنْ دُونه طَلْقُ المُحَيَّا مُشَعْشِع تُحِيط به فى دَارة الشُّهْب أَنْجُم
فأَسْبَحُ فى نُورٍ من النَّور ساطِعُ يُطَرِّزُه وَشْيٌ بَهِيجٌ مُنَمْنَمُ
فَحَسْب المُنَى والفَن طلْعَة جُؤذرٍ وَحَسْب الهَوى والحُسْن جِيدٌ ومِعْصَم
يَقُولون لى .. قَدْ عُدْتَ للشِّعرِ ثَانِيا كَما عَاد للرَّوضِ الهَزَارُ المُرَنِّم
فَقُلْتُ لهم قد اخْصب القَلْبُ بالمُنَى وغَرَّدَ فى احْشائِه اليَوم مُلْهِمُ
ولا تنكروا سرَّ الغرامِ وسحره ولا تهزلوا فالحبّ والشعر توأم
وقلبَي إنْ عز الداوءُ لدائه يظلله أَحنى عطوفٍ وارحم

* * *

ثنائيات

إنَّها تِلك . . . وما أَجْملَهــا ذَوْبُ أَلْطَافِك أَوْ شِئْتِ فَذَوْبِى

فِى فَمِى يَلْحَظُها إحْسَـــاسُهُ حُلْوة الذِّكْرى على بُعْدٍ وَقُرب

إنَّها إِحْسَاسُك الغــالى . . . ومَا أَجْمَل الإِحْسَاس فى منح وسَلب

عَطَّرَتْ رُوحي . . . أَحْيَت أَمَلى أَسْكَرَتْنى بِاللَّمى . . . بِالضَّرَبِ

أَيْن مِنها الــرَّاح دَارَتْ سَحَراً من يَدِ الساقِى بِلَوْن الذَّهَــب

* * *

إن فى القُبْلة للحُبِّ غِـــذَاءً وحَيَاةً وانتِعَاشا . . . وبَقَــاءً

(أَيُّ حَيٍّ عَاشَ أَهْــلوه ظِمَاء) أَيُّ غَرْسٍ ليس يَسْتَجْدي السَّماء

* * *

تعـــالى

تَعاليْ إلى جَنْبي : أَحدِّثْكِ سَاعةً   حَدِيثَ مُعَنًّى بالمَجاز كَئِيب

تُؤَرِّقني الذِّكرى إلى غير ذَاكِرٍ   بِلَوْعَةِ مُشْتاقٍ وحُزْنِ غَريب

وما ذَلَّ قَبلَ اليوم دَمْعى ولَم تَلِن   قَنَاتى لِخَطْبٍ فى الزَّمَان عَصِيب

تَعالىْ : أُصارِحْك الهَوى إنْ جَهِلْتِه   تُطالِعْك عَينِى بالأَسَى ونَحِيبِى

أَعُدُّ الليالى والليالى بَطِيئَـــةٌ   وما ذَنْبُها والذَّنْبُ ذنبُ حَبِيبى

ولاحَظَ أَصْحَابى سَقَامِى فَهالَهم   وقَالوا طَبِيبٌ .. قُلْت أَيُّ طَبِيب

وقالوا : إِذَنْ شَوْق الشَّآم ومَنْ بِهَا   فقلْتُ أَجَلْ . . والظَّنُّ ظنٌّ مُصيب

فَمَنْ لى بِوَادي النَّيْرَبَيْنِ ورَوْضِه   ومَنْ لى بِسِرٍّ فى الشَّآم عَجِيب

سأَغْدُوا إِليها بالفُؤَادِ وسِرِّه ـ   وأَطْفِئُ بالظَّلْمِ[1] البَرُودِ لَهِيبى

إِذَا حَظِيَ السِّرُّ الدَّفِينُ بِسِـرِّه   وَوَيْحِيَ أَمَّا كان غَيْرُ مُجِيب

* * *

---

(١) الريق

الفتنة الراقصة

مِنْ قَبلْ عَشْرٍ خَلَتْ قد كان يَأْسِرُنِى ... فِيها جَمَالٌ غَريب لَسْتُ أَدْرِيه

قد مَثَّلتْه رُسومٌ بَضَّةٌ نَطَقَتْ ... دَعَّاءَةً تَتَثَنَّى فى مَـجَـالِيـه

تـأَلَّقَت وبشَاشَاتُ المُنى رُسُلٌ ... إلى القُلوب تُعَانِى ما تُعَانِيـه

حَبِيسَةُ اللَّهْوِ لكن فَوْق طَاقَتِها ... وهْمٌ يُعَرْبِدُ خَافِيه وبَادِيـه

وقلتُ تِلك ظِلَالٌ رُبَّما زَحفَتْ ... بِها خَيالَاتُ رسَّامٍ تُنَاجِيـه

حتَّى الْتقى اللَّفظُ والمَعْنى على أَمَلٍ ... تَحققَّتْ فى مَجاليه مَرَامِيه

رأَيْتُها هِى لَا رسْما ولا شَبَحا ... ولا خِدَاعَ تَصَاوِيرٍ وتَمْويـه

رأَيتُها هِىَ جِسْماً صَاغَه أَلـقٌ ... والشَّمْس تَسْبح رُوحًا فى حَوَاشِيه

مَشَتْ على المَسْرح المَشْبوب دَانِيةً ... سَكْرى من الحُسْن أَوْنَشْوي من التِّيه

النَّوْرِ يَسْبح فى أَضْوائِها غَرِدا ... كأَنَّما الصُّبحُ من بَعْض الحُلَى فِيه

تَحرُّك الصدر تَحْرِيك السَّنا ومَضَت ... مِنْ فَوْقه لَمسَاتٌ مِنْ مَعَـانِيـه

ورَاقَصت بَسَمات الثَّغْر ماسَمَحت ... بِه البَرَاعِمُ فى مَجْري غَوَالِيه

وجَالتِ العيْنُ مِنها جَوْلةً سَكِبت ... خَمْرًا وحَامِي الحِمَى يانُعْمُ حَامِيه

رَوْضٌ تُرنِّحه أَحْلامُ مُبْتَهِـج ... تَغْفُو دَوانِيه إِذْ تَصْحو عَوَاليه

فاعْجَبْ لِغُصنٍ أَعَالِيه مُغَرِّدةً ... خَفيفة سَحَرَتْ أَعْجاز تَاليــه

الطَّرْفُ يانُعْمُ حَيْران قَضى أَسَفًا ... كَسَابِح فى بِحَار النُّور تُعْيِيه

الشَّعْرُ مِنْك على الأَنْغَام مُنْطَلِقٌ ... والسِّحرُ فى النَّفَسِ المَسْحورتُزْجِيه

والكَفُّ إِذْ تَتَثَنَّى فى مُهَادَنَــة ... تَمُوج فى الخِصْر تُبْدِيه وتُخْفِيه

والمِعْصَمُ البَضُّ أَوْ مافَوْقَه أَلَقٌ ... كالسَّاقِ مَنْغومة رفَّت مَثَــانيه

الجُزْءُ والله كُلٌّ فِيكِ فاسْتَبِقى ... صفْوَ الزَّمان تَزِدْ حُسْنًا مَغانيه

* * *

ضمي إليك

ضُمّي إليكِ هوًى تَطلّع للذُّري عَافَ السُّفُوحَ العَارِيَاتِ تَرفُّعا
آوَى إلَيْكِ وأَنْتِ قِمّةٌ شَامِخ في الحُب لَن يَبْلي ولَنْ يَتَصدّعا
ضُمّي هَواه فما صَفَتْ أيّامُه إلّا لَدَيْكِ مَهابةً وتَضَرعا
عَامٌ مَضَى وهَوَاكِ في أحْلامه أَمَلٌ تَفتَّح بَهْجَةً وتَطَلّعا
عَامٌ مضى والحِسُّ في آماقِه مَعْنًى تَرقْرقَ في المَحَاجِرِ أَدْمُعا
عام مَضَى والكَرْبُ في آهَاتِه حَاولْتُ أُخْفِيها لِئَلّا تُسْمَعا
ناشَدْت رَسْمك في الحِشَا أنْ لا يَرى قَلبًا تَمزّق حَسْرةً وتَقَطُّعا
وتوسَّلتْ عَيْني لَدَى إنْسانِها أنْ لاترى لِسِواك فيه مَوْضِعا
لكِنَّ أضْلَاعي الّتي حَمَّلْتُها كَتْمَ الهَوى وهَنَتْ أَسًى وتَفَجُّعا

• • •

صُونيه فَهْو من السُّيوف بَقِيةٌ ومن الجِراحِ النّازِفاتِ تَرعْرُعَا
ومن العَواطِف طَالَما حمَّلْتُه عِبْءَ السِّنين فَمَا وَهَى وتَضَعْضعا
صُوني حَيَاةً في يَدَيْك رَخِيصَةً تَأْبَى لِغَيْرِك أن تَذِلَّ وتَخْضعا
بِأَبِيك بالعَيْن الكَحِيلة باللَّمى بِالفَجْر لَوْ لَمْ تَأْذَني لَنْ يَسْطعا
بعُلاك بالسر الخفي لمحتُه في ناظريك مشى اليَّ وأسرعا

هذا الضِّياءُ كما تَرِين مَلامِحٌ ضَاعتْ فهلْ يَبْقى لَديْكَ مُضيَّعَا

قولِي فَفِي شَفَتَيْكِ أنْت نَعِيمُه لَوْ تَذْكُرين مُرَوَّعا ومُفَـزَّعـا

حَبَس الحياءُ بَيَانه واسْتَنْطَقَتْ عَيْناه عَيْنَيكِ الحَدِيثَ فَأَبْدَعا

ورأى السُّلافَ البِكْر مَنْهَلَ ظَامِيءِ كُنْتِ المَعِينَ لَهُ وكُنتِ المَنْبَعا

الغرس يَسْتَجْدي السماءَ فَهَل تَرِيْ أَقْوى وأَسْتَجْدِيك كأْسًا مُتْرَعا

أَرْوِي به ظَمَأَ الفُؤَادِ ولَيْتَـني أَبْقَى على ظَمَإٍ أَلَـذَّ وأَمْتَعـا

إنْ صُغْتُ ياأمَلَ الحَيَاةِ لَكِ المُنى عِقْدًا بِحَبَّاتِ الفُؤَاد مُرَصَّعـا

فَلَقد وَهَبْتِ لِيَ الحَياةَ جَدِيدة وأَحلْتِ هذا الجَدْب خِصْبًا مُمْرِعا

أَنَا مَنْ عَرَفْتِ ومَنْ جَهِلْتِ فَسَائِلِى إِحْسَاسَك الغَالِي وإِحْسَاسِي مَعـا

أنَا مَنْ عَرَفْتِ وماعَرَفْتِ سِوَى امرِيءِ لو شِئْتِ حَتَّى مِنْ بَنَانِك أَطْوَعا

عَوَّذْت بِاسْمِ الحبِّ حُبَّكِ إنَّه حُبٌّ يَصُونُ به المَنِيع مُمَنَّعـا

• • •

لا أَنتِ صَانِعةُ الوِدَاد ولا أنَا فَاللهُ أَوْدَعَ بَيْنَنَا ما أَوْدَعـا

مَنْ جَاءَ بالصَّب الغَرِيب لِيَلْتَقى بِمَرَامِه يا أَنْتِ كَيْف تَجَمَّعـا

ولَقَدْ بَعثْتُ القَلْبَ عِندَك شَافِعًا هل تَقْبَلِين هَوَى الفُؤَادِ مُشَفَّعا

• • •

صورة

حِجَازِيَّةُ الطَّبْع والمَحْتِـدِ عِرَاقِيَّةُ النَّبْتِ والمَـوْلِـدِ

كأَنَّ « زَرُودًا » بِغِزْلانِه جَرَى فى الرّصَافَةِ كالعَسْجَـد

ومازَجَ بَيْن عُيُون المَها وكَحَّلَها بَعْـدُ بِالإِثْمـد

وغَار العَقِيقُ مِن الدِّجْلَتَيْن فَصَفَّق للنَّبْعِ والمَوْرِدِ

فَيامَا أحيلى ظِبا « وجرة » تَرُوحُ عَلى الجِسْر أو تَغْتَدي

ويأْتَلق الومْضُ بَيْن العُيونِ كَما تُومِض السُّحْبُ لِلفَرْقد

وتَبْسُم للنَّبرَاتِ الكُرُومُ عَنَاقِيدُ فى غُصْنِها الأَمْلَـد

فَمِن عِنَبٍ رَقْرقَتْه الشِّفاهُ سُلافًا تُدارُ على مَوْعِـد

ورُمَّانَةٍ فَوْق مَجْري العَبِير بِعَيْنَيْك تُقْطفُ لَا بِالْيَـد

تَخَيَّلْتُها مَوْجَةً مِنْ سَنَا تَقُول لِبَدْرِ الدُّجَى عَرْبِـد

تَرَنَّحَ فِيها الجَمَالُ السَّخِيُّ على نَخْبِ أَنْجمِه الخُرَّد

وأَنْتِ يَا مُهْجَتِي صُورَةٌ مِن الأَمَلِ الحَالِم المُفْـرد

ونَام الدُّجى واسْتَراح النُّهى وهَوَّم فى أُفْقِه السَّرْمَدي

وحتَّى الكَواكِب لَمَّا تَغْيَ وأنْتِ الوَحِيدَة لَمْ تَهْجُـــدي

كأنَّكِ فى اللَّيلِ سِرٌّ الوُجودِ وَحَارِسةُ الأَعْيُن السُّهَّـــد

ولكنَّه قَدَرٌ راصِدٌ تَوَحَّد مَرْمَـــاه فِـــى المَـــرْصَـــد

تَفَرَّع من أَصْلِه الأَوَّل وقَارَبَ فى الحِسِّ لم يَبْعُد

لأَخْتِم مَعْنى الهَوى فِى الحَيَاةِ بِمَا كُنْتُ فى أَمْرِهِ أَبْتَـدي

ولــكنْ ويَا حَسْرتى فى المُنى أهابُ زَمانِي وأَخْشَى غَـدِي

* * *

اللقاء الباكى

بَعْد لأْيٍ وبَعْد ضَنٍّ ومُطْلٍ   أَقْبَلَتْ كالشَّذَى كَبَسْمَةِ طَلِّ

تَتَهادي حُورِيَّة فِي وِشَا   حَيْن جَمالٍ بكْرٍ وَخِفَّةِ ظِل

وأغَنَّ يَنْسابُ فى هَدْأة الليـ   ـلِ مُدِلٌّ على الهَزَارِ المُدِل

راقَصتْه النُّجُومُ فى فَلِك الحُسْـ   ـن وسَاقَيْنَه بِعَلٍّ ونَهْل

فَوصَلْن السَّماء بالأَرْض أَمْجَا   دًا تُغَنِّى فكَان أَعْذَبَ وَصْل

ثُمَّ مَاذا لَقَد دَنتْ فَتَدلَّتْ   وقُطُوفُ المُنَى بَوَاسِمُ حَوْلى

واسْتَرَاحَتْ على وَثِير مِنَ الحُـ   ـبِّ أثيرٍ غَـذَّاهُ قَلْبِي وعَقْلى

وتَطَفَّلْتُ بالحَديثِ عن الشَّوْ   قِ وسِرِّ الغرام بَعْدِي وقَبْلى

وهْيَ نَشْوى أَو مِثْلَما خَيَّلَ الـ   ـوَهْمُ لِقَلْبِي وما فَطِنْتُ لِجَهْلى

والغَوَانى سِرٌّ يُغَمْغِم بالبَوْ   حِ ووَيْلى من النَّقِيضَيْن وَيْلِي

مَنْ تَراه يَظُنُّها وهى فى القِمَّـ   ـةِ من لُطْفِها تَثُور وتَغْلى

والعُيونُ التى يُظَلِّلها الجَـ   ـفْنُ دُمُوعٌ حَكَيْن أَدْمُعَ طفل

والسَّنا الحَالِمُ المُشَعْشعُ أغفَى   بَعْد أنْ لاَحَ كالهِلال المُطِل

وابْتِساماتُها اللَّطَافُ تَوَارَيْن   وَوَارين غِضَاباً فى فَرْحَة العُمْر سُؤْلِي(١)

قُلْتُ والقَلْبُ لَهْفَةٌ وضرامٌ   والسُّكونُ الرَّهِيب بعثر شَمْلى؟!!

يا ضِيَاءَ الحَيَاةِ يا تَوْأَمَ البَدْ   رِ أقَوْلِي أسَاءَ أم سَاء فِعْلى؟!!

هل عَرتْكِ الشُّكُوكُ فِيمَنْ يُرَجِّيك هناءً   والحُبُّ يَصْفُو بِمِثْلى

فاستَعارَتْ من الدُّجَى صَمْتَه الحُلْو   وجَاءَ الصَّباحُ يَزْحم لَيْلى

بَيْن آهٍ مُعَبِّرٍ ولِحَاظٍ   راعِشَاتٍ تَرْوِي الحَدِيثَ وتُمْلِي

قَال مِنْها الصَّدى المُجَاوِب فى النَّفْس   حَرَام أبْقَى خَلِيلَةَ خِلِّ

وبَكَتْ والدُّموع تَسْبِيحَةُ القَلْب   وقَالَتْ أَرَبٌّ لَبْتى وَعَلَّى؟

قلتُ يا رَبُّ عَلَّها سَاعَةَ اليُمْن   فَتغدُو فِينَا حَلِيلَةَ بَعْل

ويَزُفُّ الصَّفَاءُ للحُسْنِ مَجْلُوًّا   عَرُوسًا تَزْهُو بِأبْهَج حَفْل

والضِّياءُ الضِّياءُ يَقْطُرُ بالفَرْ   حَةِ هَلْ لِي أرَاه يَاربِّ هَلْ لِي

* * *

---

(١) أسأل فلانا سؤله قضى حاجته

من هي ؟؟

تَسْأَلني عن صَائِد القلبِ والْحَشَا ... أَمِنْ ظَبيَاتِ الشَّام أو غِيدِ لِبْنَان

فَدَيْتُ هَوَاها زَهرةً صَانَها الهوى ... وبَيْضَة خِدْرٍ لَمْ تَطُلْها يَـدَان

تعَهَّدها المُزْنُ الصَّبُوح فأَوْرَقَتْ ... وبَاكَرَها حَبُّ الغَمَام بِنَيْسَان

ومِنْ بَردَي قُلَّتْ ومِن بَرْدِه ارْتَوت ... فَلا بِدْع أَنْ جَادَتْ بِرِيٍّ لِظَمْآن

فما كُلُّ ظَامٍ نَاهِلٌ مِنْ رِضَابِها ... وما كُلُّ بَرْقٍ لَاحَ وَهْوَ يمَانِي

* * *

عَدتْها العَوادِي فَهْي قَلبي بِحُبِّه ... بِمَعْناه بَلْ أَبْهَى من الخُلْد فى الخُلْد

تَخَيَّرَها قَلْبِي فكَانتْ لِسِـرِّه ... وَكَان لَها سِيَّانِ فى القُرْب والبُعْد

وفَاضَتْ عليه البِشْرَ والسِّحْرَ والمُنَى ... ومَاهِمتُ عمْري فى رَبَابٍ ولا هِنْد

وكَان هَوَاها مَبْعَثَ الصَّفْوِ مُشْرِقًا ... ومُغربَ آلامى ومُنْبَثَقَ السَّعْـد

تَخيَّرها قَلْبِي فَلا الحُبُّ حُبُّكُم ... ولا وصْفُكم وَصْفي ولا جُهْدُكم جُهْدي

غَرَامٌ سَماوِيٌّ المَعانى مُجَنَّـحٌ ... وأَلْطَافُه شَيْءٌ خُصِصْتُ بِهِ وَحْدي

أفاضتْ عليَّ السحرَ سحرين حبُّها　　وهذا الرضابُ الحلو أحلى من الشهد

وعطفةُ قلبٍ ضمَّ فى الحب مثله　　ورحمةُ إنسانٍ وضمة ذي ودٍّ

وتطويقةٌ بين الذراعين غضةٌ　　وماعدت أدري زندها الغض من زندي

فما ملَكَّتْ قَلْبِى سِواهَا ولَمْ تلنْ　　لغيري لعلَّ اللهَ عن سِرِّهَا يُبْدي

وليــلاي دعجاءُ المحاجر جؤذر　　وليــلاك زرقاءُ مطهمة الخــد

وليلاك شقراءُ وليلاي شعرُها　　كجنح الليالى فارعِ الحسن مسود

ولَيْلاكَ أَعْطَتْك الوُعُودَ سَخِيَّةً　　وفى مَسْبَح الأَحْلام ِلَمْ تَفِ بِالوعد

ولَيْلايَ عَهْدي عهدها لَمْ تَبُح بِهِ　　نَعِيش عَلَيْه مَا حَيِينَا بِلا قَيْــد

* * *

عن دمشق وإليها

عزيزي : سررتُ بالمقطوعة التى هى قبسٌ من قبسك وقطعةٌ من نفسك فأوحتْ إليَّ بهذه القطعة الشعرية التى أقدمها للذكرى مثل ذكري شعرك فيمن أوحتْ به إليك ولها منا الشكرُ سلفاً على الغيب .

مَنْ تَراها لَيْلَاكَ قُلْ لِى حَقًّا   بَابِلِيٌّ[1] أو أتْلَع غَيْـــدانْ[2]

أَوْ بِغُصْنٍ كَالبَانِ أَوْ هُـو أَحْلَى   أو بِثَغْـرٍ مُنضَّـدٍ بالجُمَـان

ثم قُل لِى هَلْ أَسْعَدتْك بِعَطْف   عبقــريٍّ فى رِقَّـةٍ وَحَنَـان

هل تَلقَّتك بَالشَّذا مِنْ شَـذَاها   مِثْل ما الْتفَّ بِالهَـوى طَائِران

هل رَشَفْتَ اللَّمى المُعتَّقَ اشهَى   من مُدَامٍ دَارَتْ على النَّـدْمَان

ثم قُل لِى ولا أخَالُك تُبْــدي   ذَلِك السِّرَّ فَهْو سِرُّ الغَــوَانى

كَمْ صَرِيعٍ مِثْـلى ومِثْلك للحُب   فَبُحْ لِى فإنَّنَـا تَوْأَمَـــان

وهَنِيئًا لَهَـا بِشَـاعِرِ سَلْعٍ   والأديبِ الأَرِيبِ فَخْرِ البَيَان

هِىَ صَادَتْ بِسحْرِها سَاحِرَ اللَّفظِ   رَقِيقَ الإِحْسَــاسِ والوُجْدان

---

(١) خمر بابلى

(٢) غيدان الشباب أوله ـ التلع التطلع بالعنق الى الشيء

نجوى

يا ابْنَةَ الغُوطَةِ والنَّهْرِ المُحَلَّى بِرِضَابِك
يا ابْنَةَ الفجرِ تَمَنَّى البَدْرُ تَقْبِيلَ إِهَابِك
والنُّجومُ الزُّهْرُ لو تَنْثُرُ زَهْرًا فى رِحَابِك
والمعانى باسِماتٌ غَازِياتٌ فى رِكَابِك
يَتَعَالَيْن على الدُّنْيا ويَسْجُدْن بِبَابِك
آهِ لَوْ تَدْرِين مَابِى مِثْلما أَعْلَمُ مَابِك
يا ابْنَةَ الكَرْمَةِ مِنْ كَرْم ِ شَبَابِى وَشَبَابِك
والأَمانِىُّ عِذَابٌ مِثْل مَعْسُولِ عَذَابِك
إنْ تَمَثَّلْتِ رِغَابِى فاقْرئِيهَا فى رِغَابِك
فالرَّذَاذُ الحُلْوَ لا يَقْطُرُ إلَّا مِنْ سَحَابِك
والمُنَى البَيْضَاءُ فِى الحُبِّ مَعَانٍ مِنْ كِتَابِك
فاطْلُبِى لى رحمَةَ الله أَجِدْها فى طِلَابِك

هَمْسَـــةً تَنْـسرِي عَلى البَرْقِ بِنَجْوَي فِى خِطَابِك

فَأَرَي الحُظْــوةَ فِى لُقْيَــاكِ مِنْ بَعْدِ غِيَابِك

وإِذَا البُعْـــدُ حِكَا يَاتُ عَـذَابى وعَــذَابِك

وتَسَــالِينَــا أحَـــادِ يثُ اغْتِـرَابى واغْتِــرَابِك

وارْتِــوَائِى مِنْــك يَا حِبِّى شَرَابًا مِنْ شَـرَابِك

* * *

ليلة العيد

ذكرْتُكِ فى اللَّيـلةِ الحَاليَة — مِنَ العيد أَبْكِى عَلى حَاليَة

أَرَي فَرْحَةَ النَّاسِ فى عِيدِهم — وفَرْحَةُ نَفْسى ِهى البَاقِية

ويَنْعُـمُ حِبٌّ بِمَحْبُوبِه — وأَشْكُو مِنَ الوِحْدةِ القَاسِية

أَقُول لِنَفْسىَ هَلْ من جَنَـا — حٍ أَطِيرُ إلى الشَّام فى ثَانِية

وأَلْقَى العـزيزةَ فى حيِّها — وتَلْمَسُـنى كَفُّهَا الحَانيَة

أُقبِّـلُ منها يَدًا طَالَمَا — رَعتْـنِى بأَلْطَافِها السَّامِية

أَشُمُّ من الرَّوْضِ وَرْدَ الحَيَاةِ — وأَقْطُفُ أَزْهَارَهُ الزَّاهِيَـة

سَأَلْقى بِكِ العِيدَ يَوْم اللِّقَـاءِ فَمَا العِيدُ إِلَّا المُنَى الغَالِيَة

* * *

على صورتها

يا صُورَةً أبْصَرَت عَيْنِى بِهَا أَمَلِي ... وقَرَّبتْنَا فَعُدْنَا قَاب قَوْسَيْن

ضَمَمْتُها فإِذَا القَلْبَانِ قَدْ جُمِعَا ... وَفِي البِعَادِ غَرِيبٌ ضَمُّ قَلْبَيْن

لَمَحْتُ فِى صَمْتِها شَبَحًا مُمَثَّلَةً ... فِيه النَّوى فَرَّقَتْ بِالرَّغْم إِلْفَيْن

كَأَنَّها تَسْأَلُ الأَقْدارَ كَيْفَ قَسَتْ ... تَقُول رِفْقًا بِهَذَيْن الحَبِيبَيْن

وقُلْتُ بِاللهِ كَيْفَ الحَالُ فابْتَسَمَتْ ... حَالِي كَحَالِك لَيس الحَالُ حَالَيْن

صَدَقْتِ يا زِينَةَ الدُّنْيا وَفَرْحَتَها ... لَنْ يُصْقِلَ الحُبَّ إِلَّا لَوْعَةُ البَيْن

يَا ربِّ رُحْماكَ فى قَلْبَيْنِ مَضَّهُمَا ... عُسْرُ النَّوَى فَأَزِحْ عُسْرًا بِيُسْرَيْن

* * *

ثلاثيات

لَقــدْ تَحَدَّثْنَــا ولَمْ نَسْتَرِح　　حَــتَّى رَأَتْ أَكْبَادَنَا تَنْزِفُ
وبِالْبَنَانِ الغَضِّ لَمْ تَسْتَبِح　　غَيْرَ السُّــوَيْدَاءِ وَمَا تَنْطَفُ
قالَتْ لِبَدْرِ التَّمِ هَيَّا اصْطَبِح　　نَفْحَ عَبِيــر دُونَهُ القَرْقَف

* * *

وابْتَسَمَ البَــدْرُ على مِحْنَةٍ　　ضَاحِكَةٍ فى غَسَــقِ الفِتْنَةِ
وبَسْمَةُ البَــدْرِ من الجَنَّــة　　مِن وَجْنَةٍ تَسْرِي إلى وَجْنَــة
وقَال لا دِيـنِى ولا سُنَّــتِي　　تَشْرَبُ كَأْسًا صِيــغَ مِنْ أَنَّةِ

* * *

الأمل الحائر

وعَاطَيْتِنِي الأَمَلَ الحَائرَا تَمنَّيْتِه : الأَلَمَ السَّافِرا

تَمنَّيْتِه صَعقَاتِ الرَّدَي تُرِيحُ ولَا تَكْسِرُ : الخَاطِرا

فإِنَّ الأَسَى قَدْ يُمِيتُ النُّفوسَ ولكنَّه يَحْرِقُ : الشَّاعِرا

وتلْك المَعَانى التى صوَّرْتُهَا تُحَاذِرُ حتَّى الشَّذَى : النَّافِرا

إذا صَارَحتْهُ المُنَى الحَالِمَا تُ رَعَى ظِلَّها : طَيِّعًا : صَابِرا

وغَرَّدَ فَوْقَ أَفَانِينِها يُسَاجِل : بُلْبُلَهَا : الطَّائِرا

ويَسْكُبُ لَحْنَ الجَنَانِ الشَّفِيفِ خَجُولًا : رَوَى غُصْنَهَا : النَّاضِرا

وحِينَ تَشِفُّ الأَغَارِيدُ تَسْتَرْفِد من الرَّوْح عَالَمَها : الزَّاخِرَا

وتَسْبَح فى صَحْوِها الهَادِر تُصَفِّق الهَامَها : الهَادِرَا

وتَلْفِظ وَهْمَ الحَيَاةِ الشَّحِيح إِذَا سَلَبَ المُقْبِلُ : الحَاضِرا

وتَهْوى الدُّجَى المُقْفِلَ الصَّائِما إِذَا لَم يكُن خَادِعًا : غَادِرَا

فكَم عَانَق اللَّيْلُ أَشْبَاحَهُ كَمَا عَانَقَ الكَافِرُ : الكَافِرَا

* * *

فيامَنْ رَجَوْتُك رغْم النُّفَـــارِ هَــوَى صَاحِيًا يَانِعًا : ثَامِـرا

تضُمين أحـــلامه الصافنـــاتِ وتحمينَ وجـدانَه العامرا

تَخِذْتُ هَــوَاكِ المَنَارَ الوَضِـ ىءَ وإشْعَـاعَةَ الفَلَك : الدَّائرا

فَمَـا دُرْتُ فى غَيرِهِ هَادِيا ولَا رُمْتُ فى غَـيْره : نَاصِرا

وألْفَيْتُ فِيكِ الرَّجَـاءَ العَظيـ مَ كَمَا وجَـدَ العَاجِـزُ : القَادِرا

تَحيَّرْتُ فِيمَا أرَى يَا تَرى بَلاءٌ كَحِيـرَتِها : حَائِرا

أم الهَمَسُ مِنْ حَوْلِنَـا رَاعَهَا فَصَاغَ الأَسَى لَحْنَها : الفَاتِرا

أم الشَّامِخَ الصَّـاعِدَ المُعْتَـلَى رَمَانِى ولَمْ يُقِـلِ : العَاثِرا

• • •

ولا عَجَبٌ ذَاك شَأْن الزَّمَـــ انِ حَذْونا بِه المَثَلَ السَّائِرا

إذا شَـقَّ دَرْبَ العُـــ لَا «لَاحبًا» فَيَا طَالَـما قدْهَدى السَّائِرا

سَـوَاءٌ عليــه ازْدِحَامُ المَوارِ د لا يَفْضُلُ الأَوَّلُ الآخِــرا

فَكَمْ صَادِرٍ غَالَـه وَارِدٌ وَكَم وارِدٍ قَدْ رَوَى : الصَّادِرَا

تَسَاوى رَخِيصُ المُـنَى والعَزِيـ زُ لَدَيْه فَما كَانَ فِى عُمْرِه ذَاكِرا

وَمنْ يَنْسَ تَارِيخَـه ذَاتَــه مَحَا : طَبْعُه : الفِكْر : والفَاكِرا

هو الصَّـانِعُ المَاهِر المَاكِرُ وَمِنْ سِرِّه : كَوْنُه : مَاكِرا

أَيُدْهَش للتِّبْر قد صَاغَـهُ نَفِيسًا بَهِيـجَ الرُّؤي : نَادِرَا
أَيُعْجِـزه بَعْـدَ رَجْع النَّفِيس رخِيصًا كأَنْ لم يكُنْ : بَاهِرا

• • •

حَنانَيْكِ ولْتَعْـلَمِي أنَّـنِي أرَجِّيـهِ مُصْطَفِقًـا : ثَائِرا
فذَلِكَ أَكْرَمُ ما أَسْتَطِيـعُ تَقَبُّـلَه رَاضِـيًا شَاكِـرا
لأَنْ يَلدَ الحُبُّ كُرْهًـا أَعزُّ من الحُبِّ تَحْمِـلُه صَاغِرا
وأَحْقَـرُ مِنْه هُـو الاغْتِصَاب تُعَاقِرُه كَارِهًـا حَاقِـرا
بِجُرْحِ الهَوَي فَلْتَمُتْ لَا تعِشْ بِجُرْح القِلَى أَبدًا فَاغِـرا
وَوشْـوَشَـني القَلْبُ مُسْتَنْكِرا حَزُونًا فَلَيْس الأَذَى : آسِرا
وقَالُـوا قَدِيمًا يَـدُومُ الوِدَادُ سَلِيمًا ويَفْـنَى الهَـوَى : عَاقِرا
هَـوَى النَّفْس آرابُهـا المُسْتَقَاةُ تُمَـزِّقُه : كَابِرًا : كَابِرا
فَكَيْفَ وقَدْ بَات حُبُّ الشَّرِيفِ لَعَمْرى قَصِيرَ المَـدَي قَاصِرا
وأَثْبَتُ مِنه الهَـوى اللَّوْلَبِيُّ يُبَـادِلُه : فَاجِـرٌ : فَاجِرا
مُنَاظَرة بَيْنَهُـم لَم تَـزَلْ يُحَاوِرُ مَنْظُـورُهَا : النَّاظِرا
لَنَـا أَجَلٌ حَدَّدَتْ عُمْـرَه مَنَاصِيبُ تَحْتَضِـنُ : الظَّافِرا

وتَلْوِي بِمَنْ أَبْطَأَتْ رِجْلُه وتَلْفِظُه بَاطِنًا : ظَاهِرا

ويَغْزوه فى خِلْسَة شَاطِرٌ وما كان فى أَمْسِه : شَاطِرا

وقُلْت لِقَلْبِىَ لَا حَيْرَةٌ ولَا لُبْسَ فَلْتَكُنِ : الحَاذِرا

فَلَيْسُوا نُفُوسًا كَما قَدْ زعمْت وما عَرَفُوا الهَدَفَ : البَاصِرا

فَمَا بَيْنَهم مُهْجَةٌ حُرَّة تُمَثِّل قَلْبًا : سَمَا : طَاهِرا

لَقَدْ جَهِلُوا سِرَّ هَذِي الحياةِ فَكُلُّهُمُو عَاشَها : سَادِرًا

* * *

يَعِيشُ الوفِىُّ لأَخْلاقِه كَما شَاءَهَا : صَاعِدًا : حادِرًا

ويَغْنَى الحَصِيفُ بآدابِه فَقَدْ كان ظِلَّ : ضُحًى : عَابِرا

فَعِشْ هَائِمًا فى غِمَارِ الحيَاةِ ولَا تَرْضَ عيشَتَها : مَادِرا

ومَا ضَاع خَيْرٌ ولكِنَّه تَجَاوَزَنَا غَاضِبًا : هَاجِرا

قَوانِينُه حَقَّةٌ كَالْحَيَاةِ ولَكِنَّها لَمْ تَجِدْ : نَاشِرا

أَلَا إِنَّنَا دَاؤُها والدَّوَاءُ ولَا يُصْلح العَاهِرُ : العَاهِرا

اللؤلؤة .. الحمراء

لَمَحْتُها وكَأَنَّ العِيدَ فى فَلَكٍ ... وقَلْبُها سَابِح كالنَّجْمِ فى فَلَك

وتَرْقبُ النَّهْرَ مُنْسَابًا أَشِعَّتُــه ... كشُعَلةِ الليل «تَرْمي» سُدْفة الحَلَك

يَرِفُّ كالنَّسْمَةِ العَذْراء تَحْسَبُها ... عَرْشًا تَرَفَّع عَنْ تَاجٍ وَعَنْ مَلِك

العِيدُ يَصْدَحُ فى أَعْطافِ فَرْحَتِه ... كالرِّيمِ يَجْفُل مِنْ رَامٍ ومِنْ شَرَك

ورَبَةُ الحُسْنِ فى الأَصْدَاءِ هَائِمَة ... كأَنَّها رَاهِبٌ قَدْ ذَابَ فِى النُّسُك

تَعُبُّ مِنْ أَلَقٍ صَادٍ وتَسْمَعُه ... والوَجْدُ فِي صَخَبٍ واللَّحْنُ فِي دَرَك

وصِرْتُ فى المَشْهَدِ المَسْحُورِ طَرَّزه ... وَرْدٌ تَلَفَّعَ فى طَوْقٍ مِنَ الحَسِك

* * *

دنوتُ صَوْبَ الحَيَا الغَافِي عَلى حَذَرٍ ... وفِى الحَيَاء صِرَاع الفَارِس الفَتِك

فَمسَّنِى الهَوْلُ إِذْ أَبْصَرْتُ لُؤْلُؤَةً ... حَمْرَاء تَرْقُصُ رَقْصَ الصَّيْدِ فِي الشَّبَك

وقُلْتُ يا أَنْتِ هَلْ فى العِيدِ سَائِحةٌ ... تَجْرِي بِدَمْعٍ على الخَدَّيْن مُشْتَبِك

قَالتْ نَفحتُ حُشَاشَاتِى ومَاسَمَحتْ ... عَيْنِى بِغَيْر دَم كالدَّمْع مُنْسَفِك

أُذِيبُ فيه الأَسَى الجَافِي وأَحْرِقُهُ فلن تَخِيبَ الأَمانِي وَسْطَ مُعْتَرك

الحبُّ تَحْمِيه أَجْفَانٌ مُقَرَّحَةٌ يَاطَالَما أَنْقَذَتْ مِنْ كَبْوةِ الهَلك

بَكَيْتُ أَحْرُسُ نَشْوَاتٍ مُغَرَّدةٍ لم تُفْنَ لكِنَّها كَانَتْ عَلى وَشَك

فَبَهْجَةُ العِيدِ أَسْمَى حَقَائِقُها صَوْتُ النَّجيبِ طَوتْهُ شَهْقَةُ الضَّحِك

ورَجْعُهَا كَصفِيرِ الرِّيح مُنْطَلِقٌ مِنَ الخَرَارِ يُدَاجِي زَوْرَ مُؤْتَفِك

هَتَّاكَةُ السِّتْر عن عَفٍّ الخُطَى حَذِرٍ ولِلخَلِيعَيْن سِتْرُ غَيْر مُنْهَتِك

لَذْعُ الحَنِين وَوَقْدُ الشَّوْقِ إنْ تَركَا حُبًّا تَمخَّضَ للنَّعْمَاءِ يَنْتَرِك

والحُبُّ فى الشَّامِ فى أَفْيَاءِ غُوْطَتِه كَالحُبِّ فى اللَّابَةِ الجَرْدَاءِ مِنْ فَدَك

سِرُّ البَقاءِ لَهُ زَادٌ مُؤَجَّجَةٌ سَمَاوُهَا أَبَدًا مَعْقُودة الحُبُك

نَادَيْتُها والمَعانِي البِيضِ غَاضبةٌ زِيدِي بُكَاءَكِ هَذاالدَّمْعُ لِي وَلَك

* * *

أول لقاء

وقابلتها والليلُ حُلْوٌ مُشَعْشِعٌ ... له من عبير الصدم لحن موقَّعُ
عليها الإشابُ[1] الحلو يقطر لذة ... يضيء به في الرأس تاج مُرصَّع
فما هي إلا نظرة لم أَشُنَّها ... إذ القلبُ من فرطِ المسرة يدمع
وكانت كأحلى ما تمناه شَيِّقٌ ... رفيقُ الأَماني شاعر الحس مبدع
فضم عليها القلبُ كل مرامه ... فما لسواها بين جنبيَّ موضع
وسلمتُ للحس الرفيع مقادتي ... ولي كبرياءٌ لا تليق وتخضع
وقال رفيقٌ كان في الدربِ بيننا ... أَمِن نظرةٍ أولى تذوب وتخشع
تمهل ولا تعجل فللحس خدعة ... فقلت ولكن مهجتي كيف تخدع
فللحب عين لا تطيق سهامها ... وللقلب إحساس من البرق أسرع
لمحت بها سرّا دفيناً تصـونه ... وجرحاً كجرحي لم يُفِدْ فيه مبضع
لها رقةٌ كالنور تحلو بطبعهـا ... ولا يغلبُ الطبعَ الكريمَ التطبع
وواعدتُها في ليلة القدر ثانياً ... وفوح مرامي عطره يتضـوع
فكان هلال السعد واليمن موعداً ... وأصبح بدراً ضووُه العذبُ يسطع
رحيبُ المعاني لا يحولُ صفاؤه ... فإن الوفاءَ الحرَّ لا يتـزعزع

(١) الاشاب ما يوضع على الرأس من غطاء

عيناك

عينـاكِ بالإشعاعِ ياقـوتةٌ تسطعُ في جَفنِ الدجي الداكنِ
تحركت في ومضها مثلمـا تحرَّك الخافقُ في السَّاكن
وأسبلت هُدْباً كأَنَّ الذي في ظلِّـه تنهيدةُ الظَّـاعن

* * *

والله والله ولا أحنـث رأيتُ في الليـل ضحيً ينفثُ
رأيت ومضاً عَنْبريّاً السنا وَالْعَيْنُ لا تكذبُ لا تعبث
لولا سوادُ خِلتُه سُـكَّـراً قلت نهاراً بالـدجي يرفث

* * *

كفـــــــــــــــــــــــــــــــه

يوماً بليلته أُهيِّيءُ للِّقاءِ لمـا أقول وما أُعيد

وأُنَسِّقَ الجُمَلَ الحسانَ يضمُّها العقدُ النضيد

وأَهدُّ آونةً وأَبنى فالْوِصالُ الحلـوُ عيـد

ودَلِفْــتُ للميعاد أَعتصر الفـؤادَ كما يريد

وهوايَ ذيَّاك المُجنَّح ليس ينقصُ بل يزيد

وفرحتُ بالأَمل الطريفِ يحثُّه الأَملُ التَّليد

فوجدتُها قمراً يعبُّ من النجومِ ويستـزيد

في حلةٍ حمراءَ تعشقُ حسنَ منظرِها القـدود

تحنو لِتَلْثُمُها الورودُ فـلا تفارقها الورود

وبكيتُ من فرح اللقاءِ وانني الحِبُّ الوحيد

وسأَلتها الرُّحْمّي فقالت مَنْ تكونُ وما تريد

قلتُ الْمُوَلَّهُ كلُّ نومي فيكِ أَحلامٌ شهـود

وإذابِهَا في غَضْبَةٍ شُمُّ الجبالِ لهـا تميـد

رفعت حجابَ العينِ سخريةً يذوبُ لها الحديد

وتمر فوق الصدرِ كفيها وتـأْتلقُ الخـدود

تخشى اضطراباً ربَّما فَرَّتْ تحاذره النهود

وسمعتُ قهقهةً صداها انني الفَدْمُ البليـد

قالتْ لأَنتَ الخائبُ الكسلانُ هل يغفو العميد

يا خيبةً عَبَثَتْ بصاحبِها كما عَبثَ الوليد

* * *

ساعتها

وتَضْحَكُ بَسْمَتُهـا حُـرَّةً كَمَا يَبْسُم الأَمَـلُ النَّاجِـح
وتَبْسُم فى عَيْنِهـا فَرْحَـةٌ كَمـا يَفْرَحُ الآيِبُ النَّـازِح
ويَرْتَسِمُ الصَّحْوُ فى ثَغْـرِهـا يُدَاعِبُـه الأَلَـقُ الصَّـابِح
ويَهْـزِج مِعْزَفُهـا الرَّائِـع فَيشْجَى لَهُ البُلْبُـلُ الصَّـادِح
وأَمَّا الحديثُ فَهَمْسُ الرَّبِيـعِ يُفَاغِمُـه عِطْـرُها الفَائِـح

* * *

وأَبْصَرْتُ فى كَفِّهـا سَاعةً ورقَّاصُهـا راكِضٌ جَامِـح
يُتَابِـعُ فى جَفْنِهَا رَعْشَـةً تُحاذِرُها والهَـوَى فَاضِـح
ويُومِضُ فِيها رَفِيفُ السَّنَـا يُجَاذِبُهـا سِرُّهـا البَـائِـح
فَلِلرُّوح ما يَهْتِفُ الهَـاتِف وللقَلْبِ ما يَمْنَـحُ المَانِـح
وللأُفُـقِ الرَّاقِص الحَـالِم مُنَى زَفَّهَـا السَّائِحُ البَارِح
فَسَاءَلْتُهـا والمُنَى غَصَّـةٌ يُصَفِّقُهـا بِشْرُهـا النَّاصِـح

لِمَاذا نَحُدُّ مَجَالِي السُّـرُور   وللْعُمْر مِيقَـاتُه الجَائِـح

ونَحْبِس أَنْفَـاسَنَا والرَّدَى   على الدَّرْبِ غَادِيه والرَّائِح

وأَنْتِ الحياةُ بِلَا مَوْعِـدِ   فَموْعِـدُها نَافِـرٌ سَـارِح

وهَذِي الحَيَاةُ كَما تَعْلَمِينَ   أَطَايِبُهَـا الأَمَـلُ السَّـابِح

تُمَثِّلُهـا الأَنْجُـمُ الحَائِرَات   يَهِـيمُ بِهَـا الهَدَفُ الطَّامِح

فَيالَيْتَهـا حِلْيَـةٌ كالسِّـوَار   يُشَعْشِعُهـا المِعْصَـمُ اللَّامِح

فلَا الأُنْسُ يُعْجِلُنَا وَقْتُـه   فَيَعْتَكِـر الأَلَقُ الفَـاتِـح

ولَا العَيْنُ مِنْكِ لَها شَـاغِـلُ   كَما يَشْغَلُ الْعَـاذِلَ الجَـارِح

لِتُزْعِجَنَـا نَظَـرَاتٌ إِلَيْها   كَما يَنْزِحُ المُقْلَـة النَّازِح

فَقَـالَتْ صَدقْتَ ولكِنَّنَـا   يَطِيبُ لَنَا الفرَحُ الفَـارِح

إذا ما قَدَرْنَا لـه قَـدْرَه   وطَـارَدَهُ شَوْقُنـا الجَـامِـح

فَهَل يَسْتَوي بَاذِلٌ شَدْوَه   وَصَادٍ . على أَيْكِـهِ صَـادِحُ

هُو القَصْد مِيزَانُ هَذِي الحَيَاة   ورُبَّـانُهـا القَائِد السَّـاجِح

فإِنْ ضَاعَ فى أُمَّةٍ وَقْتُهـا   فَذَلِكُمُو خَطْبُهَـا الفَـادِح

* * *

الحسناء والمروحة

وسَأَلْتُ عَنْكِ فَقِيل مَرَّتْ فى يَدَيْها « مروحـه »

والطَّقْسُ « قَمْرٌ » والنَّخيلُ من الصَّقِيـع مُطَلَّحَـةْ

والزَّمْهَرِيرُ مَشَى على أَنْصـائِـه المُتَرَنِّحـة

مِنْ كُلِّ فَارِعَـةِ القَـوَامِ كَشَاهِدٍ فِى « المِسْبَحَة »

الرَّوْض يأْمَلُ أَلَّا تُدَاعِبَ زَهْرَهُ أَو تَنْفَحَـه

والنَّرْجِس الفَضَّاحُ يَحذَرُ لَحْظَها أَنْ يَفْضَحَـه

فَعجِبْتُ كَيْف أضفْنها خَفَقَاتِ هَذي الأَجْنِحَة

حَتَّى الْجَحِيم يَخَافُ مِنْ أَنْفَاسِها أَنْ تَلْفَحَـه

يا شَاعِري أَيْنَ المَشَاعِرُ إِذْ تَحُـومُ مُجَنَّحَـه

أَيْنَ الخَيَالُ مُغَرِّدًا فى الرَّوْضِ يُلْهِـمُ « صَيْدَحَهْ »

أَظَنَنْتِ مِرْوَحَةَ الشِّتاءِ طَرَاوَةً « أَوْ » فَنْزَحَـه

لُغْزًا وَحَقِّكِ قد عَجَزْتَ على المَدَى أَنْ تَفْتَحه

يا صَاحِ مِروحةَ الهَوَى رَهْقُ الجَوَى : لَنْ أبْرَحَه

لَهَبُ الجَوانِحِ فِي دَمِي دَمْعٌ أبَى أنْ أسْفَحَه

لَهَبٌ كَما شَاءَ الهَوى مَسَّ الحَنِينَ : وَصَبَّحَه

لَهَبٌ كَأَنْفَاسِ الجَحِيم تَدُورُ فيه المِرْوَحَة

هَوَ مُهْجَتِي هُوَ لَوْعَتِي وسِوَاهُمَا لَنْ يَلْمَحَه

فَالْحُبُّ يَضْمِدُه الَّذي أصْمى حَشَاهُ وجَرَّحَه

وصَلاحُه فى دَائِه وفَسَادُه ما أصْلَحَه

هَذا جَوَابُ مَلِيحَتِي أسَمِعْتَه ؟ مَا أمْلَحَه

* * *

ذكرتك

ذكَرْتُك فى مَعْنَاكِ يامَىُّ طَالَما   تَحَسَّسْتِ هَذا البَيْنَ قَبْلَ احْتِمَاله
وكُنْتُ أُجِيلُ الطَّرْفَ فِيكِ تَعُجُّبًا   مِن الوَهْم خَطَّارًا بِغَيْر مَجَالِه
وفى لَحظَاتِ نَفْحُهَا ظَلَّ سَارِيا   مَسَار النَّسِيم العَذْبِ بَيْن ظِلَاله
وكَمْ دَمْعَةٍ دَارَيْتِ عَنِّى بِبَسْمَةٍ   تُضِيءُ كَبدْر التَّم عِنْد اكْتِمَاله
فَلم أَدْرِ سِرَّ الدَّمعِ قَبْل افْتِراقِنَا   ولَمْ أَدْرِ سِرَّ الوَصْلِ قَبْلَ زَوالِه
فَيَالِلقُلُوبِ الغِيدِ خَلْفَ عُيونِها   عُيونٌ ويَالِلمُسْتَهامِ وَحَالِه
لَقدْ شَفَّكِ السُّقْمُ الخَفِيُّ فَنَوَّرَتْ   مَعَانِيكِ عن حَالِ الهَوَى ومآلِه
لِىَ اللهُ لَيْتِى قَدْ رأَيْتُ بِعَيْنِها   مَصِيرًا رَمَى أَحْشَاءَنَا بِنِصَالِه
إذا لَتحدّيْت النَّوى بِالذي رأَتْ   مِنَ الصَّبر يَغْتَالُ النوى بِنِبَالِه
فَكَمْ رَاحِلٍ نَعْماؤُهُ فِى مَقَامِه   وكَمْ مِنْ مُقِيم عِزُّهُ فى ارْتِحَالِه
وكَمْ حالَةٍ يَرْجو سِوَاها لِغَايَةٍ   يَشُدُّ لها فى سَبْحِه وخَيَالِه
على بَطَرٍ يَجْري الزَّمَانُ بِضِدِّه   ويَبْكى على مَا فَاتَ رغم اعْتِلَالِه

وعاتَبَنِى العَتْبَ الرَّقِيقَ فَلَيْتَه ... تَعنَّفَ بِى فى شَدّه ومِحَالِه

وأَحْلِفُ لم أَلْمَحْ سِوى الدَّلِّ حَانِيا ... تَعودت لُقْيَا فَرْحَتِى من خِلَالِه

وأَغْضَب اسْتَجْدِي الدَّلَالَ وكَمْ جَنَى ... على عُنْفُوانِ الحب فَرْطُ دَلَالِه

فَيامَيُّ هَلَّا نَفْحَةٌ مِنْكِ غَضَّة ... لِمُغْتَرِبٍ فى دَارِه بَيْنَ آلِه

تَعَالَيْتِ عن عَسْفِ الحَيَاة قصَّية ... لِمُرْتَبِع ذُقْت الضَّنى مِنْ حِيَالِه

وعَانَدْتُ فِيكِ القَلْبَ من أَجْلِ رَامَةٍ ... وسَلْع ومَا بَيْن العُذَيْبِ وضَالِه

وأَنكَرنِي فِيها الغَنِيُّ لأَنَّنِى ... أَبِيٌّ على عُجْب الغَنيِّ ومَالِه

ويَمَّمْتُ رَبَّ الدَّار أَبْغِى شُوَيْهَتِى ... أُعَالِج ضرْعًا طَال فَوْق مَطَالِه

فَعانَيْتُ من تَسْوِيفِه ومطَالِه ... مُهَانًا ومُسْتَجْدٍ كَرِيمَ نَوالِه

وحَمَّلنى مِنْ عَمِّه بَعد خَالِه ... مَذَلَّةَ عمٍّ حَاقِدٍ حِقْدَ خَالِه

فَيامىُّ هَلْ بُشْرى لَدَيْك مُطِلَّةٌ ... فأَحْلى أَمَانِى الحُبِّ فى يُمْن قَالِه

فإِنَّ مِلَاحَ الكون أَهْلُ سَمَاحَةٍ ... وإِنَّ جَمالَ الكَوْنِ أَصْلُ جَلَالِه

* * *

تقـــــول

الإهداءُ إلى تلك التي سما بها الحب عهداً وترقرق وُدًّا وتبلور دعاءً وتحقق وغدا أهدي هـذه القصيدة إلى « مي »

تَقُولُ أَمَا شاقَتْكَ منِّي بَقِيَّـــةٌ ... هِيَ النفسُ والقلبُ والحُـــبُّ
هِي العهْدُ أَبْقَى مايَلَذُّ إذا إنْطوَتْ ... صَبَابَتُه واسْتَذْكرَ النَّشْوَةَ الصَّبُّ
فآثرُ أَيامِ الحياة على المَـدَى ... مَسَاحِب أَذْيَال مَحَا رَسْمَها الدُّرب
لنَا في الهوى الغالِي الأُصوليِّ وشْجُه ... كلون الأَصِيلِ الحُلْو تَلْثُمه السُّحْب
وتَحْضِنُه الأَضْواءُ غَرْقى يَرُدُّها ... إلى اللَّيْلِ شَرْقٌ في حَقِيقَتِه : غَرْب
فَقلت لَها «يامىُّ» هل يَذبل الهَوى ... وهَل تَخْصبُ الدنيا إذا عَافَها الجَدْب
وعُمْرُ الهوى فَوْق السِّنين وعَدِّها ... وحَسْبُكِ رمْزاً هذِه الأَنْجمُ الشُّهْب
فَلَيْست سِنِينَ العُمْرِ غَيْر عَوازِل ... تُنَافِسُنى لكنَّ قَلْبِي هو القَلْب
لعَمْرُك أَنْتِ الرَّاحُ عَتَّق رُوحَها ... زَمانٌ قُصَارَاه النَّمِيمَة والشَّغْب
فدَيْتُك لَوْلا الأُمْسِياتُ لَمَا حَلا ... مَع الفَجْر ذَيَّاك الصَّبا النَّاعِم الرَّطْب
وأَعْنف مَا قَد سَاءَ يَا «مى» أَنْ أَرَى ... ظُنُونَك لَوْلا أَنَّها البَارِقُ العَذْب
فلمْ أَنْسَ أَيامَ اللِّقَا بيْن غَيْرَةٍ ... تَهُبُّ وإعْصَارٍ يُرْجِعُهُ الرَّيْـب
حنَانَيْكِ هَلَّا تذْكُرين سَوَانِحا ... طَلائِعُهَا وثْبٌ حوادثـها وَكْبُ

لياليَ عاشَ البدرُ بينَ ظلالِها	كان له مِنْ حولِ وارقه صحب
تُداعبُنا فيه ابتسامةُ ضارعٍ	فيملؤنا من فرطِ بهجتِنا الرعب
ونسبح في اللآلي أما رحيقها	فشهد وأما العطر من حولهاسكب
نقول معاً يا ربُّ جاوزْنا المدى	إلى الشيب حتى لا يطاردَنا الشيب
وحتى نرى الأَحوالَ خلفَ ظهورنا	فأَخشى الذي نخشاه أن يُزَحَم الصبُّ
ولم نقضِ من صفوِ الهوى ونعيمِه	لبانةَ سرب حائم حوله الذئب
نخالسه الصفو المُتَاح كأَنه	من الغيب أَقدارٌ رمانا بها الغيب
تطوحُنا أَنضاءُ ذلٍّ ولـوعةٍ	بَيْنٌ مُشِتٌّ دونه المركبُ الصعب
فقالت أَنحن اليوم نحيا معانياً	سوالفَ عاشتْ بين أَعطافنا تحبو
أَجل كلنا يا ميُّ ذنبٌ ولم نزل	نقولُ بسرٍّ الحب ياربُّ ياربُّ

* * *

ساعة

قَــدَّمْتُها ساعَــةَ حُبٍّ عَسَى   أَنْ تَعْرِفَ الفرْحَــةُ مِيعَادَها

وأَنْ أَعِيشَ العُمْرَ فِي عُمْــرِهــا   وأَنْ تَرَى الأَفْرَاحُ أَعْيَــادَها

ومَا أَرى الوَقْتَ مَهْما يَطُــلْ   ما أَنْقَصَ الأَقْمــارَ بَلْ زَادَها

وإِنَّــنى أَعْـرِف مِيــلَادَهــا   مِنْ قَبْل أَن تَعْرِفَ مِيلَادها

فَالرُّوحُ قَبْــلَ الجِسْمِ سَبَّاقَةٌ   والشَّمْسُ لا تَجْهَلُ عُبَّادَهَا

* * *

صــــورة

وتَزْهَو زُهْوَّ الصَّافِنَاتِ تَمرَّدَتْ

عَلى لُجُم مَغْلوكةٍ فى رِبَاطِها

تَشُدُّ إلى أَعْلى السِّماكَيْن أَتْلعـا

وتَسْحَبُ فِي الجَوْزَاءِ فَضْلَ رِباطِها

وتَصْهَلُ لَوْلَا بُحَّةٌ رَقَّ عَزْمُهـا

خَشيتُ عَليها حَشْرَجَاتِ نِيَاطِها

* * *

التفــاحـة

مَدَّتْ إلى الصَّدْر كَفًّا رخْصَةً فَبَدتْ | تُفَّاحةٌ ، عِطْرُها يَحْكى تَرَائبهـا
تَقول قَدْ أَطْلَع الرُّمانُ مزْدَهِرا | تُفَّاحةٌ جاوَرَتْ عِندي حَبَائِبهَا
فَقُلتُ حَسْبي تُفَّاحُ الخُدودِ جَنًى | حُلْوًا يَزُفُّ مِن الدُّنْيا أَطَايِبَهـا
أَهَكَذا صَنَعتْ حَوَّاءُ حِين غَزَتْ | أَبَا الخَليقَةِ تَسْتَعْدِي مَواهِبَهـا
هَل دَاعَبتْه على حُبٍّ ومَوْجَـدةٍ | أَمْ أَنَّه ذَاقَها قَبْلاً فَدَاعَبَهـا
شُكْراً لآدم للتفاحة انْبَثَقَـت | رُمَّانة لمْ نَزَلْ نَحْيا عَجَـائِبَهَا
كِلْتاهُما أَنْتِ يا حَوَّاءُ فاسْتَبِقى | غَرائِبًا طَالَما عِشْنا رَغَائِبهَـا
وللمى مِنْ سَمَاءِ الكَوْنِ أَنْجُمَه | فأَنْتِ دُنْيَا تَخَيَّرْنا كَوَاكِبَهَا
فَمِنْ أَعارِبها نُغْلي أَعاجِمَهـا | وفى أَعاجمها نَهـوى أَعَارِبَهـا
تَكَامَلتْ وِحْدةٌ فى الحُسْنِ مُرْهِصة | بالخُلْدِ تَطْمعُ أَنْ تَلقى كَوَاعِبَها

* * *

هوى الجحيم

قالَتْ إليك هَوى الجَحِيمِ فَطَالما نَسَج الظِّلاَلَ وأَنْضَجَ الإِلْهَامــا

عَذْبُ اللَّهِيب كأَنَّ أَجَّ ضِرَامِه شُعَلٌ صَنَعْن مِنَ اللَّظى أَنْغــاما

ومِنَ الغِنَاء عَلى شَجِيٍّ لُحُونِـــه أَسْمَى بَقَاءً كَان قَبْلُ حُطَامَــا

عِزٌّ الحَياةِ مَشَاعِلٌ فإِذَا خَبَــت أَبْقَتْ رَمادًا تَرْجَمُوه . سَلاَمــا

وهَنَّ تَلفَّعَ فى غَلائِلِ سُنْدُسٍ شَفَّافِــهٍ تَتَقَمَّصُ الأَحْــلَاما

يَا منْ هَوىَ وَتَرعْرَعَ فى الفَضا بَادِي الضَّنا يُذْكي الأَوَارَ. سَقَامًا

حتَّى كأَنَّكَ في الجَوَانح خَافِقٌ أَلِف الحَياةَ ضَرَاوةً وخِصَاما

قَدْ عِشْت تَعْتَقِدُ الظَّلَامَ إِذَا بَدا صُبْحًا وكَمْ نَسَج الضِّياءُ ظَلَاما

* * *

يا مَنْ وهَبْتِ نَعِيمَه لِجَحِيمِه حُرَقًا مُعَتَّقَةً تَفُوحُ ضِرَامـا

بِهَواكِ أَعْلَيْتِ الجَحِيمَ مَنازِلًا ونَثَرْتِ عِطْرًا حَوْلَه وخُزَامى

وحَبَوْتِ أَعْمَاقَ الجَحِيمِ فَرَادِسًا طَابَتْ عَلى صَحْوِ الخُلُودِ مَقاما

ونَزَعْتِ عَن رَهَجِ الحَرَامِ حَلَاله وعَن الحَلالِ المُسْتَرِيب حَرَامـا

لَوْلا اللَّظى المَشْبُوبُ فِي وَهَجِ الضُّحى مَا فَاقَ مَنْ قَطَعُوا الحَيَاةَ نِيَاما

لَـوْلا الشُّعَاعُ العبقَرِيُّ ووَمْضُه ما رَفَّ برقٌ واسْتَهلَّ غَمَـاما

ولَما شَدَى فوق الأَرَاكِ مُرَوَّع نَهْل الشَّذَى واسْتَوْقَف الآرَامـا

ولَما تنَفَّستِ الكُرُوبُ وسَبَّلَتْ دَمْعا أَحال دَواءَهُـنَّ أُوامَـا

* * *

يَا للْحَنِين إِذا اسْتَطَال ورجَّعَتْ أَصْداءَهُ مُهَجٌ نَضَجْنَ عُرَامـا

يا لَلشَّقَاء تَضِيقُ فِي لَهْواته نَفْسٌ تُمزَّق لَوْعةً وهُيَـامـا

يا لَلجفَاء رَحِيقُهُ. شَفَةُ الدُّجَى يَرعى السُّها ويُعَانِق الأَوْهَاما

ويَطوفُ حَوْلَ الرَّوضِ يَنْشُقُ عِطْرَه لا يَسْتَبِيحَ الزَّهْرَ والأَكْمَاما

الوَصْلُ فى حِرْمانِه والقُرْبُ فى أَشْجَانِه : أُفُقٌ نَـأَى وتَـرَامى

يَاميُّ : زَلْزَلنِى النُّهى وتَرَاشَقتْ نَظَراتُه صَوْبَ الجَحِيمِ : لِمَامـا

فى الذَّائقين لَظَى جَهنَّمَ فِى غَدٍ مِنْ كَافِرين ونَا كِثينَ . ذِمَامــا

وجَهنَّمٌ يا « ميٌّ » نَازعةُ الشّوى وعَذَابُها كان الغَدَاةَ : غَرَامــا

فَعلامَ ؟ نَهْتِفُ للسَّعير ونَحْتَفِى بِحَيَاةِ مَنْ رَامُوا السَّعِيرَ : عَلَاما

هَل كَانَ مَنْ حَلُّوا الجَحِيمَ وكُبْكِبوا فِيــه جُفَاةً حَالفُوا الإِجْرَاما

ورثُوا عن الحَجر الأَصمِّ طِبَاعَه وَرَعوْا ظَلَاما . يعشقُ الظُّلَّامــا

فَعَدُوا على الإِنْسانِ فِى إِنْسَانِهم وتَجَاهَلُــوا الآمَالَ والآلامــا

أَم أَنَّهم فَقَدُوا الحنَانَ وسِـرَّه والحُبَّ فارْتكَسُوا : وَرَاءَ . أَمَامَا

فَسَعتْ إِليهمْ فى جَهنَّمَ نَارُها لِتُهَذِّبَ الأَرْواحَ والأَجْسَامــا

فالحُبُّ فى عُمْقِ الجَحِيم حَلَاوَة تَحْكِي النَّعِيمَ الدَّافِئَ البَسَّاما

ما أَخْطَأَ الفَانُونُ حِين تَلمَّسُوا نارًا تُباعدُ عَنْهُمُوا الإِجْـرَامــا

فالرُّوحُ طَار بِها الهُيام فَحلَّقت كالرِّيحِ سورتُها . تَعافُ لِجَاما

والحب بَيْن مَـدَارِه ومَسَـارِه فَوق الحَيَاةِ جَلالُه يَتَسامــى

الحبُّ خَمْر الذَّائِقين شُعَاعُه يَحْمِى النُّفُوس ويُوصِل الأَرْحَاما

الحب هَدْي العالَمِين إذا استَوَى أَلْغَى الجَحِيم وعَطَّل الآثَامَــا

الحبُّ إيمانُ المَشَاعِرِ لَم تَكُـنْ   أبدًا نِبالاً تُتَّقى وسِهَامـا

أَغلى الفِداءَ فلن تجفَ دِمَاؤُه   إلَّا لِتَضْحِيةٍ أعزُّ مَقَـامـا

صُورٌ تَمَثَّلَها الخَيَالُ مَشَاهِـدا   وَهِي الوُجُودُ أَصَالةً وتَمَامـا

الكونُ أَجْمَعُه رَضِيعُ لِبَانِها   وعَلى المَدى لا يَسْتَطِيعُ فِطَاما

فَهِيَ الحَقَائِقُ جَوْهَرا ولطَافَةً   وهِيَ الحَياةُ بِدَايةً وخِتَامـا

* * *

طعنتان

طَعَنَتْ بِنهْدَيْها العُبَابَ : فخِلْتُه نِصْفًا ونِصْفَا

وتَكسَّر الموْجُ . . المُعَرْبِدُ ذَائِبا أَمَلًا وعَطْفَا

وتَندَّتِ الأَزْهَار من خَجَلٍ تَمُدُّ يداً وكَفًّا

وتـأَلَّقَتْ فِي الضَّفَّتَيْن فأَحْدثَت فِي اليَمِّ رَجْفَا

وتَبسَّمتْ فانْهَلَّ منه غَمامَةٌ سحَّاءُ وطْفا

وبَدَا الهِلالُ التِّمُ يَسْأَل أَيْن أَلقَاهَا وَكَيْفا

وتَنَهَّدت لَهْفَى تُعَانِقُ انجما رَعْنَاءَ لَهفَى

يا لَلْمَهَا لَوْ أَنَّها كالحُورِ عاشَتْ حُسْنَها في الخُلْدِعفًّا

مَشْبُوبَةَ الجمرات ضَمَّت أَهْيَفًا عَجَبا وهَيْفَا

وتَنَسَّمَتْ أَرجَ الخَمَائِل عَابِقًا نَشْرًا ولَفَّا

بَيْضاءَ تَهْتِفُ لِلْمُنَى المَسْكُوبِ عَسْجَدُه المُصَفَّى

أَعْطافُها الدِّيبَاجُ تَقْطُرُ بَهْجَةً وتَسِيلُ لُطْفَا

فى رَفْرَفٍ خُضْرٍ حِسَان تَقْطِف الآمَال قَطْفَــا

سَكْرى بأَنْغَامِ الرَّبِيع كأَنَّمَا أَغْفَت وأَغْفى ...

رَيًّا : مِن البَسَماتِ تَعْتَصِر الغَمَامَ هَوًى وعَطْفــا

وتَجُولُ فِي ورْدِيَّةٍ حَمْرَاء تَحْسَبُها مَع الأَحْلامِ طَيْفا

لَيْتَ الغَوَانى فِي السَّدِيف هَتفْن لِلْفرْدَوْس هَتْفا

وخَطَرْن كاللَّمحَاتِ كالنَّغَمِ الشَّجِىِّ صَدًي وعَزْفَا

وسَبحْنَ كالإِلْهَامِ يَحْتَضِنُ الرُّؤى صَفًّا فَصفًّا ...

ومشَى بِهِنَّ الهَيْدَبى عُمْرٌ وقَاه الله حَتْفَــــا

لا رَنْقَ : لا سَأَمًا يُمِلُّ ولا محاذَرة وخَرْفَا ......

تِلْك الأَمَانِى الصَّافِنات جَلْوتُها للغِيدِ وَصْفَــا

* * *

أوبرا رائعة

مقدمة :

هذه القصة من واقع الحياة فى تاريخ أدبنا العربى الصميم يسرنى أن أهديها لوزارة الأعلام تحية للتليفزيون العربى السعودي متمنياً أن ينهض مسرحه الناشئُ بأمثال هذه التمثيليات النابضة العتيدة من تراثنا العربى العتيد ومجدنا الأدبى الشامخ المجيد فليس فى التمثيليات الغربية المترجمة ما يستطيع أن يقف فى السفح من هذه القمم الخالدة وليس لى من فضل إلا نظم هذه القصة كما قرأتها مروية عن كتاب مصارع العشاق صفحة ٢٤٩ وهكذا النظم منسوخا مُتصرفاً فيه بعض الشئُ .

النـــاظم

هذا الجَحِيمُ العبقريُّ سَطَا كما يَسْطـو القَـدر

ومَشَى على رَجْعِ الزَّفِيـرِ يَسُـــوقُه لِلمُنْحَـدَر

مُتَحـدِّيا بِهَـواه عَادَاتِ البَـداوَةِ فِى الحَـــذَر

والحبُّ غَـلَّابُ يدُوسُ الصَّعْبَ يَهْـزَأُ بِالخَـطَر

يَلْـقَى الأَسِنَّـة والحِـرَابَ كأنَّما يَلْـقَى المَطَر

* * *

هُــو : لَمْ يَلْق بُـــدًّا مِنْ تَلمسِ قُربِهَا عِنْدَ السَّحَـر

فى خِـــدْرِها فى نَوْمِهـا ما بَيْن أَخْوَتِها الأُخَر

هى : فَتَحتْ عَليْـه العَيْنَ فَانْهَلَعَتْ وصَاحَتْ فِى خَفَـر

ويْلك : انْصرِفْ أَو رُحْتُ أُوقِظُهُم فَتُمْسي فى الحُفَر

هــو : فَيقــولُ أُقْسِـمُ لَلَّمَحَـاتُ أَحَبُّ مِن وَخْزِ الإِبَر

فَلْتُعْطِـنى الكَفَّ الهَنِىَّ أَضُمُّهـا ضَمَّ الثَّمـر

هى : ويَجُـرُّ ثَانِيـه هَـوَاه إِلى ضَـــوْءِ القَمَـــر

هــو : لِيَقُــول هَلْ مِنْ لَحْظَــةٍ أَحْيَا بِها أَحْلى العُمر

أَدِرْ الرَّحِيــقَ ولَنْ تَريْ لِى بَعْد ذلك مِنْ أَثَر

هى : وإِذَا بِــه قَدْ حلَّ نَارًا فِى حَشَــاها تَسْتَعِـر

الحى : وإِذَا بِأَهْلِ الحَىِّ قَــد رَامُوه شَرًّا مُسْتَطَـر

وتَوعَّــدُوه فَــلَمْ تُطِـقْ صَبْرا وأَعْطَتْــه الخَبَر

وتَـأَهَّبُــوا لِلْفَتْــك فِى لَيْلاَءَ تَقْـذِفُ بِالشرر

هــو : وتـأَهَّبَ الصَّبُّ المُغَامِرُ وهْـوَ ذُو كَـرٍّ وَفَـــر

مُتَــوشِّحًا قَوْسًا وأَسْهُمُـــه ظِمَـاءٌ تَنْتَظِـــر

فِى مَكْمَنٍ مِنْ حَيِّــها والحيُّ يَقْدَحُ بالشَّرر

منظر : لَكِنَّ أَمْرًا مِن وراءِ العَقْـل دَبَّـرَه القَــدَر

بَرْقٌ وسارِية تَبُثُّ بِمـاء مُـزْنٍ مُنْهَمِـــر

طَربَتْ رُبُــوعُ الحَيِّ فَرْحَى بِالرَّبِيـع المُـزدهِر

فَلَهُــوا عن الليْثِ المحرَّم فِى الظَّلامِ المُعْتَكِر

ونسُوا ، وعيداً أَرسلوه ففاتهم دركُ الوطر

ومضى الدجى إلا الأَقل فوصوصتْ تلك الدرر

وتَقشَّعتْ قِطَــعُ السَّحَابُ عن الضِّياء المنتشِر

هى : فَتنهَّــدتْ تِلْك الحِصَــانُ تَشُـوقُها نَجْوى السَّمَر

وتَذكَّرتْ مَنْ حَــام أَلا تَدْرِيه أَوْردَ أَوْ صَــدَر

وتَخـــطَّرت تَمْشِى الهُــوينـا لِلِّــقَاء المُنْتَظَر

نَشَــرتْ غَدَائِرَها فَصَــاح العِـطْرُ وانْتَفَض الزَّهَر

هــو : ويَطِـيرُ لُبُّ الرَّاصِـد الوَلْهَـــان يَحْسِبُها « الغِيَر »

ويُسَـدِّدُ السَّهْــمَ العَقُــورَ لِمُهجَـةِ الصُّبْحِ الأَغر

لِهـواه للأَمَــلِ الحَبِيبِ لِخَافِــقٍ لمْ يَسْتَقِــر

هى : وتَخِرُّ صَرْعى لِليَدِين يَلُفُّها أَلَقٌ سَفَر

وتَضرَّجَتْ بِدَمٍ فَنَاح الشَّدْوُ وانتَحب الوَتَر

وجَرَى العَقِيقُ إلى العَقِيق وجَفَّ فى العَيْن الحَوَر

فَتَكَسَّر الدَّمْعُ الحَزِينُ ونورُ مُهْجَتِه انْكَسر

وعَوَى الصَّدَى وسَرى الدُّجَى بِحَنِين قَلْبٍ منْفَطِر

هو«١» : نَعَبَ الغُرَابُ بِما كَرِهْتُ ولا أَزَلْهُ القَدَر

تَبْكى وأَنْتَ قَتَلْتَها فاصْبِر وإلَّا فانْتَحِر

وأجال فيه نصالَه مثلَ المدي تبرى الظهر

الحى : وأَتَى العُداةُ فأَبْصَرُوا الإعْجَازَ فى لَمْح البَصَر

شَمْسٌ أَفَاضَتْ للغُرُوبِ وحَوْلها أَغْفى القَمَر

لَفُّوهُمَا فى هَالَةٍ سَطَعتْ لِأَمْر قَدْ قُدِر

العاشقان : فَاقَا على عُمْق الحَيَاةِ تَضِج فى بَطْن الحُفَر

الحى : ودَرى الجَفَاةْ بِأَنَّ سِرَّ الحُبِّ مِنْ سِرِّ القَدَر

* * *

هِىَ قِصَّـــةٌ عربيـــةٌ مِنْ غَابِرٍ لَمْ يَنْــــدَثِر

مِنْ واقِــعٍ جَــمٌّ الرَّوائِــع قَــدْ شأت أَعْلَى الصَّور

لــو مُثِّلَتْ لَسَمَتْ عَلى كُلِّ التَّرَاجُمِ والسِّيَر

« أوبْرَا » تَفُــوقُ مُتَرْجَمَــاتِ الغَرْب إلَّا مَا نَدَر

يَا ليْتَــها لِلمَسْــرح العَــرَبِيِّ فاتِحَةُ السُّــوَر

* * *

---

(١) البيتان من نظم العاشق صاحب القصة

قطوف وألوان

ورَشْفَةٌ مِنْ لَهِيبِ الوَجْدِ تُشْبِهُه ... كأَنَّها الوَجْدُ أَخَّاذًا وعَطَّاءَ

فإِنْ جَهنَّم حَاكَتْه لَظًى وجَوًى ... فَقدْ أَخذْنَا عَليه : سَرَّ أَوْسَاء

قَالُوا هِي الدَّاءُ أَعْيَا الطِّبَّ لا حَذَرٌ ... يَقِي الهُيَامى ولَوْ كَانُوا أَطِبَّاء

وإِنَّها السِّحْرُ لا تُبْدي بَواطِنَه ... إلا مَلامِحَ تَحْكي الوَمْضَ إِيمَاء

فَقُلتُ كَم مِنْ دَواءٍ قَدْ طَوَى عِلَلًا ... والدَّاءُ إن رُضْتَه : لَمْ تُلْفِه دَاء

* * *

جامعى يتوسل

وَجاءَ يُثْقِلُهُ عِبْءٌ يَنُوءُ بِه ... مِنْ صَحْنِ جَامِعَةٍ غَنَّاءَ لَغَّاء

وفِيه مَا فِيه هَمْسٌ لا يُكَفْكِفُه ... إِلَّا أَسًى لَفَّ فِى عِطْفَيْه أَشْيَاء

تَلقَّفَتْه رُؤُومٌ فِى جَوانِحِها ... أَمَالُ راجيةٍ كالطَّيْفِ « حَنَّاء »

فَقال يَا أُمِّ هَيَّا أَسْرِعي قُدُماً ... صَوْبَ الَّتى حذِقَتْ أَسْرَارَ حَوَّاء

واستَعْبَرت : أَهوَى ما زِلْتَ تَعْلِكُه ... ونَحن خَلْفَك فى عَشْواءَ لَخْياء

نَغَصُّ بِالمَاءِ نَسْتَحْــلِى غَصَاصَتَه ... وكَمْ أَسِفْنَا عَلى رَجْوَاك : لَأْوَاء

فَكَيْف نَعْتَاضُ عَنْ عَلْيَاءَ بَاسِمَةٍ ... بِبَارِق اللَّهْو فى أَعْطَافِ غَيْداء

أَهكَذا أَنْتَ تَقْضِي العُمْرَ فى عَبَثٍ ... أَهكَذا أَنْتَ روَّاحًا وغَــدَّاء

وهَبَّ يَصْرُخُ يا أُمَّاه ما دَرِيَتْ ... بِالحُبِّ نَفْسي فِيمَن رَاحَ أَوْ جَاء

ولَمْ يُداعِبْ جُفُونى قَطُّ فِى حِلْم ... فالحُبُّ كالْمَوْتِ يَعْتَــامُ الأَعِزَّاءَ

لَكِنَّ تِلْكَ التى قَدْ رُحْتُ أَسْبِقُها ... إِلَيْكِ بالوَصْفِ مَعْنى يُشْبهُ الماء

فإِنَّها حَرَمُ «الدُّكْتُور» فِى يَدِها ... إِنْقَاذُ أَلْفِ فَتًى بالعِبءِ قَدْ ناءَ

يا أُمّ لوْ أَنْتِ قد أَبْصَرْتِ مَوقِفَه ... فى المَدْرجِ الرَّحْبِ مِثْل اللَّيْثِ عَدَّاء

وكالخِضَمِّ على أَمواجِه ثَبَجٌ ... يُغْرِي بِجَوْهَرِه المَكْنُــونِ إِغْرَاءَ

لكِنَّهُ مِثْلُ أَهْلِ الله تَنْقُــله ... حَالٌ : لِحَالٍ وضَرَّاءُ : لِسَرَّاء

فإِن تَبَسَّم قُلنا اللهُ شَاءَ لَنــا ... خَيْــراً وإِلَّا فإِنَّ اللهَ مَا شَاء

والسِّرُّ فى اللَّحْظَةِ الأُولَى لِمَقْدَمِه ... فإِنْ مُطِرْنا : بِنَوْءٍ : كَان جَوْزَاء

فَيَحْمِيَ دَارَها لَيْلا فإِنَّ غَــدًا ... مِيعَادُنَا مَعَــه لَوْرَقَّ أَنْــداء

تَلطَّفِى مَعَها فى القَوْل وابْتَدِري ... لَها الرَّجاءَ فَما قَارفْتِ نَكْراء

ما نَبْتغِي أبدًا مِنها وسَاطَتَها ولا شَفَاعَتَها حَتَّى ولَوْ رأي ....

وكُلُّ ما نَرْتَجيه أن تَكُونَ بِه رَفِيقَةً لِيَرى الأَشْياءَ أَشْيَاءَ

وأَنْ يُغَادِرَ بَيْتَ العِزِّ مُؤْتَلِقًا فِي طَلْعَةٍ بالرِّضا والأُنْسِ قَمَراء

فَأيُّ عكْنَنَة فى البيْت تُزْعِجُه تَذِيقُنا لَيْلَةً تَعْسَاءَ غَمَّاء

ويَا لهَا سَاعَةً للبَخْسِ لَوْ صَحِبَت تَمْزيقَ أَرْواحِنا : أَشْلَاءَ : أَشْلَاء

وإِنَّ أَرْوَاحَنا الأَوراق فِي يَدِها وإِنَّ تَصْحِيحَها : تَجْرِيعُنَا : الدَّاء

واسْتَضحكَتْ أمه واستَذْكرت نِقَمًا جَرَى بِها الشُّوْمُ أَخْبَاراً وأَنْبَاء

ولَفَّعَتْ نَفْسَها تَلْفِيعَةً عَجَبا واسْتَجْمَعتْ وهْنَها : تَنْجَرُّ : إعياء

قاضيـــة

شاهَدْتُها فَوق كُرسى الحُكْمِ واجِمَةً فأَلْمَحُ القُرْطَ كالغِيرَانِ شَكَّاء

قولي : أُذْنِى كمْ : حَمَّلْتُهَا رَهَقا كَانَتْ لِهَمْسِ الهَوَى يَنْسابُ : دَعَّاء

قُولى لَهُ يَنْسَحب عَنْ مَوْطِن قَلَق إِلَّا على القُرْط إِشْرَاقًا ولَأْلَاء

واسْتَضْحَكَ القَلْبُ مِنْ أَعماقِه وبَكَى على النُّهى خَافِقٌ مَا زَالَ بكَّاء

فَشمتُ «أَنثى» اسْتَراحَتْ فى أُنُوثَتِها تُطَارِدُ الوَهْمَ هَـدَّاما وبَنَّاء

ولوَّحَتْ باليَراع الحُلْوِ مُنْسَرِحا عَلى المَشَاعِر إرْوَاءً وإظْمَاء

تَقُول حَسْبِى آفَاقًا أَصُول بِهَا عَلى العَواطِف إقْصَاءً وإدْنَـاء

وحَسْبِيَ المَجْدُ فى حُسْنٍ أَدِيرُ به أَعْتَى الرُّؤوسِ وأُمْلِي الحُكْمَ أَمْلاء

العائدة

قالتْ إليْكَ فإنَّنِى ظَمْأَى لِأَيَّامي لَدَيْك

أَيَّامَ تَبْسُمُ لِى الحَيَاةُ فَأَسْتَرِيحُ رِضًا إليْك

وأَعُبُّ مِنْ أَلَقٍ تَهَلَّلَ بَاسِمًا فِى نَاظِريْك

أَنْسى العَذَابَ بلَحْظَةٍ فِيهَا أُوَسَّدُ سَاعِدَيْك

وهَوَى الحَنَانِ أَحُسُّه أَمَلًا تَرَقْرَقَ فِى يَدَيْك

وأَلَذُّه وهْمَ الدَّلالِ بأَنَّه حَقٌّ علَيْك

* * *

وأُحِبُّ أَمْرَكَ إذْ أَثُورُ وأَنْتَ تَحْلُمُ رَاضِيا

فَتَهُزُّ فِىَّ بِمَا تُكِنُّ مِن الوِدَادِ وِدَادِيا

لِتَقُولَ إنَّكَ قَدْ أَسَأْتَ وما خُلِقْتَ مُآسِيا

وتَغُضُّ طَرْفَكَ حَانِيًا وتَرُدُّ دَمْعَكَ بَاكِيا

واليَوْمَ شَطَّ بِكَ المَزَارُ فَضَاقَ بَعْدَكَ حَالِيا

عُلِّـمْتُ أَنِّى لَـنْ أَرَى ﻓِﻰ الأُفْـقِ نَجْمًا صَاحِيَا

أَأَقُــولُ عُـدْ بِى لِلحَيَــاةِ فَمـا عَهِـدْتُك قَاسِيا

حَـتَّى جَفَـــاكَ فإِنَّه أَضْـحَى لَـدَيَّ أَمَانِيا

* * *

فأَجبْتُــها كالأَمْسِ واهِمَـــةٌ ؟ فُعُـودِي ثَانِيــا

بِأَبِيـكِ بِالحُـبِّ العَظِيـم تَرفَّـــقِي بِحَيَـاتِيـنا

• • •

المتشائمة

قَالتْ غَرِيبٌ أَنْ أَرَاكَ اليَوْمَ تَسْبِق مَـوْعِـدَكْ

مُتَخَفِّفا مِن كُلِّ قَيْدٍ « بالمَوَاجب » قَيَّـــدَك

مَاذا ؟ أَمَسَّك مِنْ دَبِيبِ الشَّك سَهْـمٌ أَقْصَـدك

أَمْ طَافَ حَوْلَك طائِفٌ للبَيْنِ هَاجَ تَوجُّـــدك

إنْ غَالَ يومَكَ طَارِقٌ فاسْتَبْـقِ للنُّعْمَى غَـدَك

هِي زَوْرة غَاظَت عِدَايَ ولَـمْ تُوفِّرْ : حُسَّـــدَك

* * *

ومَضَتْ لحُجْرتِها وغَابَت فاسْتَطْلَعَتْ غُيَّـابَها

وعَجِبْتُ هَل للعِطْر راحَتْ . كَيْفَ أَطْرُقُ بَابَهـا

قَدْ كُنْت إنْ مَرَّتَ دَقائِقُ أَستَحِـثُّ إِيَابَهـا

فَتَعُودُ بِالأَرجِ الَّذِي فَاقَتْ بِـه أَتـرَابَهـا

عِطْرٌ تَـدِلُّ بِه إِذَا خَطَرتْ تُغِيـرُ صِحَـابَهـا

نَضَحَتْ بِه أَلِقَ الشَّبَاب مَلامِحَا وَمَشَابهـــا

لمْ تَدْرِ أَن شَذى الرَّبِيع على الخَمِيـلِ وَشَى بِها

* * *

وسَمِعْتُ عَنْ كَثب أَنِينًا شَفَّ عَنْه نَحِيبُهـــا

ودَلِفْتُ أَسْتَوْحِي النَّحِيبَ طَغَى عَليْه وَجِيبُهـا

فَلمحْتُهــا سَكْــرى تَورَّدَ فِي الخُـدُود لَهِيبُها

وغَمَامَةٌ وطْفَاءُ نَضَّرَ حُسْنَهــا : شُؤْبُوبُهـــا

* * *

وَسَهِرْت أَسْتَجْدِي المَلِيحَـةَ سِـرَّها وسِرَارَهَا

وسأَلْت لَـيْتِي ما سأَلْتُ ومَا ابْتَدَرْتُ بِدَارَها

فـكأَنَّنِي بِيَدي أَمَطْتُ لِثَامَهــا وخِمَارَهَــا

وأَخَـذْتُ أُلْحَفُ بِالسُّؤَال فَهيَّـجَ استِعْبَارَهــا

وتَصَبَّبَتْ عَرَقًــا فَرَقْرَقَ كالأَصِيلُ نُضـارَهــا

وتَمَاوجَتْ فِي الشَّعْرِ خَصَلاتٌ تَحُـلُّ ضِفَارَها

وتَراجَعَتْ حَيْرى تُحَـدِّثُ نَفْسَهـا أَخْبارَهـا

* * *

وتَصِيح عِطْرِي قُلْتُ ما لِلعِطْر أَنْـتِ عَبِيـرُه

وتـأَوَّهَتْ أَنَّى . . . فَقَدْتُ العِطْرَ : عَزَّ نَظِيـره

كُنْت الضَّنِينَ بِهِ فَلسْتُ لِمَنْ يَكُونُ أُعِيـرُه

ورَكضْتُ أَعْبِق كَيْ يَطِيبَ شَذَي اللِّقاءَ وَنَـوْرُهُ

وقَارُورَتِي[1] الخَضْراءُ سِرٌّ وِدَادِنَـا وَضَمِيـرُه

وقعتْ فَطَارَ . . . العِطْرُ طَارَ قَلِيلُـه وكَثِيرُهُ

هِيَ مِثْلُ نَفْسى إِنَّها ذِكرَى الهَوى وشُعُـورُه

هِيَ أَنْتَ فى المَعْنى الـكَبِير : حَفِيّه وأَثِيـرُه

أَصْفَى مِن الرَّاح . . . . المُصَفَّى عَذَبُه ونميرُهُ

خَمْرٌ يَمُوجُ بِعِطْرِهِ كأْسٌ عَلَيْـك أَديـرُه

أَفَلا أَخَاف ؟ أَلا يَحِق لِي الأَسَـى وزَفِيـره

والوَهْم مِنْ شِيَمِ المُحِبِّ إِذَا جَفَـاه سُـرُورُه

* * *

(١) الواو هنا زائدة تكسر وزن البيت : فالواجب كما أرى حذفها (المحقق)

فأَجَبْتُ أَنْتِ العِطْرُ أَنْتِ شَذَاه بَــلْ إكْسِيــرُه

أَنْتِ الوَفَاءُ جَمَالُه وسَنَاؤُه وحُبُوره . . . . . .

أَنْــتِ الرَّجَــاءُ تَشَعْشعتْ آفَاقُــه وبُـــدُورُه

بِهَواكِ ما أَهْرَقْتِ مِنْ عِطْــرٍ فَدَتْكِ بُخُــورُه

قَــد جِئْتِ بالمَثَلِ الــكَرِيم يَرُوعُنَا تَصْوِيرُه

وجَلَوْتِ حَوَّاءَ . . . . الزَّمَان يُجِيرُها وتُجِيــرُه

وبَدَوْتِ عُنْوَانَ الــكِتَاب جَنتْ عَلَيْه سُطُــورُه

وطَلَعْتِ كالأَمَــل النَّضِير فَمَا يَجِف نَضِيــرُه

وشَدَتْ بِحُسنكِ إِذْ تُغَرِّد فِي الخَمِيــلِ طُيُــوره

وحَــكَاكِ فى الأَلَــق النَّدِيِّ دِمَقْسُــهُ وَحَرِيــره

* * *

فَدَعِى التَّشَاؤُمَ جانِبًا فَاليُمْنُ أَنْــتِ بَشِيــرُه

حَــوَّاءُ إِنْ عَبَقَتْ بِعِطْرِك : فالخلودُ مَصِيــره

فالْحُسْنُ أَنْتِ كِيَانُــه ولِيَــاذُه وَمصِيــرُه

قَالُــوا الغُرُورُ الأُنْثَــوِيُّ أَجَبْتُ بَــلْ وغُــرُورُه

لوْ كَان يُعْطِيهــا الَّذي تَرْجُــوهُ دَامَ حُبُــورُه

ولَطَابَ فِي كَنَفِ . . . الحَيَاةِ رواحُه وبُــكُوره

والحبُّ يُعْطِي القلبَ خفقا : ما أُذيعَ كُفُــوره

يَجْفُو الحَيَاةَ على المَدَى مَنْ لَمْ يُطِقْه : عَشِيرُه

* * *

صــــــورة

يا أَجْمَل الغِيدَ حُلَّــهْ وأَحْسَنَ البِيضَ « لِمَّــه »
كالفَيْءِ حَـرَّك ظِلَّـــه فى الأَثْل نَجْـم ونَجْمـه
قَــدْ حَامَ يُطْفِئُ غُلـــه مِـــن الشُّعَــاعِ بلَثْمـه
فَهَـابَــهُ وأَجَلَّــه . . . . . وبالذِّرَاعَيْــن ضَمَّـــه

* * *

مَــنِ الشِّفَا ؟ قال « يَالَهْ » فِي بُحَّــةٍ ذَات نَغْمَـــة
ما شُفْت : فى الحَيِّ مثلَـــه كَـظَبْيَةٍ عِنْــد قِمَّـــة
كالزَّهْــر يَرْشُــف طَلَّـــه كَالْبَدر شَارَف تِمَّـــــه

* * *

سَاءَلْتُ مَنْ رَامَ وصْلَـــهْ قَالُــوا نَصِيبٌ وقِسْمَـــةْ
ما ضَرَّ لَوْ حَـامَ حَوْلَــهْ راعــى وفَــاءٍ وذِمَّـــةْ
فَخفَّ يُسْنِــد رِجْلَـــهْ شيْــخُ لَه نِصْفُ عِمَّـــةْ

وجَـرَّ سَيْفًـا وسَلَّــــهْ   فَـكِـدْتُ أَشْـرَبُ دَمَّـه ..

والرِّيـم فى ظِـلٍّ نَخْلَـةْ   يَـرْعـى الخُـزَامى وأُمـهْ

وصَـاح بِى الشَّيْـخ خلـه   « فَتَى » حَـوَايـا « ونجمه »[1]

وَسَـلْ أَهْلِـي وأَهْلَــــه   فَلَيْس فِـى الأَمْـرِ حُرْمَـة

أَتَّـى مِـنَ الأَمْـر حِلَّـه   عَمِّـى تَلاقَـى وَعَمَّــــه

والمِثْـلُ يَخطـب مِثْلَــه   وَنَـوَّرَتْ مِنْـه بَسْمَــهْ

فَصِحْـتُ ذَا الْحِين : أَحْلَى   قَالَـتْ مِـن الغَدِ . ثَمَّـة

* * *

(١) أسماء أمكنة بالطائف وضواحيها

كفكف دموعك

هَبْنِي الحياةَ وخُذْهَا أَحَسُّ فِيها حَيَاتَك
وتَلْمَسُ الرُّوحَ مَعْنَى يَغِيظُ مِنْكَ عُداتكْ
فَطَالَما لوَّعُوني بِأَنَّ حُبَّكَ وهْم
وَلَيْسَ روْحًا لِرَوْح

• • •

فَاهْزُزْ عليهم قَنَاتَك وكُنْ صَلِيبًا عَنيدا
ولا تَبُثَّ شَكَاتَك . . . . لِمَن يَرَي الخُلْفَ عِيدا
هَبِ الأَعادِي روانك فالحُبُّ عَذْلٌ ولَوْم
فَدَتْكَ نَفْسِي ورُوحِي

• • •

دَعْهُم وكَفْكِف دُمُوعَك ما بَيْن عَيْنِي وحِسِّي
فأَنْتَ أَغْلَى حَبِيبٍ وأَنْتَ تَوْأَمُ نَفْسِي ...

• • •

سَعـادَتِي فـى هَنَـائِـك والظُّلم شَهْـدٌ وظَلْـمُ

يَا بَلْسَمًا لِجُرُوحِي

* * *

الحـبُّ أَغْـلَى الفِـدَاء والحـبُّ أَسْمَـى العطـاءِ

فـى نَظْـرة كَـالـرَّجَـاء فـى فَـرْحَـةٍ باللِّقَـاءْ

السُّقْـم فِيـه دَوَاء . . . . والـبُرْءُ عِنْـدِيَ سُقْـم

صَحِيحة كَالجَرِيح

وكَـمْ سَعِـدْتُ بِبُعْـدِ وكَـمْ شَقِيـتُ بِقُـرْب

إنِي كَظِلِّك وهـمٌ فالصَّحْـوُ فِي الحُبِّ غَيْـمُ

* * *

رشح العناقيد

نُورُكِ العَذْبُ كَالهُدى المُطْمَئِن سِحْرَيٌّ الأَنْدَاء حُلْوٍ أَغَــنّ
تتَحَرَّاهُ فى السَّحائِبِ آهاتُ حَيَاري فَتستَهِـل بِمُــــزْن
ويَرُشُّ الضُّحَى على الأَلـقِ الصَّاحِي عَقِيقًا مُطَرَّزًا بِلُجَيْــن
فى التَّسابِيحِ فى الأَمَان . . . السَّخِيَّات دَوَانِي القُطُوف للمُتمَنِّي
يا بِلَادِيَ وانَتِ رَشْحُ ... العَنَاقِيدِ ونَفْحُ الشَّذَى وقُرَّةُ عَيْن
شَعْشع الخُلْدُ فِي صِبَاحِ التَّرانِيم فَعَادَتْ رُباكِ جَنَّـاتِ عَدْن
فالصَّحارِي البَيْضَاءُ فِيكِ ابْتِهال . . سُنْدُسِيٌّ كأَنَّه نَسْجُ لَحْن
واليَوَاقِيتُ فى فَمِ الفَجْر تَنْسَابُ أَنْسَامُها كأَنَّها ظِلُّ جِفْنِ
والمَعَانى بِرَقْصة الأَمَلِ البَاسِمِ فى مَوْكِبِ الحَيَاةِ تُغَنِّـــى
يا سَقَا الله فى رِحَاب القَدَاسَاتِ طُيوفًا مِن الهَوي المُسْتَكِنِ
يا رعَى الله فى الدمُوع الكَرِيمات مَصَابِيحَ مِنْ جَمَالٍ وفَــنّ
وادِيًا أَشْرَقَتْ عليـه النُّبُوَّاتُ فكَانَتْ أَبْهى غَلَائِل حُسْــن
فإِذَا لَاح فِي الرُّؤَي غيرُ ذِي زَرْعٍ فَقَدْ عَاش فى ظِلَالٍ وأَمْن
وطَنِي إِنَّها القُلوبُ حَوَالَيْك فَدَعْنِي أُقَبِّلِ الأَرْض دَعْـنى
إِنَّ فى هالَةِ الجَلَالِ جَمَالاً أَنَا أَخْشَى عَليه وَهْمِي وظَــنِّي

• • •

قلب الحب

جاءَتْهُ يُثْقِلُهَا هَمٌّ تَنُوءُ بِـه   حَيْرَى تُمزِّقُها أَطْيَافُها السُّود
العِيُّ يُلْجِمُها والرُّعْبُ يُفْزِعُها   والصومُ يَبْرُقُ فى أَحْشَائِه العيد
قَالت لكَ الْعُذْرُ آثامى لَقدْسَبَقَتْ   إلَيْك طَارَتْ بِها الآفاق والبِيد
ولَسْتُ تِلكالتى قَدْ كُنْتَ تَحسَبُها   مِنَ المَلَائِك تَرْعَى ظِلَّها الغِيد
فأَرْسلِ القَلْبَ فى لَأْلاءِ أَدْمُعِه   وفِى شِكَاةِ الهَوَى بالحُبِّ تَضْمِيد
كأَنَّ إشفَاقَها تَعْوِيذَةٌ حَصَبَتْ   بِهَا العَواذِلَ لَا عَادُوا ولَا عُودوا
قلتُ أَنْتِ التى أَسْعَى لرُؤْيَتِها   وأَنْتِ فى نَسَماتِ الفَجْر تَغْرِيد
ظَنَنْتُ سُوءًا بِنَفْسينا وما اعْتَلَجَت   فِيك الخَوَاطِر إلَّا وَهْيَ تَنْهِيد
فَوْق الْمَشَاجب مَعْنًى لا تُمَثِّلُه   إِلَّا سَجَاياكِ تَحْكِيها العَنَاقِيـد
والوَهْمُ مُذْ كَان قَتَّالٌ وأَيْسَرُه   وَهْن تَحَرَّاه شَيْطَانٌ وعِرْبِيـد
والحُبُّ أَصْونُهُ أَشْقَاهُ شَنْشَنَـةً   قَبْلِي وقَبْلك عَانَاها المَعَامِيـد
والحُسْنُ لم يجنِ لكنَّ الجُنَاةَ عَلى   طُولِ الطَّرِيق هُمُوا أَطْيافُه السُّود

قَدْ يَجْبُن الحُسْنُ يَالَيلى على ثِقَة | إذَا تَرنَّح فى المِضْمَار رِعْدِيد

وذَاكَ شأْنُك ماأَسْمَاه فاصْطَبِري | الذئبُ يُطْرَد لَكِنْ يُكْرَم الصِّيدُ

والحبُّ يعْتَقِل الآثامَ طَائِعَة | إذا تـألّق فى مَغْنَاه صِنْـدِيد

و كلٌّ جَارِحَةٍ فيه وَجانِحَة | رجْعٌ مِن المَلإِ الأَعْلى وتَرْدِيد

الرُّوحُ تَخْفِقُ فى أَعْلى ذَوَابَتِه | والقَلْبُ أَلْحَانُه تِلك الأَغارِيد

الله فى القلب يالَيْلى فمااصْطَفَقَتْ | إلّا عَلى مَوْجَهِ الحُلْوِ الأَنَاشِيد

خُذي بِه أَوْ دَعِي فالْكَوْنُ آيتُه | والحبُّ غَايتُه والشِّعْر غِـرِّيـد

مافِي الهُيُولي وإن جَلَّتْ سِوَي شَبَحٍ | وَلوْ تـأَوَّدَ غصن وازْدَهَى جِيـد

* * *

الفلة البيضاء

وإشْعَاعَةٍ خِلْتُها فُلَّةً تَخَلَّتِ المَفْرِقَ الزَّاهِيا

فإنْ بَسَم الثَّغْرُ عَنْ مَاسَةٍ أَطلَّتْ تَقُولُ ابْتَسِم ثانِيا

فإنّى مِنَ الفجْر لَمَّا بَدَي هَربْتُ أُلمْلِمُ أذْيَالِيَا

فأَصْبَحْت طُرَّةَ هَذَا الجَبِين وأَلْبَسْتُه تَاجِىَ الغَالِيا

فَيَا مَازِجًا بالسَّنَاءِ السَّنَا وهَبْتَ الشَّذَى غَالِيًا عَالِيا

صدقت

صَدقتِ ومَنْ يَجْرُؤْ على غَيْر نَفْسِه تَضِقْ بِمُنَاهُ نَفْسُها وهْيَ نَفْسُه

رَجَوْتُك كالراجِي نداك وإنَّى ثَرِيٌّ بِمَعْنى فِيكِ كُنْت أُحِسُّه

وما زِلْت لَوْلا أنَّ للوَهْم خطْرَةً يَدُورُ لَهَا قَلْبُ المُحِبِّ ورَأْسُه

وتَشْأَرُ للحِسِّ الخَفِيِّ جَوَانِحٌ يَضِجُّ لَهَا يَومُ الوِدَادِ وأَمْسُه

فما كُلُّ غَرْسٍ فى المَوارِدِ نَاضِرٌ ولا كُلُّ ظَامٍ جَفَّ فِي الرَّوْضِ غَرْسُه

جان سارتر والجائزة العالمية

يَقُولُون عَنْ « سَارْترٍ » إنَّه تَـأَبَّى عَفَافًا عَنِ الجَـائِـــزَة

لِئلا يُقَيِّدَ لَحْنُ العَطَاءِ مَقَاطِعَ أَوْتَارِه البَـــــارِزَة

فَيُحْـرَمَ شَمْخَتَهُ الرَّاكِـزة ويَفْقِـدَ هَبَّتَـه الحَـافِـزَة

ومَا النقصُ إلا ادِّعَاءُ الكَمَالِ ونَشْوَةُ خَمْرٍ مَن الرَّاهِـــزة

ومَنْ تَوّجُوه بِتَاجِ التمامِ تَغَلَّـفَ بِالقُـدْرَةِ العَاجِـــزة

• • •

لمن تغنين ؟

مهداة إلى كوكب الشرق ـ السيدة أم كلثوم

لِمَن تُغَنِّين ؟ للوَرْقَاءِقَدْخَفَضتْ إلَيْكِ أَجْنِحَةً . لم تَنْخفِضْ أَبَدا

مدَّتْ إليكِ «لهاة» عسْجدًا عَزَفتْ لها الطَّبِيعة : لكِنْ لم تَمُدَّ : يَدا

واللَّحنُ يَسْتَلهم الأَلْحَانَ شَنْشنةً بِها عَرفْناكِ : إلْهَاما : ونَفْحَ:نَدى

أَلْهَبْتِ فوق المَدَى كفًّا وحَنْجَرةً وهِجْتِ فَوق المدَى:صدَّاحه: غَرِدا

فما غَفَا فوق أَقْطارِ السَّماءِ هَوًى عَاطيته : مِنْك مالم تُعْطِه : أَحَدا

رُوحًا : مقطَّرةً فى الخُلد ماحِيةً شَرَّ النفوسِ : الذي ما كَلَّ ماهَمَدا

جاءَتْ لِغَسل جِراحٍ بَات يَلعَقُها مُرَزَّأُ القلبِ ضَاع الْعُمْرُ مِنهسُدَى

جَارَتْ عليه الليالى فى ضَرَاوَتِها مَابَيْن ذِئْبٍ عَوى أَوحَاقِدٍ حَقَدا

قد صُنْتِ إيمانَه لَوْلاكِ مابَقِيتْ مَدامِعٌ فيه تَنْعى هَوْلَ ما فَقَدا

لِمَنْ تُغنِّين ؟ للأَفلاك جاذَبها … سِرٌّ على شَفَتيْك الحُلْوَتيْن بَدا

ومَا اسْتَحتْ مِنْكِ أنالحبَمُنْطَلقٌ … ما حَدّه أُفُقٌ ما ضَاق فِيه مَدى

لقَد عجبْتُ لها حتى كَوا كِبَها … تَنَافستْ فى الهوى لمتَسْترح أبَدا

كأَنها مِثْلُنا فىالأَرض مَاسَلِمَت … مِنْ لَوْعَةٍ مِن شِكَاةٍ تَبْعثُ الحَرَدا

وعاذِل بينها يَنْدَسٌّ : يخْطفُه … بَرْق ويَنْقِمُ منه رَاصِدُ رَصَدا

ماذَا نَقُول إذَن نَحْن الذين هُنا … على الأَدِيم نُعانى الغَدْرَ والحَسَدا

والحبٌّ والليلُ فىأَهْل الهَوىعُقَدٌ … سِحْرِيَّة والجوى قد أَحْكَم العُقَدا

معَارِكُ من خيالٍ نَسْجُها حُـرَقٌ … وحرْبُها السِّلم والنُّعْمى شَجًىورَدَي

غِذَاؤُها لَهَبٌ لا يَنْطَفِى ورُوًى … مَحْمومةٌ وَمعَانٍ كلُّهُن : فَدى

نَفثْتِ فى عُقد مِنْها وفى كُربٍ … مَوْصولة لم تَزَل آياتُها جُدَدا

تـأَرَّقَتْ أَعْيُنٌ سَكْرى وأَفْئِـدةٌ … وطَيْفُهاهل دَرَى هل ذَاقَ هلسَهِدا

لِمن تُغَنِّين : للجَافِى.وصوْلَته … تَشُدُّ فى عُنُق مَلْـوِيَّةٍ : مَسَدا

ويَسْتَفِيقُ على الأَنْفاسِ أَحْرقَها … ما أَحْرَق القلبَ :أَوْمَا فتَّتَ الكَبِدا

ويَنْتَشِى وهَزِيمُ الرَّعْد مُنْصَعِقٌ … كأَنَّرجْع هَزَارٍ : فى الخَمِيل: شَدا

والمُدْنَفون حَيَاري فِيكِ آهَتُهم … ومِنكِ أَنَّتُهم لا يأْملون : غَدا

صَحوْتِ فى صَحْوِهم والناعِمُون غَفَوْا ... مِلْءَ الجُفُون : وحتى لَيْلَهم : رَقَدُوا

تَمثَّـلوا فِيكِ أَطْيافًا مُجَنَّحـةً ... تَمثَّلوا فِيك رُوحًا تكرهُ الجَسَدا

وهَزَّ لَحنُكِ مِنْهم كُلَّ جارِحةٍ ... فَما تَرى عينُها : أُمًّا ولا ولَدَا

لَوْلاكِ ما حَثْحَثَ السَّارِي مطِيَّتَه ... إلى الحَبِيب : وعَاف الأَهلَ والبَلَدا

والحبُّ : يَانَبْعَه الدَّافي ومَشْرُعه ... صَفْوُ الحَيَاةِ : وهَل غَيْرُ الصَّفاءِ هُدى

* * *

لِمَنْ تُغنِّين ؟ للذكْرَي مُعطَّرةً ... للأُمْسِيات : لِحَادٍ فى السَّماءِ : حَدى

لِظاعِنٍ ما رأى فى الكونِ أُمْنِيةً ... أَحْلى عليه مِنَ اللُّقْيا : لِمَن بَعُدا

لِفَاقِدٍ : وجَد الدنيا وبَهْجَتَها ... إلَّا هَواهُ ـ أَيَحْكى : فَاقدًا : وَجَدا

* * *

لِمن تُغنِّين ؟ هل للشمسِ عَانَقَها ... ضِيَاؤُها ـ فَوْق بَحْرٍ خَضْخَض الزَّبَدا

أَمْ لِلهَزِيع وقدْ خَفَّتْ كَواكِبُه ... مُنِيرةً ـ لم تطِقْ صَبْرا ـ ولا جَلَدا

تَلَفَّتَتْ لِتَرَى فى الأُفْقِ مبْتَهِلا ... لِحُسْنِها ـ عَابِدا ـ ما غَيْرَها : عَبَدا

آليتُ ما أَنْتِ إلا لحنُ وافدةٍ ... من السماءِ : تُغنِّى : الواحدَ : الأَحَدا

ما الكونُ ما سِرُّه ما طِيبُ بَهْجَتِه ... إنْ لَم يَذُب حُرُقًا : إن لم يَمُتْ كَمَدا

لَوْ لَمْ تكونى له دُنْيا مُوَحَّدة   أَقْسَمْتُ ما عَاشَ دُنْياه : ولا: اتَّحدا

* * *

لقَدْ شهِدتكِ فى المِحْراب ماثِلَةً   فِيك البَتُول وما رَاءٍ : كَمَنْ شَهِدا

وحَوْلك الأَكْبُدُ اللَّهْفَى مُرَنَّحَةً   تَسْتَنْزِلُ الغَيْثَ : أَو تَسْتَقْبِلُ المَدَدا

وفِى المآقى وَمِيضٌ طَالمَا احْتَبَست   فِيه اللآلىءُ ـ ما أَغْفَى ولا ابتردا

ومَا بَخِلتِ عليها أُمَّةٌ هَرَعَتْ   إِليكِ تَسْقِينَها نَخْبَ الضُّحى: رَأَدا

وتَسْكُبِينَ الهوى سَكْبًا مُعَتقَــةً   فِيه : الشُّمولُ فَلا غَوْلًا : ولاصَرَدا

أَشرقْتِ كالبَدْرِ فِيهمْ بَيْنما لَمحُوا   فى هالةِ الحُسن: بَدْرا:يُرهِب الأَسَدا

ومَيْلةٍ فى اعْتِدَالٍ ـ ما تُزَحْزِحُها   عن مَوْقِف العَزِّلا دلاًّ : ولا : أَوَدَا

تُثْنِينَ فى خَفَرٍ غَالٍ عَلى حَذَر   جِيدًا نَثَرْتِ على لَبَّاتِه : غَيَدَا

يَا مَنْ:قَسَوْتِ على المِنْدِيل فاشْتَعَلت   أَطْيابه مِن شَذَى : مَا ملَّ مِنكِ يَدا

إِنِّى لأَحْسبُ فى المِنْدِيلِ مُعْجِزَةً   مِنَ السَّماءِ. فَلوْ أَطْلقْتِه : لَشَدى

* * *

لَقدْ أعدْتِ لنَا مجْدَ العَقيق عَلى ... أيَّامِه حِين طَابَتْ بالمُنى : رَغَدا

و «للْقَرِيضِ» على أَجْوائِه أَلَقٌ ... و«مَعْبَدٌ»قَد تَخَطَّى الكونَ:رَجْعَ صَدَى

صِنْوانِ ـماطَوتْ الأَحقَابُ مَجْدَهُما ... فى يَثْرِبٍ :مِن بِلَادِ المُصْطَفى:أَبَدا

كانَتْ لهم فى العَقيق الحُلْو أَلْوِيةٌ ... مَعقُودَةٌ حَمَلت مَجْد الهَوي : أَمَدَا

وأَطْلَعتْ فى سماءِ الفَنِّ خَالِدة ... مِنَ الكواكبِ :مَنْ يُحصى لها:عَدَدا

تـأَلَّقتْ فى ضِفافِ النِّيل وازْدَهَرت ... على«الفُرَاتَيْن»حتى جَاوَزَت(بَرَدى)

وما أَمُنٌّ على مصرَ ـ فما جَحَدَتْ ... فَضْلَ الحجازِ . ولكن غَيرها جَحَدا

وما أَمُنَّ فَقَدْ ردَّت جَمَائِله ... بالأَطْيَبَيْن : ثِمارَ الوَعْيِ والرَّشَدا

فَمرْحباً بالهوى بالفنِّ يَنْقُلنـا ... للمَشْرعِ العَذْبِ لم يَنْضُبْ وما نَفَدا

وأَنتِ يا كَوْكبَ الدنيا وبَهْجَتَها ... دُومى نَدُمْ كَوكَبًا فِى الأَرضِ مُنْفردا ـ

وواصِلي بَيْنَ أَبْعادِ الحَيَاةِ فَمن ... سِوَاكِ:يُدْنى الذيقَدْ شَطَّ وابْتَعَدا

• • •

إليها

وأَبْطَأَ بِي مَا كنتُ أَرْجوه لَيْتَهُ ... تعجَّلَ مِن قَبْلِ الرَّحِيلِ وأَسْرَعا

تَحرَّيتُه مَعْنًى يُهدْهِدُ مُهْجَتِي ... ويُنْقذُ إِحْساسًا غَرِيبًا مُضَيَّعـا

تَعرَّضَ لِي فِي الحُسْنِ مَا لَا أَوَدُّه ... فَصَابَرْتُ حِرْمانِي وَحِيدًا مُلَوَّعَا

ولِي فِي مَعَانِي الحُسْنِ لَوْنٌ مُحَبَّبٌ ... أَصُون بِهِ سِرًّا عَزِيزًا مُمنَّعـا

ويَحْرُسه إِنْسانُ عَيْـني وكَاذِبٌ ... هَوًى لا يَصُون الحُسْنَ تَاجًا مُرصَّعا

أَجَلْ أَبْطَأَتْ تلك التِي لَاح مَأْمَلِي ... بِغُرٍّ ثَنَاياها الوَضِاءِ مُشَعْشعـا

وتَحْجُب عنى بالبَنَـانِ شُعَاعَه ... فيسْطَعُ من خَلْفِ الأَنامِل أَرْوَعا

أُقدِّسُ حَبَّاتِ اللآلئ أَبْدَعَت ... مِنَ الفَلْجِ المُفْتَرِّ حُسْنًا مُوشَّعا

وقلتُ لَهَا إِنّي وجـدتُ لبَانَتِي ... فقالت إِذَنْ صِفْها وقُلها لأَسْمَعا

وبُحْ سرَّك الخافى فإِنِّى أَمِينَةٌ ... ومَنْ صَان عَهْد الحُبِّ أَغْلاه مَوْضِعَا

• • •

يا مي

يا ميُّ انْتَظِرى اللِّقـاءَ كأَنَّمـا ... رُوحِي تَحِنُّ لِجسْمِها وتـؤُوب

ويَلِذُّ لى أَمَل انْتِظَـارِكِ والمُنَى ... تَحْلو الحيَـاةُ بِظِلِّها وتَطِيب

فإذَا قَدمْتِ مع المَساءِ فإِنَّـه ... صُبْح يَطُل وقد أَهَـلَّ حَبِيب

لَكنْ أَخافُ مَع الشُّروق وأُنْسِهِ ... لحَظَات بَيْنٍ زَحْفُهن غُـروب

— ٢ —

ومَدَّ إليَّ البيْنُ كفًّـا رَحِيمـةً ... تقولُ ومَاذَا ؟ لَوْ يَطول مَغِيب

فَقُلت لِيَ الله الَّذي صَنَع الحَشَا ... فَيوْم النَّوى فى الغُرْبَتَيْن عَصِيب

وَكَمْ مِنْ جِرَاح شَافِعاتٍ مُضِيئَةٍ ... تَبِينُ بِها رَغْم الظَّلام دُرُوب

وكَم شَفَعَتْ فى الحُبِّ زفرةُ واجِدِ ... وَدَمْعٌ سَخِيٌ لَا يَكُفُّ صَبِيبُ

* * *

كيف ؟

كَيْف يا نفسُ أَسْتَبِيحُ حِماها شَامِخَاتٍ تَرنَّحت فى ذُرَاها

رَامَها الطَّامِعونَ قَبْلى فأَوْدَى مَنْ تَحـدَّى أَجْـواءَها ومَدَاها

أَطْمَعْتهم فى نيلِهـا فتبَارُوْا ثم عادُوا وكلُّهـم صَرْعاهَا

وصَفُوا لِى عِمْلاقَها وهو فى السَّفْحِ قَعِيـدٌ يَزْهو بِرَجْـعِ صَدَاها

فَتَلَمْلمتُ لاهِثًا أَسأَلُ العِمْـلاقَ كيف احْتَمَى بِظِـلٍّ حِمَـاها

كيف أَدْنَتْه كَيف حَازَ رِضاهَا كيف لاَقَى هَوَاهُ عِزَّ هَـوَاها

ولِمَاذا ارْتَمَى على السَّـفْحِ ؟ هَل ذلِك مَجْد الحيَاة أَوْ مُنْتَهاها؟

وتَلَـوَّى كأَنَّـهُ أُفْعُـوانٌ صَرَعَتْه أَفْعَى اسْتَحَبَّ لِقَـاها

ثُم قال ابْتَعِد فَما كُنتَ للدُّنْيا أَلوفاً ولَن تَكُـونَ هَـوَاها

نَحنُ أَحْلَاسُ مَكْرِها نحن مَن ذُلُّوا وهَانُوا على دُرُوبِ أَذَاها

قد أَبَحْنَا ضَمِيرَنا للَّذي تَهْوىَ فَدَاستْ رُؤوسُنَـا قَدمَاها

وظُلِمْنـا والشَّرُّ يَصْطَنِعُ الشرَّ كأَنَّ الزَّمَانَ رَهْنُ خُطَـاها

وسَرقْنــا عِزَّ الكريمِ وعِشْنَــا ... فَوْقَ انْقَاضِ عِزِّه نَتَـلاَهَى

فَدَعِ الزَّيْفَ انَّه مَجْدُ هذا الكَوْنِ ... مَهْما عَلاَ ومَهْما تَنَــاهى

أَنَا مَنْ صورُّوه عِنْدكِ عِمْـلاقًا ... أُدارِي عَارًا وأَكْتُـم آهَا

والعَماليقُ كُلُّهُمْ سَوْف يَهْوُونَ ... إلى جَوْفِ أَرْضِهـم أَشْبَـاها

مِثْلَما لَوَّثُوا الحَيَـاةَ بِأَوْبَاء ... إذاهُم سَيلْعَقُــونَ وَبَاها

أَنْتَ جرَّبْت قَبْلنَا مَجْـدَها الحُرَّ ... فَعَافَتْك فَارِسًا لا يُضَـاهَى

أَنتَ حارَبْتها وحطَّمتَ أَصْنَامَ ... عُلاَها مَجْـدا ومالًا وجَاهَا

وارتَضَيْتُ اليَرَاعَ خِـدْنَ مَعَانٍ ... وحيــاةً كَرِيمة تَهْــوَاهَا

وتَرعْرَعتَ فى رُبَى الحبتَسْقِيه ... ويَسْقِيك مِنْ رَحِيقٍ شَـذَاها

تَتملَّى الجَمالَ والحُسْنَ لا تَنْشُدُ ... فى مُنْيَـةِ الفُـؤاد سِــوَاها

حَسْبك النَّشْــوةُ البَهِيجَـة ... والخَمْرةُ كأْساً تَدِيرها عيْنَاها

حَسْبك الدِّفْء فَاغِمًا فىحَدِيث ... ما أَطَاقتْ اخْفَاءه شَفَتَــاهَا

قَد كَفَرْنا بالحُبِّ لكِن ... أَنْتَ فى حُبِّها عَبَدْتَ اللهَ

* * *

التذكار

ويُسْعِدُنى لو تَقْبَلِينَ عَلى رِضَا ... هدِيَّةَ رَمْزٍ تَذْكُرِينَ بِهَا عَهْدا

وإنْ كُنْتِ أُغْلي بِالمَعَانى وَهَبْتُها ... فقد صَاغَها الوِجْدانُ يامَيُّ لِي وَجْدا

وأَحْلى مِنَ التَّذْكارِ رَجْعٌ مُحَبَّبٌ ... يُسائِل هَلْ مِنْ دُونِه نُحْرَم الوِدَّا

أَلا يَبْعثُ الذِّكرى سِوَاه وإنَّـنى ... لأَحْسَبُ حَتَّى الصَّمْتَ مِنْ مِثْلِنا أَجْدى

أَجَلْ رُبَّ صَمْتٍ دُونَه فى بَلاغَةٍ ... بَيَانٌ جَديبٌ يَنْسِجُ اللَّفْظَ لَا الْقَصْدا

وأَجْمَل ذِكْرى للمُحِبِّين حَالَةٌ ... تَرِفُّ رَفِيفَ الطَّل بَلْ إنَّها أَنْدي

تُلَمْلِمُ أَشْتات الحَيَـاةِ كأَنَّها ... مَوَاكِبُ تَرْعَى الخُلْدَ أَوْ تَصِفُ الخُلْدا

مُحلِّقَةً فى سَبْحِها تَنْطقُ الرُّؤَى ... مُنغَّمـة لَحْنًا مُصفَّقة شَهدا

تردُّ جمالَ الكَوْنِ أَصْلًا وصُورَةً ... لِقَلْبَيْن شَدَّ الحُبُّ بَيْنَهما شَدًّا

حيَاتُهما فَوْقَ الأَهِلَّةِ سَيْرها ... فَما عَرفَتْ قَبْلًا ولَا عَرفَتْ بَعْدا

يعِيشَان فى القُرْبَى وفي البُعْدِ مِثْلَما ... تَعِيشُ المَعَانِى تَأْنَف الأَسْرَ والقَيْدا

وكَمْ مِنْ نَوى أَدْنى من القُرْبِ بَاهِتا ... شَحِيحَ الأَمَانِى يَجْهلُ القُرْبَ والبُعْدا

فإما قَبِلتِ اليَوْم ذِكْراي فاعْلَمِي ... بأَنَّ زَمانِي أَنْتِ أَجْملُ ما أَهْدايَ

• • •

تصـــوري

تَصوَّرِي موثِقاً صلْب الخُطى اضْطَرَعت   عليه من كُرب الدنيا مواضِيها
ومزّقتْ يدُه الأَغلالَ ما قَنَعَت   حتى تَبَدَّى خيالًا سابِحا فيها
واثْقَلت حُجُب من فوقها حُجُبٌ   ضِياءَ عيْنَيه فانْهلَّت مآقِيها
لكنها ادْمُع شعَّت لآلِئُهـــا   فَنوَّرت مُهْجة لا شيءَ يُغْشِيها
وابصَرتْكِ فما غَامَت بصَائِرُها   وخاطبتْكِ فما ضَاقت مَعانيها
لقد تهاوت فلا أَنْداءَ عاطِفة   كأَنما أَجدبت فيهم مغَانيها
ماحاربَتْه النَّوى بل حاربَتْ مُثُلا   دانت له من مَعانِيه صَياصِيها
وما رأَي الأَسر إلا مَجْد سارِية   رفَّت عليه وما ضنَّت غَوادِيها
وفى الظلال الوريفات الجنى «أَمَلٌ»   حَنَّت عليه طُيوفٌ من «عَوَاليها»
كَمْ ضاف من دَوْحِها أَطْياب سامِقَة   من المعالى تبنَّتْـه أَعاليهـا
وفى المَرابِع من أَعْطَافها نَهَلَت   آماله وسقَتْه من سَـوَاقِيها

مَنَابع لِقَـدَاسَات وألْـوِيَةٍ مُشِعَّة تَحرسُ الدنْيا وتَحْمِيها

تَنزَّل الوحى فى أَرْجائِها أَلقًا تَطوَّفَت بِمَرامِيــه مَرامِيها

سَقَى البريَّة من كأْس مُشَعْشعَةٍ باليُمْن مُتْرعَـة فيه أَمَانيها

فلم تَزَل منه نَشْوى عَبْر فِطْرتِها تَمُد آفاقهَا الكُبُـرى مَبَادِيهـا

إن أَقْعَدَتْها على وهْمٍ قوادِمها قَضَت علىوهْمِها العَادي خوافِيها

فَيَامجَالى الهدَي والشمسساطعة علىالنَّخيل نُضَارًا فى حَوَاشِها

تَوقَّد الشفق المُحْمر مُنْسَـرِبًا فى «زَهْوِها» تَتَحلَّاه مَجَانيها

مشاهد عاشها قلبى مجنحة بها تَنقَّلْتُ فى الدنيـا أُغَنِّيها

وأَحْسُد الطير فى وُكُنَاتِه مَرحًا يَخْتال كالحُسْن فى أَحْلىرَوَابِيها

* * *

الحارس

وحارِسٌ نُورَ عيْنٍ خِلتُه أَملاً جَرَى على قلْب من عاشُوا بِلاَ أَمَل

يصُدُّ بالرَّوْعة المُثْلى وفِتْنَتِها مَالاَ تَصُدُّ بِهِ العَسالة الذُّبــل

ومِثْله حوْل ثَغْر زادَه أَلَقًــا حتى اسْتَحَتْ من سَنَاه عَرْكَة القُبَل

والحُسْن لا يُتَّقَى عن رهْبة أَبدًا لكنَّ هَيْبَته تُغْنى عن الأَسَــل

والحُسْن ما اجْتَذَب الأَلْبَاب فانْجَذبت نَشْوى تُعبِّر عنها فَرحةُ المُقَل

وفى عُيون المعانِى سِرٌّ بهجَتِها تَحكِي معانى العُيون الذُّبَّل النجل

غَامَرْتُ يَقْدمُ بي ضَوْءٌ فَحيَّرنى فى نقطة من سَوَاد مَوْكِب الشُّعَل

* * *

مولد الطائرة

جاءت إليه على الغَدَاة تزُوره وتُودِّعُه

وتَقُول ظَرْف طاريءٌ قد كُنْتُ لا أتوقَّعُه

بَهَتُوا أبى عِنْد الصَّبَاح بِدَعوة مُسْتَعْجَلَه

إن الزِّفَافَ غدا يكون بِمكة بالمسْفَله

لِشَقِيقتى الكبري حَلِيمة فى اللَّيالى المُقْبِله

وترفَّقَتْ لِتُصافِحَ البطل الذي أعياه فَهْم المسْأله

كانت تؤمِّلهُ ولا تَدري فَفَارق فى ثوانٍ مأْمَلَه

فتَغيَّرت قَسَماتُه وبكَت عليه أدمُعُه

وترفَّقتْ بِحِشاه حانِيةً عليه أَضْلعُهْ

• • •

لكنه اسْتَقْوى على هذا الوُجُوم بِعزْمَةٍ من صبْرِهِ

وتمرَّدَت فى نفسه آهاتُه الحَرَّي تَضِج بِصَدره

مُتَجلِّدا ثَبْتَ الْجنَانِ مغَالِيًا فى سِرِّه

واستَنْطقت عَينــاه عينَيْها لِيعرفَ رَأْيها فى أمْره

فَبدَى له أن يُرجِىً الإِفضاءَ فى سِرِّ الوداعِ وَجَهْره

* * * *

وهو الذي مِصْرُ الجديدة فى ذُرَاها أَرْبُعُــه

وهلالُها الوضَّاءُ مَطْلَعُهاَ الحبيب ومطلَعُه

* * * *

وتَثَاقلتْ لِتَقولَ : عند العاشِرة قال المَطَارُ لهَا : تَقوم الطَّائِرة

وأَعَاد: بالتَّحدِيد؟ فابْتَسمت نَعَم تـأْكيد جِدة هكذا للقَاهِرة

وجَرَى إلى الميعاد يَسْبِق خَطْوه مُتَنبِّهاً للوعْد عين سَاهِرة

فَتلاَقَيا وَسَرى الحديث مُنَمْنَماً وكأَنَّه أَلَق النجوم السَّائِرة

وتَقَضَّت الساعاتُ حتى السابعة لَيْلا وعندهمَا ثَوان عابِرة

والركْب حول المايَتَيْن عَجِيجُه وضَجِيجُه وكأَنَّهم فى الاخرة

* * * *

فَتَعطَّل الجمْع المغير وأي أُذن تَسْمعــه

ودُمُوع مَنْ يَبْكى التعوُّق ساخِنَات تَلْذَعــه

★ ★ ★

إلَّا هُما فَهُما اللَّــذان تَرَاقَصــا فَوق البَشَــر

لا يَدْريان عن البَلاَءِ كأَنَّــه صـخٌّ القَــــدر

كَمْ مِنْ مريض أَنَّ لَمَّا مَسَّه وقْعُ الخَطَر

ومخَدَّراتٍ ضِقْن بالوعْثَاء مِنْ قَبْل السَّفَر

تِلْك المصائبُ فى سِوَاهُم عِندهم أَحْلَى السَّمَر

لَيت الذي آذَى وأَهْملَ واجِدًا مَنْ يردَعُه

فَعِقاب فرْدٍ فى سبيل الكل ذِكْرَى تَنْفَعُه

* * *

أُشتياق

وأَشْتاقُ تَقْطِيرَ النَّدي فى رَوَائع　　أُدِيرُ بِهِن الرَّاحَ مَشمولةً صرْفا

مُعَتَّقةً ظَمْأَى إلى كُلِّ ظامِىءٍ　　ورُبَّ أُوام فاضَ بالمُزْنة الوَطفا

سُكُوبٌ بِلَأْلَاءِ النُّهى رَوْنَق الضُّحَى　　تُصفِّق أَخْلاف المنَى أَدَباً عَفَّا

وتُطْفِئُ فى الأَخْلَاد كُلَّ نَوازع　　مُؤَجِّجُها مَا بَان منها ومَا استَخْفى

وتجمعُ أَشْتَاتَ المَعانى كأَنَّما　　تُرَصِّع عِقْدا من جُمَان قد اصْطَفَّا

لَهَا أَلَقٌ بين الشَّذى ورفيفه　　كَصَحْو الهَوىِ مارقَّ عزْماً ولاأَغْفى

تَلاقَى على أَنفاسِه كلُّ مُشْتهى　　تُعانقه مَغْنى وتَلمسُه طَيْفـــا

وتَنسِج أَنْسام الخَمِيل غَدائِرا　　مُذَهَّبة حُسْنا مُشَعْشعة لُطفـا

تَسيل على أَعْطَافِها فَرْحَةُ النُّهى　　بآفَاقِه أَضْفى عليها بِما أَضْفى

تَرُوق مَجَانيها وتَحْلو قُطوفها　　مُهدَّلة تَسْعى لِمَن رامَها قَطْفــا

تَحُوم عليها كلُّ ورْقاءَ همْسُها　　حَنِينٌ شجيٍّ عن سَرائرهَا شَفـا

مُوَحدة المرْمى مُهذَّبة المُـنى　　شَأَيٖ طَرْفُهَا المُمْتَدُّفىالحَلْبة الطِّرْفَا

أَقامَتْ على هَام السِّماكِ شَوامِخا　　هي المجد قَد صفَّى اللُّباب وماأَصْفى

وحلَّى بها جِيدَ الزمان فرائِدًا　　مُخلَّدة ضَاق البيانُ بِها وصْفا

تَسَاقطَ عِند السَّفْح مِنها زَعَانِفُ　　لَقدْ حَسِبوا الأَمجاد مَخْطوفةَ خَطْفا

وجَاءُوا بِمِسْخٍ سَاءَ حالاً ومشْهَدا ... وآبوا بِنُكْر جانِفَ الذَّوقَ والعُرْفا
وقالوا قَرِيضٌ يقرضُ القيدَ مِلْؤه ... فَرَاغٌ عميق يَحْذِق النَّشْرواللَّفَّا
وما فَرَغت إلا عُقُولُ عَوائــم ... على السَّطْح تَهْوَي أَنتَخِفَّ كماخَفَّا
وكانالذي شَاءَتْ فَغَاضتْقَرائِح ... وفَاضهُرَاءٌ زادَهُ جَهْلُهم سُخْفــا
وسار مَسِير العَجْز ضَحْلٌ مُهَرَّأٌ ... تَلكَّا زَحَّافاً على بطنه زَحْفَــا
وأَي سَموقٍ زاخِر الفَيْض تَلْتَقى ... عَواطِفه الحرّي إذا فَقَد العُنْفا
وأَي هويً كالمُزْن عَفّ مُصفَّق ... يَجول به هذا الهلامُ الذي جَفا
وأَيٌّ معَالٍ كالذَّرَى مشْمَخِــرةٍ ... يُعالِجها من يَمْلك القضْبَ والعَلْفا
وأَي هُتَاف للمُروءاتِ والنَّدى ... يَصُول به غَثٌّ على الموت قدأَشْفى
وأَي عِرَاك فى الميادين صاخِب ... إذا لم يصِفْه فى الوَغَىراعِفٌرَعْفا
هو الشّعرمَانَادىالبطولات إذْوَفَت ... بـأَمْجادها الكُبْرى رَأَتْبَطلاًأَوْفى
يُمَجِّد فى الدنيا بِتَحْطيم شَامِخ ... فإنْ ضَلَّ مَرمَاه أَدَارَ له كِتْفَــا
تَسَامى فَلَمْ يَرخُص وعزَّ فلم يَهُنْ ... صَبُورٌ على الجُلَّى وإنْشَارَفالحَتْفا
عَصِيٌّ على غَيْر العُلا وطِلَابِها ... حَفيٌّ بما يهوي وَفيٌّ لِمن وفَّى
أُولئك عُقبان الجواءِ فَمَا لَهَا ... وما لِبُغَاث لم تَزَل تَعجِن الحَرْفا
لَقَد فَاتَها لَهْوُ الصِّغَارِ فأَرْقَلت ... إليه بِخَزْرُوف الوليد الذي رفا

ضارية الودع

جَاءَتْ ملَثَّمَـةً وتَنْتَزِع اللِّثـ ـامَ البسمـــةُ العَجَب

والنظرةُ النجلاءُ قائلةً شيئا يخالسها فينْسرب

والصَّـوْتُ لمحٌ فيـه ادمُعها فى نَبْرة منْ عُمْقِها تَثِب

مَعْنًى تُغَالبــــه فَيأْسِـرُها ويَظَلُّ يَكْرُبُهـــا فتَنْكَرِب

كَذِبا تُحايِلهُ مُحـــايَلَةً وهى العليمـة أَنَّه كَذِب

لِلعَيش يا لَلْعَيْش مَركبُــه صعبٌ يزلزِلُهـا فَتَضْطَـرِب

عِلَل وأَسبـــابٌ إذا بَطُلت جَمُد النُّهى وتَعَطَّـل السبب

لوْلا النَّقائِض فى عَوالِمِنــا مَا قِيل ذَا رَأْسٌ وذا ذَنَب

كَمْ من شُخوصٍ جَدُّ عارِيةٍ لَولَا الثِّيــاب الحُلْوة القُشُب

قَالُوا الْتقَى أَصْلُ الأُصول ومَا غيْرُ النَّجاح الحقّ يُطَّلَبُ

قُلْتُ الحياةُ طَرَائق « قِدَدٌ » ووسَائلُ فى حَبْكِها دَأَبُـوا

ليست مَباديءُ مِثْل مَا رَسَمُوا ليست مَناهجُ مِثْـل ما حَسُبوا

لكنْ أَساليب مُنَـــــوّعة تَعلو وتَهْبِـط والمُنى غَلَب

فالنَّاهِبُ الأَعْلى لــهُ الرُّتَبُ والنَّاهِب الأَدْنى له الحَرب

والعبْقَـريَّة للفَـتَى يَــدُه تلك الصنَّـاع كأَنَّها الحَسَب

هذا الحرامُ حَـــلالُــه أَبدًا		حتَّى ولو عُجِنتْ به الرِّيَب
حتى الدّم القَانى مُضَــرَّجَةٌ		مِنْــه اليَدَان الشَهْــد والضَّرب
والسَّارق المِصْبـــاح يُنْفِذه		مِنْ ظُلمةٍ هو وحـــدَهُ الجَرب
جَاءَت ملَثَّمـــة وفى يَدِها		وَدَعٌ تُوَشْــوِشه فينْجَــذِب
نَثَرتْه فوق الرَّمْل قائِلــه		زِينًا « أُبَيِّنُ » بعض ما يَجِب
سِرٌّ الصَّبَــايا لا أَبوح بــه		إلَّا لَهن فَدُونه الحُجُــب
وسَرائر الفِتْيـــان أَلمَحُها		والعلم عنـــد الله مُحتَجِب
فَتَقاطر الحُضَّـــار واستَبَقُوا		و « بياضُهُم » يَجْري ويَنْسَرب
أَسْماعهـــم لَهْـفى وأَعْيُنُهم		عَطْــشى تُحاذِرُها وتَرْتَقِب
فَتَســاقَط الدُّر الذي نَطَقَت		بِجُمـــانه الحَســناءُ يَنْسَكب

* * *

قَالَت لِهِنْـــد وهى واجِمة		لَكِ غائب أَحــوالُه عَجَب
مَرَّت به فى عُمْــره مِحَنٌ		وله عَــدُوٌّ « ربعـــةٌ » ذَرِبُ
وَوراءَه أُنْــثى لهـــا ولـــدٌ		إن تَنْأَ عنه فِمِنْك يَقْترب
وشُموع عُرْسٍ وسَطَ منْزِلكم		سَتُضـــاءُ دُون سَنَائها الشُّهب
هى « نُقْطة » أَو « نُقْطتان » إذا		ذَهَبَتْ سيذهب عنْكم التَّعَبُ

* * *

وتحفَّزتْ لُبْنَى وسِحْنَتها ... تُوحى بِهَمٍّ فيه تَصْطَخِب

فتَلفَّتَتْ ذاتُ اللِّثَام إلى ... تلك القَنيصة وَهْيَ تَنْتَحِب

لِتَقولَ يا أُختاه أَنْتِ على ... كَرْب تضَاءَل دُونه الكُربُ

تِلك الطَّويلَةُ فوق وَجْنَتِها ... « خَالٌ » وبالمنديل تَعْتَصب

حَسَدتْكِ من يوم الزَّفاف على ... سُوءٍ يُحرِّكُ ضِغْنَهُ الأَرب

« عَمَلًا » خَطَوتِ عليه جَمْرَتُه ... حَرَّاقةٌ يا أُخْت تَلْتَهِب

فتَصبَّرِي فَلأَنْتِ طيِّبَةٌ ... وعلى الحَسُود « العكسُ » يَنْقلِب

* * *

قد كُنْتُ عن كَثَب أَراقِبُهم ... متحَمِّسًا حتى إذا ذَهَبُوا

أَسرعتُ نحْو رفِيقَةِ الوَدَع ... والشرُّ فى عَيْنَيَّ والغَضَب

وَزَحمتُها من أَنْتِ ؟ ما هَوَس ... هُو فى حَقِيقة أَمْره لعِب

فتنَهَّدَتْ وكأَن مُهْجتها ... قِدْرٌ يَفُورُ وخافِقٌ يَجِب

قَالت ذكاءُ البدْو فِطْنَتُهم ... فَمِن العُيونِ أَخذْتُ ما أَهب

فالعُتْبُ ليس عليَّ يا رجل ... لكنْ على مَنْ رامَنِي العَتَبُ

وإذَا أَردتَ الحقَّ لا عَتَبٌ ... حتَّى عليهم « كُلُّنا » عَرَب

لا تَعْترضْ إن الدُّنَا خُدَعُ ... لا تَنْزعِج فالدَّهر يَنْقَلِب

كَمْ قِيل للأَصدَاف ذِي دُرَرٍ ... والدُّر قالُوا عَنْه مُخْتَلب

* * *

تلك الخيام

فِي كلِّ ما ازْدهَرَتْ به الغَبْراءُ ... زَهتِ الحضارةُ يَبْسُهَا والماءُ

وتـأَلَّفتْ فيه الحياة يؤُزُّها ... أَزًّا هَدِيرٌ . كُلُّه أَضْواءُ

ومرابِع جُدد كأَن أَدِيمَها ... سُحِبت عليه رَفَارِفٌ خَضراءُ

ما غَاب عن عَيْن الوفَاء وظِلِّها ... تِلك المَضَاربُ نجْعُهن صَفاءُ

مَمْدودة عبْر الفضاءِ بُناتُها ... أَرْسُو مَراسِيها كَما قدْ شَاءُوا

الكونُ مُنْتجَع لهم ما حَدَّه ... حَدٌّ ولا ضاقَت بِه أَمْداءُ

القبة الزرقاءُ سَقْفُ بِنَائهم ... والكهرباءُ الأَنْجُم الزَّهْراءُ

فى كلِّ يوم مَنزِلٌ صَوْب الحَيا ... خَفر يُنَمنِم وشْيَه وَحَياءُ

وهَوىً كصافى المُزْن يَقْطُر حاليا ... ومَهًا يُبَاكِرُ فَجْرَها الأَنْداء

والعُشْب بين مُفَوَّفٍ ومُهَفْهِف ... تَرْعى مَرَاعيه مَها وظِبَاء

شعر تُصَفّقه الطبيعة انَّها ... للشَّاعر المتَعَمِّق الهَدَّاء

صِدْق الحَقِيقة كمْ لا يَرُوع خيالُها ... وخَيَالُها لِجَمالِها أَصْداءُ

بِئْس الحَضَارة شعرها كِظِلالها مَخْبُولة فيه الرُّءى شَوْهاءُ

تَتَقلصُ الأَظْلال فيه كأَنَّها قُبْح الجنِين تَعافُه الأَحْشَاءُ

لا بِدْع إنْ ذَهَب القريض وأَقْفَرت أَحْياؤه وتَفَزَّع الأَحْيَاءُ

فَلَقد فَقَدْنا الصَّحْوَ يوم تَلَبَّدَت بِقَتامِه وظَلامِه الأَجْواءُ

ولقد بَكَيْتُ الصَّفْو يوم تكَدَّرتْ بِدُخانِهم من حَوْلِها الصحراءُ

الْوَاحةُ البيضاءُ فى أَعْرَاقِها أَرَجٌ رَعَتْه الدِّيمَة الوَطْفَاءُ

ومن النبات الحلْو فى أَعْطَافِها نَسْج حَكَتْه الحُلَّة السِّيرَاءُ

والجدْوَل الثَّرار فى أَعماقِها فَجْرٌ كأَنَّ خُيوطَهُ الدَّأْمَاءُ

يَهَب القُلوبَ حَياتَها وَسِماتَها فإذا الهوى رِيٌّ لها وَرُوَاءُ

خِصْب على خصب وفَضْلُ سَماحة تَشْدو بِها وتُغرِّد اللأْلاءَ

ما عَابَها بُطءٌ وطولُ رَوِيَّةٍ إن الوِصال يزينُه الإبْطاء

أَمْلاَ الدِّلاَءِ بِطاؤُها ولَرُبَّما فرحت بِرَيْثِ سحابِها الأَنْواءُ

رَعْيا لِأَيام الخِيام وعهْدها الحَاءُ رغْرَع حُسْنها والبَاءُ

فَلَكمْ شَدى وادي العَقِيق بِمَعبد وعلى المَشَارِف « عِزَّةُ » الحَسْنَاءُ

ولقد ذَكَرت النَّابِغِيَّ ولَيْلَه وعُكاظ حول خيامِهِ النُّبَغاءُ

وَلَمحْت عن كَثَبٍ خِبَاءَ سكينة وسَكِينة من قَبْلها الخَنْسَاءُ
ولقد نَظَرت البحر بيْن مَداره ومَسَارِه وكأنه الصحراءُ
خطَرَت جوارِيه الحِسان حَملنها عِيسٌ تَماوَجُ تَحْتها البَيْداءُ
فكأَنَّ إِشعاع الهَوادِج هَالَةٌ ضَفَرتْ ذَوَائب حُسْنِها القَمراءُ
وبدَتْ بُدُور التَّم يلْثم ضَوءَوها أَلِقُ الثُّغور فَترقُص اللَّأْلَاءَ
وعلى الرَّوَابى الخُضْر عَسْجَد مُزْنة أَسْكُوبُهَا الأَنداءُ والأَشْذاءُ ؟!
فى كل مُرتَبع هَوىً وخَمِيلَة وبكل مُنْتَجع يَرِفُّ لِواءُ
الحُسْن يسطع من مَعِين صَفَائها يجْلو سَنَاه الشِّعْر والشُّعراءُ
حَاشَا القرِيض يَصول فى حَلَبَاتِه خَاوِي الوِفاضِ مُنَمَّق وشَّاءُ
قَلِق الإِهَاب تَرُوع فى لَمَسَاتِه صُور معثَّرة الخُطَى شَلَّاءُ
خُدَعٌ كَمعْسول الوُعُود كِذَابها رقصت على أَصْباغِها شَمْطَاءُ
صَانوا خِضَاب الغِيد فهو مقَدَّس وعلى هَوَاهم تُسْتباح دِماءُ
يَا لَيت سَكْرة زَعْفِهِم ومُجُونِهم إِنسانةٌ يُغْرَى بِها النُّدماءُ
لكن خُمار الفَرْد دَارت رأْسُه فتكشَّفتْ نزَواته الحَمْقَاءُ
مَنْ لِى بأَيَّام الخِيام فإِنها أَمل لقد طَارت به العَنْقَاءُ
الوِدُّ كان أَليفَه وحليفَهُ وحُماةُ موثِقِه هُمُو « الحُلَفاءُ »
واليَوم يومُ المخْلِفين عهودَهُم أَرأَيْتَهم وكأَنَّهم خُلَفَاءُ

* * *

نجـــاة ونجوى

بِلحْنِك يا نَجوى مُنًى وابتِسامة ... أَضَاع الهَوى أَيّامَها وأَعَادَهـا

طَوَاها وما تُطْوى ولكنَّ عارِضًا ... من السُّقْم يا نَجْوى أَصَمَّ فُؤَادَها

تحَيَّر فيها الحِسُّ حَيرة واهِـنٍ ... ثَقِيل الخُطى لا يسْتَخِفُّ وِدَادَها

جَفَتْه فجَافَاها وقد مَرَّ حُلْوُهَا ... فمَا كَان مِنْها لَو أَلَانَتْ قِيادَها

معانٍ تُديرُ الشِّعر صَبهاءَ حُـرَّة ... مَثانِيَ تَسْتَسْقى الكُرُوم جِيادَها

صَناع لقد رَامَت من اللّفظ لحنها ... ومن هَمَسَات الحِسّ صاغَتْ مُرادَها

وما اللَّحنُ إلا الشِّعْر جَرْساً موقَّعاً ... وغَمغَمةً قدْ حَاوَرته فَصَادَهـا

أَلَا يا رَعَاك الله سوقاً كأَنَّمـا ... يُنازع صَبْهاء الدِّنان عنادَهـا

ويسكُب فى اللَّحنِ الطَّروب مَراشِفاً ... تُلامِس أَوتَاراً أَضلَّت رَشَادَهـا

يقولون عَزَّ اللحنُ فى الشِّعْر فابتغى ... نَضَاوى هزيلات تُدارِي كَسَادَها

أَشَاحوا عن الحيِّ النَّطوقِ وجاوَرُوا ... من العيِّ صَمَّاءَ النُّهى وجَمَادها

وأَيّ « مهاً » تـأْوي لِغَير كناسِها ... وأَيُّ عَروس لا تَطيقُ مِهَادهـا

أَلَا شَعْشَعِيها يا نجاةُ لِتَبْعَثى مَلَامِحَ صَانَتْ جَوَّها وبِلَادَهـا

فرُبَّ حنانٍ يغمر اللحْنَ دِفْئُـه ويَسْلُب من جَفْن اللَّيالى رُقَادها

ورُبَّة مَبْغومَ اللَّهى عَسْجَدِيِّهَـا أَفَاضَ على الأَلْحان حُسناً وزَادَها

وداوَرَها حتى استحَالَت نَدِيَّـةً ولايَنَها حتى استَلانَت فَقَادَهـا

أَلَا إنه سِرُّ الحياة فصفِّقِـى مُنَاها وناغِى هَضْبها وَوِهادَهـا

فَكمْ صَوَّحتْ مُذْ صَوَّح الشِّعرأَربَعٌ وكَمْ قد سقَاهَا الغَيْث قَبْلًاوجَادَها

وكُونى لها فى دَوْحة الشعرنَغْمةً فقد رَاعَها جَدْبُ البيان وآدَها

وما نَادَم القِيثار إلا أَنِينُـه وما شَكَت الأَحْبابُ إلا بُعَادها

ومَا هاجَتْ الورْقاء إلَّا شُجُونها وما الحُب إلا ما اعْتَراها وعَادَها

ولم تُرد الهَمَّ المُبَرِّح إنمـا على الرغْم منها يا نجاةُ أَرَادَها

بَيَاض اللَّيالى فى خِداع سَرَابها يُضاحِك أَطْياف الدُّجَى وسَوادها

تحِنُّ إلى اللُّقْيا على غير مَوْعد وتَنْشُد مِيعاد الهوي ومَعَادهـا

• • •

لا تكوني

يا فَتَاةَ الجزيرة العربية لَا تـكُونى للعابِثين ضَحِيَّـة

إن مجدَ الفَتَاة أَكْبَرُ مِمَّا صَوَّرُوه فى بَهْرجِ المَدِنية

فى السِّياج الخَفِىِّ تحميه أَحدَاثٌ فإمَّا أُمْنِية أَوْ مَنِيَّـة

شَرَفٌ باذِخ تُتوِّجهُ الدهرَ من الصَّون هالةٌ عَسْجَـدية

فالخُدُور التى تَضُم على الحُسْن عُروشا هى الحُصون القَوِيَّة

كاللآلِئ المحجَّبَات بِجَوف اليمِّ مكْنونَةُ الجَمَال نَقِيَّة

وتَحُوم الشُّموسُ تَنْهل نَهلًا من شُعَاع الحقيقة الأَزليَّـة

وسِهامُ النِّصال تَبْرُق كالحُسْن المُدَجَّى بالفتنةِ السَّمْهَرِيَّة

ذَاك مجدُ الفتاة فى عَالَم الحُسْن وفى مشرِقِ الحياة الأَبِيَّة

فى الحَيَاء الشهِىِّ يَنْبِض بالعِزَّة قَعساء لا تُطِيق الدَّنيَّـة

* * *

فى الحَنَان الأَبِىِّ يَبْذُله القَلْبُ لأَحْـلى ثِمَارِه الشَّاعِرِيَّـة

فَلذَاتُ الحَشَا وأَفْلاذُه الزُّغْب ومَرْعى الأُمومَة العاطفيَّة

لا تَغُرَّنْكِ بالخِداعِ العنَاوِينُ كَلَمْع السَّرابِ فى سُوءِ نِيَّة

إنَّها إنها مصَائدُ للعِفَّة تَرْمى شِـرا كها بِالبَلِيَّـة

إنَّ مجدَ الفَتَاة فى غَرْسَة النُّبْلِ سَقَتْها الشَّمائل النَّبَوِيَّة

فى الهُدَى تَسْتريح فى ظِلِّه النَّفْس وتَنْأَى عن الشُّرُور الخَفِية

فى بِنَاءِ الحيَاة تُشْرق بالأَسرة فيها الأَواصِرُ العائِلِيَّـة

كلٌّ من يَتَبنَّى حَضَارة بَيْت مُسْهِم فى الحَضَارةِ العالَمِيـة

عِنْدنا من خَديجة المثل الأَعْلى ومَجْلى المَفَاخِرِ الأَبَدِية

آزرتْ بِالحَنان والحب والخيْر فِداءً من أَنْقَذَ البشَرِيَّة

ملأَتْها ثِقافـةُ البِرِّ والخير بأَسْمى ثِقَافَة عبْقَرِيَّـة

وقَفَا إِثْرها صواحبُ كالأَقْمار ضَحَّيْن للمعانى الثَّرِيَّـة

فأَضَأْن السماءَ والأَرضَ إيمانًا وحَلَّقْن فى الجَوَاءِ القَصِيَّة

هل تَنَاسيْتَ خَوْلةً وعُلاها فى مَجَال الوَغَى ومجْلى الحَمِيَّـة

دَنْدَنوا بالخِداع كَيْما تَخُوضين مع العابِثين بالوَطَنِيَّة

كُلُّه كلُّه هُرَاءٌ ففى دينك لوْ تعلَمين أَسْمى قَضِيَّـة

لَيْسَ بَعْد النبي أَحمد يا أَختُ نبِيٌّ مُؤَمَّلٌ أَوْ نَبِيَّـة

• • •

يا حبيبي

يا حبيبي الذي محَّضت لـه الوُدَّ شُعورًا كأنَّه إحْسَاسُه

وتَصَوَّرْت ذاتَ نفسي في ذات هَوَاه كأنَّها أنفَاسُه

قد جَرَت في مِزاجِه فهو خَمْرٌ بابِليٌّ وعسْجَد الحُرِّ كاسه

لم أُحاوِرْه لم أُدَاوِرْه لم أَبْغِ مجازًا حَقِيقَتي نِبْراسُه

حِين أَهْواه ما هَوَيتْ حياة أَحْكَمَتِ نَسْج عُمْرِها أَمْراسه

لم يَكُن غَالِيا بِما في يديه أَو بِتَاج فَاقَ الجواهِر ماسُه

إنَّه الحُبُّ ليس غيرُ: وقَلْبي لِسِوى الحب لا يَلين شِمَاسُه

* * *

ومَشَى الناس في مَوا كِبه الغَرَّاءِ شعْثاً كأَنَّهُم حُرَّاسُه

هَتَفُوا والهُتاف للصَّولَجَان الحُلْو يدَوِّي ولا يَكُفُّ حَمَاسُه

فَتلَقَّى ذاكَ الضَّجِيج بتَصْفيق المَثَانى كأَنَّها أَجْرَاسُه

واهبًا نَفْسه وما تَمْلك النَّفْس وفِيها أَمْجَاده وغِرَاسُه

نَغماتٌ قد أَسْكَرَته وزَهْو المَجْد تُرْضى غُرورَهُ أَعْرَاسُه

وَهَجٌ فى طِباعِه لسْتُ أَنْسَاهُ ولكن تَلَوَّنَتْ أَجناسُه

حينَما شَابَه الطِّلاءُ وغَذَّاه الطلى شَبَّ وقْدَها جلاَّسُه

وسَمَا الوصْل عِنده فوُجُوه القِوْم أَحْري والكونُ أَغْنَاه نَاسُه

خَيرُ أَكْفاء حُسْنِه المُتَصدُّون ومَنْ فى رِحَابِه أَحْلاسُه

فَهُمُو عنده النُّجوم الدَرَارِي تَزْدَهِى بِاجْتِلائِها آماسُه

حُبُّبنَا فى الكُؤُوسِ أَبْيض كالعِهْن يُوَارِي شُعاعةَ دِيمَاسُه

وتعرَّضْت فى الزِّحام وهَمِّي أَنْ أَرَيِ هل يَشِذ عَنِّى قِياسه

فإذا بِى أَراه أَصْدَق منْ وَفِىَّ وقَدْ شَاب فى التَّجارِيب راسُه

إنه الوَهْم طَالما ضَحِك الوهْم وغشى صَحْوَ المآقى نُعاسُه

إنَّها إنها حَقَائِقُه الأُولَى فَمَا نَاقَض البِنَاءَ أَسَاسُه

ثم قال الحَسُود مِيعَادُه الخَيْر إذَا طَال بالبَلاءِ احْتِبَاسُه

قُلْت ما شَاقه الخصب ولا عَافَ جَدِيبا انْحى عليه ارْتِكاسُه

إنَّما الخِصْب مُذْ رآه تهداه أَلِيفًا يُرُوقُه إينَاسُه

والجَدِيب الجديب أَخْصَبُ فى كَفَّيْه يَدعو لا عادهُ إغْلَاسه

ثم ثَابَ النُّهى إلى الرُّشْد واسْتَذْكر أَن البَلاءَ فى الكون نَاسُه

* * *

بالمعانى الكِبارِ ضَمَّخَها الإِيمــان فى مِثْل ضوئِه وانْعِكَاسه

فى الذي صَاوَل الزمانَ فلم يَقْهَرْه إِذْ طَال بالحياة مِرَاسُه

والكريم الكريم تـأْسِرُه الرِّقة منْ قَوْمه مَتَى عَزَّ بَاسُه

هُوَ كالماء إِذْ يَسيل وكالقْنٍّ الذي قَاد خَطْوَه نَخَّاسه

قومُه عِزُّه وفيهم هَــوَاه ذَاب فيه اتِّقَاؤُه واحْتِراسه

فَهُم الغَابُ يَحْضِن اللَّيْث إِعْزَازًا كما يحْضِن الغَزَال كناسه

حِين يَغزو اليَقين أَفْئِــدة الأَحْباب يَغْزُو قُلُوبَهم التِبَاسه

لا تَلُومُوا المُحِبَّ فى النَّهْب والسَّلْب فإِن المُحَبَ يَحلو اخْتِلَاسه

إِنَّ من يرشِفِ الضِّياء كَمنْ يقبِس مَعْنى يَلُوح فِيه اقْتِباسُه

أَحَرَام إِذا تَفجَّر بالسَّلْسال نَبْعٌ يُحْي النُّفُوسَ انْبِجاسُه

أَنا أَسْتَغْفر الإِلَهَ مِن الذَّنْب الذي كَادَ أَن يَغُولَ افْتِرَاسه

* * *

الـــنــادمة

قالتْ جَهِلتُ عناصرَ الزمن   وعِرَاكَها فى الرُّوح والبَدن
وحَسِبتُ أن الحُسْنَ مُتَّصِلٌ   أَقْوي من الأَهْوال والفِتَن
ورَعَيْتُــه لِأَعيشَ نُضْــرته   جُهْــدي أُخَلِّــده ويُخْلِدُنى
لا إِلْفَ يَعْصِر كَرْمَه فَإِذا   أَصْفى تَنقَّل فى ذُري القُنَنِ
إِلْف يُخَلِّفُنى على ضَعَــةٍ   فى حَوْمة الأَطْلال والدِّمَــن
إِلفٌ يقول بغير ما خجل   إنى قبَضْتُ أَطَايِبَ الثَّمن
دَانَــتْ لُبــانَتُــه فهونَّهــا   لِتَظلَّ بعْدُ رهينَةَ السَّكن
لِيَقولَ نفحُ الزهر يُسْكِرنى   وزَفِيفُ لَحْنِ الطَّيْر يَجْذِبُنى
ويقُول ماذَا لوْ أُمَــاثِلــه   فأَمِيلَ مِن غُصْن إلى غُصن
مِنْ أَجْل هذا عِفْت كُلَّ هَوى   إلا هَوَايَ الحُرُّ يحرسُــنى
لَا زَوْجَ ، عَيناه تُحاصِــرُنى   كمُعَلَّبٍ زَخَــرُوه للزَّمَــن
لَا نَسلَ لَا ولَدٌ رِضاعَتُــه   فَتَّــاكةٌ كالجَمْرِ تَحْرِقنى

واليومَ قد أَوَّبْتُ من سَفَر   فى رحلةٍ كالطَّيف فى الوَسن

وإذا الإهابُ الغَضُّ مُبْتَسِر   لـمُحنَّطٍ درَجُوه فى الكَفَن

والرُّوحُ حتّى الروح جَارَ على   إِشْعَاعِها جَذْبٌ مِنَ الوهن

فأَرِقْتُ منْ كَدَر ومِنْ ضَجَرٍ   وسئِمْتُ منْ سَهَرٍ ومنْ حَـزَنِ

وبَكَيْتُ عُمْرا كُنْتُ أحْبسُه   عَنِّى فَعاد اليَومَ يَحْبِسُنى

ونظرتُ فى المِرآة فاختَلَفَتْ   حتى هِىَ الأُخْري تُضَايِقُنى

وكأَنَّنِى من قَبْلُ لمْ أَرَهَا   وكأَنَّها من قبْلُ لَمْ تَرَنى

وأَسِفْت لَيْتى ما حفِلتُ بِه   وَهْمًـا أُصارِعُـه ويَصْرَعُنى

يا لَيْت لِى ظِلاًّ أفِىءُ لـه   فى غَمْرةِ الأَحدَاث والمِحَن

يا لَيْت للماضِى الذّي انْصَرمَت   أَيَّامُـه رَمْزاً يُذَكِّـرنـى

رَمْزاً أَري فى عِطْرِ زهرته   عُمْري يُجَدِّده . . . يجددنى

ذهب الشبابُ بِكُلِّ زَحْمَتِهِ   والحُسْنُ غَيْر بَقِيَّة الشَّجَن

* * *

عبيرها

وَلَقَدْ شَمَمْتُ عَبِيــرَها والَّلَيْـلُ حَتَّى الليل نَائِمْ
إلَّا أَنَا وأَنِينُ مَظْـلومٍ وأَنْفاسٌ مُصَعَّـدَةٌ لِظَالِمْ
ولَمَحْتُ طَيْفـا كَالسَّنَا كَالبَدْرِ ما بَيْنَ الغَمَائِم
قَال اتَّئِـدْ إِنَّ الـتى تَهْوَى تَحُفُّ بِها النَّسَائِم
نَشْوَى بِفِتْنَتِها وأَنتَ بِسِرِّها لا شَكَّ عَالِمْ
فَرجَوْتُه أَنْ لا تؤرِّقها الظُّنُون وأَنْ أَعِيشَ الدَّهْرَ حَالِم
وأَظلُّ بَيْنَ خَيَـالِها رَجْعَ الصَّدَى أَو وَهْمَ واهِم
أَنتَ المَلَاكُ العَـذْبُ أَو هِىَ أَنْتَ فَارْفُـقْ بالتَّوائِم
وابْسُط لها الظِّـلَّ الظَّلِيـلَ فإِنَّه الأَمَلُ المُـلَائِم
يا طَيْفُ تَحْسُدُها القَطَـا يَا طَيْفُ تَنْفُسُها الحَمَائِمُ
أَمَّا هَـــوايَ فأَنْ أَكُـونَ وفيَّها خَلْف العَـوَالِم
وأَصُـونُها فى جَفْنِ صَاحِى القَلْبِ أَوْ أَحْلامِ نَائِم
فَهِى الأَثِيرةُ بِالهَوى الغَالِى وَلَـوْ لَامَ اللَّــوَائِم

أيام خالدة

كُلُّ يومٍ له مَعَزَّةُ عامٍ   فَسلِي الجُمْعَتَيْنِ عنْ إلْهَامِي
كَيف فَاقَ السِّنِينَ تَرْكُ   ضُ بِالعُمْرِ سِراعًا أعْدَى منَ الآرام
كيف حَلَّ الوثَاقَ مِنْ زَحْمَ   ةِ الأَسْرِ وكَمْ عِشْتُ فى عِرَاكِ الزِّحام

* * *

كلُّ يَوْمٍ له مَعَزَّةُ عامٍ   أَنْتِ يا كَرْمَتِي وكَأْسِي وَجَامِي
وحَيَاتِي التى وجَدْت بِها الرَّو   ض نَدِيًّا مُفَتَّح الأَكْمَام
بَدَّد الوَحْشَةَ الكَئِيبَة فانْزَاحَ   تْ لَعَمْري سَحَائِبُ الآلام
إنَّها جُمْعَتَانِ بَلْ لَحَظَاتٌ   مُشْرِقَاتٌ مَرَّتْ كَطَيْفِ المَنَام
والْتَقَيْنَا خَلِيَّةً بِشَجِي   هَمُّهَا في رِيشَةِ الرَّسَّام
ولَهَا عُذْرُها فكَمْ مَوْرِدٍ عَذْ   بٍ جَهُولٍ بِلَاهِثٍ أَوْ ظَامِي
وأَنَا اليَوْمَ قَدْ حَمِدتُ لظَى الحِرْمَ   انِ فى بُطْئِها وفى الإِحْجَام
عِنْدما أَشْرَقَت علَيَّ كَفَجْرٍ   عَبْقَرِيٍّ يَفُلُّ جَيْشَ الظَّلام
عِنْدَما أَقْبلت علَيَّ رَبِيعًا   صَاحِيَ الزَّهرِ ، صافِيَ الأَنْغام
ورَوَى النَّرجِسُ المُشَعْشَعُ عَنْها   مَا رَواه سَاقى الطِّلاَ والمُدَام

وانْتَشَتْ مُهْجتى بِسُكْرَيْن سِحْـ رِ الفَنِّ فى لَفْظِها وسِحْرِ القَوَام

حَائِرٌ بَيْن لَهْفَتِى وهُيَامِي ورَحِيلي مِنْ بَعْدِ طِيبِ مَقَامِى

وريَاحُ الزَّمانِ تَهْـزَأُ بِالصَّفْـ وِ وتَجْرِي جَرْيَ اللَّظَى فى الحُطَام

فَصَفَى لِى يَا أَمْنُ كَيْفَ أُلاقِي عُسْفَ دَهْري وقَسْوَةَ الأَيَّام

سَوْف أَرْضَى من أَجْل عَيْنَيْك يَا أَمــنُ وأَطْوي عَلى هَـوَاكِ عِظَـامِى

فَمُنَى مُهْجَتِى رِضَـاكِ وحَسْبِى أَنْ تَدُومي فِى بَهْجَـة وابْتِسَام

وحَمَاكِ الزَّمانُ مَا لا تَـوَدِّيــنَ وسُهْدَ النَّوَى ولَذْعَ الغَرَام

ورَعاكِ الإِلـه يَا أَمن بالحُـبِّ نَقِيـا عَذْبا كحَبِّ الغَمَام

وإِذَا مَا سَمِعتِ صَـدْحَ كَنَارٍ فَهو مِنِّى تَحِيَّـتى .وسَلَامى

واذْكُرِينى فإِنَّ ذِكْـر المُحِبِّين شِفَـاءٌ مِن الضَّنَـا والسَّقَام

• • •

سبحات

يا رب

يا ظَلامَ الذُّنوبِ ضاقَتْ بك النَّفْسُ وضاقَتْ بذاتِهـا الآثـام

وحُرِمْت المنى وكُنَّ نِهايات رجَا ئِي وفي الرَّجَـاء مُقَـام

أين تِلك الآمَـالُ يَكْرُبُني اليوم صَـدَاهـا كـأنَّهـا آلام

طالَما قد حملْن في قلبِيَ الوَاهِي قلُوباً أَصْحُـو لَهـا وتَنَام

أَحْسَنَتْ بي ظُنُونَها وبِحُسْن الظَّ ن يا رب كَمْ تَدانَى مَرام

أَطْمَعَتْني إفْضَـالـه فتَدلَّلْت وزاد الإحْسَـان والإنْعـام

قُلْت يا ربِّ لم تُضَمْ برَجائِيَ النفس إذا رجَـوْت أُضَام

وتَغَالَيْتُ في الرَّجاء وما زلْت فَهَـلْ ذلك الغُلُـوُّ حرام

رب : لَوْ ضَاق باللَّئيم كرِيمٌ أيُّ معْنًى له يعِيشُ الكِرام

* * *

حنين لبيت الله

فــؤادٌ يعِجُّ بأَشْجــانه لِـدَرْكِ الحجيـجِ ورُكْبانهِ
وذِكْرى تَثُــور فيَطْغَى الشُّعور ويزْهــو فَخُـورًا بِوجْـدانهِ
وللذِّكْريــاتِ الصَّـدَى العبْقَر يُّ يُثيرُ الشُّجون بأَلْحانه
وبالذِّكْريــاتِ يُعيـد الفَتى حنينًــا تَقَضَّى بأَزْمــانهِ
وبالذكريــات يَجِدُّ السرو ر ويَطْـوي زمــانا بأَشجانهِ
فؤادِيَ أَقْصِر فَإِنــي أراك مُعَنًّى يَـذوبُ بِتَحْنَــانــهِ
وقد جاوز الرَّكْب وادِي النَّقا وجــازَ العقيــق بِوِدْيــانهِ
وما إن عهِدْتك نَضْــو السَّقا مِ ترامَى الغَـرام بأَحْضانهِ
وجاذَبَه الشوق نحْو الحِمَى ووادي (زَرُودٍ) بِغِـزلانــهِ
هل الشوق مِنْك لِتلك الموا قِف بين الحَطِيم وأَركانهِ
مواقِف يَحْيَا لدَيْهـا الشُّعو ر ويصْعدُ فيهـا بإِيمــانهِ

ويسطع فيهـا ضِيـاءُ الرجا ء كَعِقْد يضيءُ بِمُرْجـانهِ

تُجلجِلُ فيهـا وُعودُ الصَّفا ء ويَهْمى السرورُ بِهْتَـانِهِ

وتحْظى قلوبٌ بِصَفْو الوِدا د ويَسْعدُ شَعْبٌ بِجِيرانـهِ

صعِيـدٌ توحَّـد فيـه الشعو ر فَضَمَّ الحجِيـج بأَوْطانه

صعيـد توحـد فيـه المَرا مُ فأَذْكَى القـلوب بِنِيرانه

لتَمْثِيـل دين رفيـعِ العما د يُظِلُّ الشعـوب بأغصانه

سَـدَاه اتِّحـاد لِشَـدٍّ الأَواصِر بين الحجيج وبُلدانه

ودُستـوره الحقُّ هَدْيُ الرسو ل ونهْجُ الكتاب وفُرقانِه

وهدْمُ الفـوارِق أما الحُنُوُّ وأَسْـوُ الجراحِ فمِن شانِه

مبادئُ خرَّت لديها الجِبـا هُ ومُلْك تُدِلُّ بِتِيجـانه

وذاك لعَمْـرِيَ عصْـر الحيا ةِ تُبـاهي الحيـاة بأَزمانه

وبعد فإني أُزجِي الهنـا ء لرَمْز الجِهـاد وعنْـوانه

أُولئك قـومي أَشْـدُو بِهم كَمَا الطَّيْر يشْـدو بأَلحانه

لقد ثَار شَجْـوي وخَـفَّ الحنـين ودقَّ الفـؤاد بِشِريانه

وإنا لنَرْجـو دوام اتِّصَا ل ولاء الحجيـج بإِخْـوانه

ونرجو التَّضامن في مبْدءٍ يتِمُّ النجاح بإعْلانه
فحتَّام خُلْفٌ يُذيب القلو ب ويصْلِي النفوس بنِيرانه
وحتَّام لَوْعَةُ هذا الفِرا ق تَقُدٌّ الفؤاد بِصَوَّانه
أَجَلْ أَزِف الوقتُ في وَحْدَةٍ وهذا البشير بِتِبْيانه
فهلا نَثُور لِحفْظ الذِّما ر وردٍّ العدوِّ بِعُدْوانه
وهلَّا سبيل لدَرْك الفخا ر وفي العُرْب أَبناء تِيجانه
وهلَّا سبيل لِخَوض الغِمَار وسحْقِ الدَّخيل بأَعوانه
وللغرب مِنْ حولِنا ضجَّة يجوس الدِّيار بطُغيانه
وللشرق نَوْح كنوح الحمام وللوهْن رجْعٌ بآذانه
ضعيف القيادة رهْن الأَسار فأَنَّى يثور لسُلطانه
رقيق الحَواشي وما أَنْ يصُو ل بغيْر الصَّرامَة في شانه
عجيب أَتَخْطُوا الشعوب وتَسْمُو وذا الشرْق يلهُو بغِزلانه
أَمَا ثار فيه حَماسُ الجُدو د وأَذكى الدِّماءَ بِشَريانه
وذَا العَهْدُ أَبْلَج عَهْدُ المليك يفيضُ علينا بإِحْسَانه
ينير لدينا سبيل الرجاء ويلوي الزمان بِحِدْثانِهِ

في رحاب المدينة

جاهَدْتُ شوقي وكابَدْتُ المنى لَهَبَا ما عالجَتْها دِرَاكا أوسعُ الحِيَل
معـروقة بأَمانِيها مُرَقرَقَة كأَنها في المآقي حَيْرَةُ الأمل
وَجُدْتِ بالقرب من مَغْناكِ فأَتْلَقت نفس ترُوم المنى في فُسْحة الأَجل
فما أَطَافَت من القربى بشاشتها ولا اسْتطابَتْ وِصالًا فيك لم يَصِل
فَمَا وَهَتْ بِمعَانيها مَجنَّحـــة ولا استعارَت حُسَام الفارس البطَل
ولا تَلَمَّس فيها السرَّ مُطَّلِبٌ نـأَتْ به وَمَضَاتُ البارق العجَل
ولا تَهَرَّب منها الحُسْن في ترفٍ من البيان طَروبٍ راقصٍ ثَمِل
ولا استَطَار النُّهى إلَّا هَوىً كِلَفٌ بِحُسْنِك الفذِّ لا بالأَعْيُنِ النُّجُل

• • •

تلَمْلم الحِسُّ فى أَشجان مُغْتربٍ أَصْفى : فلا دَمْعَ مكْروب ولا جَذِل
وصاح بالحب يستَجْدِي روافِدَه فما أَصاخَتْ لآلامي ولا عِللى
وَعُدْتُ باليأْس تطْويني مواجِعُه أُكذِّب النفْس في ماضٍ ومقْتَبل
أُناشِد الرحمةَ الكبرى سرائرَهَا فكم تفيَّأْتُ منها وارِفَ الظُّلل
وما رَضِيتُ لنفسٍ أنت بارؤها من الغَنيمةِ يا مولاي بالقَفَل

• • •

أَجَلْ لقد عُدْتُ لم أنبس بِبادِرة مُكَبَّلاً حصِرًا لم تنطفِئ غُلَلي

سَبَحْت بالنفس تُضْنيها مواجِدُها سَبْحَ امرِئٍ لا أَخَا وهَنٍ ولا مَلل

وجَمْجَمتْ بالمعاني لا تُدِرُّ لها أَخلافها إن تَحامَتْ زحمة السُّبُل

حتى تيمَّمْت أَرضًا في مرابِعِها ربْعٌ يحوم عليه قَلبُ مُبْتَهِل

وأَعْيُنٌ كَرَفِيفِ النـــور يلثمها ضياؤها - لم يُرِمْ عنها ولم يحُل

عِفْتُ المرابعَ لم تكلف بها مِقَةً والطَّرْف في غيرها أَقسمْت لم يَجُل

حِسٌّ أَهِيم به مَعْنىً أَعيش له سِرٌّ تَلمَّسْت فيه مُنتهى أَمَـلي

وشيَّ الربيعُ الضحوك الحُلوُ سُنتُه كأَنه كلُّ يوم ٍ منه في حُلَلَ

هوًيَ تَلُثّ عليــــه كُلّ سارِيَة وطْفَاء راوِية فى العَلِّ والنَّهَل

موصولة بيَـد الرحمن واصلةٌ حباءَها : فوق سَهْل الأَرض والجبل

وَصَلْتُ رُوحي هنــا بالخِصْب فاتَّصلَت

ورُبَّ منفَصِــلٍ يَدْنــو بِمُتَّصِـــل

وأَدركَتْ نفسِي الحَيْري حَقِيقَتَها بِحِكمَة حِينُها المخبوءُ لم يَطُل

فقد أَهَلَّ رسول الله حين بَدَا هلال مولِدِه في حُسْنُ مُكْتَمَل

وشمت فى الأُفــق المجْلُو عَيْلُمُه مواكبَ النور فى أَعياد مُحتَفَل

* * *

مكة الحب الكبير

هَبِينِيَ أَ نَى واهِبٌ لك روحَه ... أمَا تلتقي عند الفِـداء الجَوانِح

أَمَا تستوي فى المورد الحُلو أنفُسٌ ... ظِمَاءُ وأُخرى في النعيم سَوابِح

وكلٌّ له فى ذِرْوة الحب منْزلٌ ... تَنَافَسَ في معْنـاه غَادٍ ورائح

فماذا تُسمِّين الهـوى وبـلاءَهُ ... أَكُلُّ شَجٍ يامِيٌّ عنـدَك صادِح

أَمَا يتَجَلَّى الحب بالحب ليْتَه ... تجلى لغنَّتْك الرُّبَى والأَباطِح

إذن لَدَريْتِ السِّرَّ لا ذقْتِ كربَه ... فما لذَّة الأَسرار وهْيَ بوائِح

خُذِيه من الأَنْفاس حَسْبُك عِطْره ... وحَسْب الهُيَامى ما طوَتْه الجَوارِح

خُذِيه من الورْقَاءِ فى الفَجْر آدها ... ثقيلُ الخُطَى والليلُ للهَمِّ فاضح

تذوب الحَواشي في حواشِيه والمدَى ... بعيـدٌ واسْرَاب المُنَى تَتَلامح

ونفْحُ الخُزَامى مِنْك ينْضَحُ لا النَّدى ... ولا الطَّلُّ ، إلا أَكْبُدٌ تتصايح

فرُدِّي لبُقْيا « كالثُّمَالة » رُوحُهَا ... تطالِعْك حبَّاتُ الدموع السَحائح

حنانَيْكِ يا ذات الوِشاحَيْن إنها ... وَشَائج في اللَّبَّات منْكِ وشائح

وتلك الحَنايا لو مسسْتِ شعاعهَا ... تهلَّل ملْهُـوف وأَوَّب نازح

وكالنَّاس آمالُ النفوسِ فَتَارَةً ... دوانٍ وحينًا قاصياتٌ نوازِح

وكالزَّهْر أعمارُ المحِبِّين تلتقى ... عِطَاشٌ على أَفْيـائه ونواضِح

وحسْبُ الهوى في بؤسه ونعيمِه ... مرابِـع أُنْس أَقْفَرت ومسارح

وحسْبُ المعاني الراقِصات طُيُوفُها ... دلِفْنَ قِصارًا والأَماني سوانح

ذكرتُك والدنيا بِكَفَّيْك رخْصَة ... سحائبُها إلا عليـك شَحـائح

وللعِزِّ أكنافٌ موطَّأَةُ الحِـمَى ... تَشَهَّى الندى فيها الزَّمانُ المُسامح

تقُولِين هلَّا طاف بالبيت طَائِفٌ ... «ومسَّح بالركْن اليمانيِّ ماسح»

أَجَلْ والذي سوَّى الحطِيمَ وزمزمًا ... ونَافَ «ثبيرُ» والهِضَاب الصَّحاصح

فمَكَّة من فـوق العُرانَيْن هالة ... سواء مُمَاس حولها ومُصَابح

هي المجد مجْد الله ضحْيان ساطعٌ ... صحَت في روابيه النُّهَى والقَرائح

وما عَشِيت إلا قلوب كثيفـةٌ ... وما أَبْصَرت إلا عُيون صحَائح

وهذِي الصَّحاري المخْصبات بجَدبِها ... لوافُح إلا للهُـدى فَنَوافح

هُمُو الناس أَهلُوها مقاما ومحتدًا ... مغاوِير أَمَّا في العُلَا فجَحَاجح

سيَأْوِي إليها المسلمون وإنَّهـا ... لجامِعَة في ظِلِّها نَتَصـافح

أَلا فابْعَثوها من حِمَى البيت صَيْحة ... فما عَزَّ إلا من حِمَى البيتَ صائح

هُنا البيْعة الكبرى. هنا سِرُّ أَصْلها ... هُنا فَضْلُها والحق أَبْلج واضح

هُنا تَشْمخُ الرَّايات زحْفًا مقدَّسًا ... هنا تشْرَئِبُّ العاديات الضوابح

• • •

إلى الحبيب الأعظم

رحمةَ الله هاكَها تنشُد الرحمةَ   نَفْسٌ شفيعُها أنت ذاتُك

إنَّها رحمةٌ مُجَسَّدَة السِّر   بِنُورٍ مِشْكاتُهُ مِشْكاتُك

إنها نفحةٌ تَجَلَّى بها الله   وفاضَت مِن فيضِها نفَحَاتُك

وصِفاتٌ من بارِىءِ الكَوْن في   الكون على كُنْهِهِ تدَلُّ صِفاتُكْ

سيِّدي سيد الأَنَام ولا فَخْر   نِداءٌ به يَلُظُّ عُفاتك

من قلوب توجَّهَت بك لله   وحتْمًا مرضاتُه مرْضاتك

مالَها مالَها سِوى حُسْنِ ظنٍّ   وَشَفِيعٍ يا سيِّدي أنتَ ذاتُك

والرِّحابُ المعطَّراتُ التي سِرْتَ   عليها فأَشْرَقَت خَطواتك

والذي ضَمَّ موطِنَ السِّرِّ في السر   حياةٌ دلَّتْ عليها حَياتُك

والثَّرى نافَسَتْه فِيك الثُّريَّا   حينما طَيَّب الثَّرى سَجَداتُك

سيدي ضِقْتُ بالذي أنت تدْريه   فَقُلها تُشْرِقْ بها بَسَماتُك

وقليلٌ من عفْوِه يَسَع الكُلَّ   وحَسْبي شفاعةٌ نَظَراتُك

وصلَاةُ الإِلَـهِ مَا ذُكِرَ الله   وما أَشْرَقَت علينا هِباتُك

بُرعمة الزهراء

بِرْعُمَـةَ الزهــراءِ والأَزْهَرِ وفَرْحَـةَ النيِّـــرِ والأَنْورِ
رَقْرَقَكِ النـــورُ بأَمْجاده سَلْسَلَهَـا الأَكبــرُ للأَصغر
ثم انْجَلت تسطـع في وَحْدة وامتَـزَج الأَصغـرُ بالأَكْبر
أَبصرها المُبْصِـر فِيما يرى يَسْبِقـه منها شَـذَى العنْبرِ
عقِيلةُ الأَعْلاق في معقِـــل حَصَّنَـــهُ سيفُ الأَبِ القَسْوَر
وحاطه الجَدُّ الذي في السَّما من جَدِّكِ المُمْتَدِّ في الأَعْصُـر
فَعَظِّمى ما شِئْتِ مَن شئتِـه ومجِّـدِي العُنْصُـرَ بالعنصر
وقَرِّبى المحْـرُومَ من مـوردٍ من دُونِه الكَـوْثَرُ في الكوثر
إِن الذي أَعطَى حظُـوظَ الوَرَى قد خصَّكُم فى الحظِّ بالجَوْهر
لِيسْـــأَلِ المحْبـوبُ محبوبَه وَيعْلَقِ المُعْسِـــرُ بالمُوسِر
قالوا حُرِمتمُ زائـــلا فانِيًـا وخُضْتُمُـوا الأَبحُرَ بالأَبحر
شرِبتُمُ الكأْسَ على قَسْوةٍ وأَكْـدَتِ الضُّمَّـرُ بالضُّمَّرِ

فاعتصَمتُم الخُلْد مقام العُلا — وصُنتُمُ التاريخَ فى الأَدْهُر

وقال مَن تدرِين عرفانَه — بالله فى المظْهَر والمَخْبَر

القادر العتْرة أقدارها — بسِرِّه من سرها الأَظْهر

ولا يرى الفَضْل سوى أَهْلِه — ولا يَرَي النورَ سِوَى الأَنْور

ولن تَرَوْا مِنَّة ذِي منَّةٍ — فإنَّها قاصِمَةُ الأَظْهُر

فَخَبَّأَ المكْنون من عِزِّه — لِعِزَّة الموقف للمحْشَر

للعالَم الموصول فى عالَمٍ — نائي المَدَى عن عالَمٍ أحقر

تعْرِفه الأَرواحُ في كِنِّها — مربوطَة الأَوَّل بالآخر

• • •

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله

سيِّدَ الكائناتِ فَخْرَ النبيين سلاماً من مُسْتَهامٍ شَجِيٍّ

لم أَشَأْها نوى طَوتْني على البعد قَصِيًّا ولم أكُنْ بِالقَصِيِّ

هِيَ سِرُّ الإله واللُّطْفِ والخَيْر فأَعْظِم بلُطفِه المخْفِيِّ

ها كَهَا والحَنينُ يَضْرِمه الشَّوقُ حَنيناً إلى المَقَام السَّنِيِّ

هي مِنِّي تحيةُ الأَمِلِ الظَّامِيءِ يهْفُو إلى الشَّذى النَّبَوِي

* * *

دار الهدى

لي في رُباكِ الخُضْرِ أَحْلامٌ ومِيثاقٌ وعهْدُ
ذِكْرى تُقَرِّبُهَا السِّنو نَ فيَسْتوي قُرْبٌ وبُعْد
الذِّكْرياتُ مثَارُها في النفـ س آمـالٌ ووَجْد
شَوْقٌ تُهَدْهِدُه المُـنى ويُثِيره بَرْقٌ وَرَعْدُ
وهَويً إذا هَتَفَت بـه وُرقُ الحِمَى لهبٌ ووَقْد
يا مَهْدَ أَحْلامي وأَحلامي لَدَيْك مُنًى وسَعْد
ومَجَالَ آمَالَ الشَّبا ب ومالَها في القلْب حَد
لم أَنْسَ والذِّكْرى الحَبِيبةُ في الجوانِح تَسْتَبِد
أَيَّام استَبِقُ الحيا ة ورَوْضُها عِطْرٌ وَنَد
أَقْضِي لُبَاناتِ الفُؤا د وهزْلُها في القَلْب جِدٌّ
الشِّعْر يخطر والهَوى والمُلْتَقَى جَزْرٌ ومَد
ورِحابُك الفِيحُ الحِسَا نُ على رُباها الطَّيْرُ تَشْدو
وظِباؤكِ العُفْرُ المِلا حُ تَرُوح لاهِيةً وتَغْدو

نِضْــوٌ على عَهْــد الهــوى يُضْنِيــه تَحْنَــانٌ وَسُهْــد

يهفــو بــه أَمــلٌ ويقعــ ــده عن الآمــال جهــد

للمسلميـــن الأَكْرمين هَوًى بروْضِــكِ يَسْتَجِــــد

طَــهَ ذخيرتُـــه ومَبْعَثُـــ ـــه وَوَرْدُ الحـــب وِرْد

مجْــدٌ إِرادَتُـــه المشِــ ـيئَة دُونَه فى الخُلْد مَجد

مَــا إِنْ تَعِيثُ بــه السِّــ ـنُون ولن يَصُــولَ عليه حَد

* * *

منزل الوحي

جادَكِ الغيْثُ أماناً وسلاماً ورِضاً سمْحاً ويُمناً وابتِساما

يا دِياراً حَلَمَ الغيْثُ بها يتحَرَّاها سحابا وغَمَاما

فإذا ما انطلقت أضْواؤُه ذَاب حبًّا فى مغَانيها وهَاما

شامَها بارِقَةً مَمْطُورَةً شَمَّها جبريلُ مِنْ قَبْلُ وشَاما

الشَّذى يأْلِقُ من لألآئها والسَّنا ينْضَح عِطْرًا وخُزَامى

والدُّنا تسْبح في أفلاكها تَعْبُر النُّور الذي يُنْسِي الظَّلاما

إنها الأضواءُ في دارِ الهُدى بَهَرتْه فرأى البرْق جَهَاماَ

ورأي القَطْر الذي أرسَلَه في الرِّحَاب البِيض في السَّفْح ثُماما

عاد مطوِيًّا على أعجازِه لم يطِقْ في زحْمة السِّر مقاما

لَكَفَانا أن نرى أطْيافَهَا وَنَريَ فيها لِياذًا واعتِصَاما

ونراها لمْحَةً من قَبَسٍ يغْمُر الكَوْنَ جَنُوبا وشَآمَا

ونرى الآثارَ من آثاره مَنْهجًا حرًّا وحبا ووِئَاما

ودعاءً وابتِهَالا ورِضا واصطباراً وصلاة وصِياما

إنه الحبُّ إذا أَوْرَيْتَــه ... باللَّظَى خاض عِراكاً وزِحاما

فإذا الأَبْعاد من آمـــادِه ... قد طواها القُرْب وصْلا وانْسِجاما

والهَوى الظامِئُ رَيٌّ ومُـــنى ... يُبْرِد اللَّهْفة حَرَّىٰ والأُواما

رُبَّ قوم هُجِّرُوا واستعْبروا ... وَأَغذُّوا السَّير وقْدًا واضْطِراما

سلَكُوا الدَّرْبَ طويلا والضَّنَى ... يُنْهِكُ الجسمَ نُحُولا وسَقَاما

وضِعــافٌ وُصِــلوا بالمصطفى ... حيث كان الوَصْل بالحُبِّ إِمَاما

المعانى البِيضُ من إشْراقه ... والسَّمَاحاتُ أَمــانِيٌّ عِظَــاما

والبُطولات التى قد رَكَّزَتْ ... فى السِّماكَيْن من الفَوْز حُسَاما

حزَموا الأَمجاد حتى استوثَقَــت ... حين شدُّوا فى الميادِين الحِزاما

إنَّهم أُسْدُ الشَّرى مذ أَقْدَمــوا ... رَفعوا بالنَّصْر تِيجَانًا وَهَــاما

الزُّحُوفُ الحُمْسُ في ساحِ الوغَى ... دَعَمَتْ جيشاً من الصِّدْق لُهَاما

مَثَلَتْ قائدهــا فاستَمْثلتْ ... وانْقِيادُ الحبِّ يأْبى أن يُضَاما

كيف لا تأْمَنُ في أَعطَــافه ... منْ عوادِي الدَّهْر غَدْرًا وانْتِقاما

كيف لا تَفْرحُ في سُلطَانِه ... أَعْيُنٌ نامَتْ بِقَلْبٍ لنْ يَنَــامَا

دوْلَة سلطانُها الحُبُّ ومــا ... غيرُه يضْمَن خُلْدًا وَدَوامــا

لا تَروعُ الفَضْلَ لا تُنقِصه ... لا ، ولا تُبْصِرُ في النَّقْص التَّماما

لا تُخيف الحُرَّ في مأْمَنِه ... لا ترى الحِلَّ على الشعب حَرَاما

يا أبَا الزهْراءِ يا خيرَ الوَرَى ... نفْحَةً توقِظُ فى الكون النِّيَاما

يا أبا الزهراءِ لن أَسْطيعَها ... زفْرةً فَحَّتْ لهيباً وضِـرَاما

قصُرت أنفاس من ترضَاهُمُو ... من كِرام وَسِعُوا مثلي اللِّئامـا

قدَّموا بين يدَيْ نجواهُم ... طَيِّباً سمْحاً وقدمتُ أَثَـاما

وجدُوا أنفسهم في وَجْدِهِم ... ووجدْت النَّفْسَ نُقْصانا وذَاما

رحمةَ الله التى فَجَّـرهـا ... من معانيك أجَاوِيد كـراما

مثلُوا الخيرَ الذي تَرْضَى به ... مِثْل ما أنت ثِمَـالٌ لِلْيتَـامى

وَرَعَوْا حقًّا وَأحْيَوْا أنفُسًا ... مِنْ ضِعافٍ وشُيوخ وأيامَى

جبَرُوا الكسَر وحَدُّوا من أَذَي ... زحْمـة الفَقْر قُعُودًا وقِيَاما

لم يجودُوا رَغَباً أو رَهَبًا ... بل رَعَوْا في الله إلاًّ وذمَاما

كمْ أيادٍ في الندى مرْدُودَةٍ ... وكَلامٍ ليتَـه كان كِلاما

وَمَنَانًا أَنْ نَرى في حُبِّهِم ... حُبَّك الصاحي بَرْدًا وسَلاماً

فابْسُطِ الظِّلَّ عليهم وارِفًا ... لِيكُونُوا بِك رِكْنًا ودِعَاما

وَهَبِ الرَّاجين ما يرْجونه   رحمةً منك وحظًّا ومَرَامـا
سيدي عنّي وعنهم معْشَرًا   أَوْثقَتْنا عُروةٌ تأْبى انفِصَاما
من تَحَايا الحب من أعْرَاقه   لهْفَةً حرَّى وأشواقا جِسَاما
لَمُصَلاَّك إلى مِحْـــرابه   لِرُبى سلع الذي يشفِي السَّقَامَا
لقُبَاءٍ لمَغَاني أُحُــــدٍ   سفْحهُ المُمْتدُّ أَمجادًا عِظَاما
للعقيق الحُلْو من عقْيــانِهِ   رَقْرَق الفَرْحَة شَهْدًا وَمُدَامَا
والهوى العذْرِيُّ في أرْجائه   طالَمَا أَطْرَب في الأَيْكِ الحَمَاما
والنَّدامى وَالْخُزَامَى والدُّجى   ضَجَّة تمزجُ بالنور الظَّلاما
جحَدت فجْراً وعافَت أَنْجُما   ترقُب الأَسرارَ نجْوى وغَرَاما
والمَغَانى ذَوَّب الشِّعْرُ بها   سِحْرَه فانسَكَبت جَاماً فَجَاما
عرْبَدَت بالْفَنِّ نهْباً والدُّنَا   تنْطَوي في نفْسِها عاماً فَعَاما
معْبد في اللحْن من معبَدِها   وغَرِيض لا تَسل عنه الخِيَاما
إنهـا صورةُ أُنْسٍ غامِـرٍ   زمْجَرَت بالحب عُنْفا وَعُرَاما
لم تكن إلاَّ دعاءً حَـائرا   لم تكُن إلا صلاة وسلاما

• • •

التوبة التائبة

أتُوبُ من التَّوبة الخائفة وأَرْجوكَ توبَتَك العاطِفَة
لأن مَتَابِي إليك مُريب مَتَابُ الحَذُورِ من العاصفة
وجَرَّبْتُها يا إلَه الوَرَي زَوَاجِر للشَّهْوة الزَّاحِفَة
فعِنْد اشْتِدَادِ الكُروبِ الثِّقَالِ أَمِيل إلى التَّوبةِ الخاطِفَة
فَدَعْني أُنِبْ يا إلَهي إليك من التوْبة الفجَّةِ الهائِفَة

• • •

وأَحْلى المتَاب الذي يُشتَهى مَتَابُ التَّعَبُّد في الطَّاعة
كَمُسْتَغْفِرٍ فَرِح قانِتٍ وأَعْظِم بها نَشْوة القانت
دعاءٌ هُو الذكر تجري به قلوب مِن الشَّوق فى زحْمَة
وبِى حالةٌ غامِضٌ أَمْرُها أُحسُّ بها أعمَقَ الذِّلَّة
غداةَ أُقارِفُ ما لا تُحبُّ أُحاذِر ذِكْرك من كسْفَتى
وينعَقِد القلب حتَّى اللِّسان وَأَغْرَقُ في أَلَمٍ صامِت
وأَخْجَلُ من لفْتَةٍ للسماءِ لأَسْتَغْفِر الله من زَلَّتى
وتُثْقِلنى ظُلُمات المعاصي عَن الفرْض فَضْلا عن السُّنَّة
فجاوزْ بِنا العدل إنا ضِعَاف وسَعْنا بعفْوِك والرَّحْمة

أحلى ربيع

بِالَّذي فيكِ يا سماءُ أَطِلِّي حسْبُنا يوم عِيده أن تُطِلِّي

إنَّه أنت يا سماء وسِرٌّ المجْد باقٍ في كلِّ جُزْءٍ وكُل

فأَهِلِّي بالخير نُوراً لعينيهِ وقُولِي لكل وطْفَاء هِلِّي

وابسُمي تبسمِ الحياةُ ويَفْتَرُّ دجَاها عن فجْرِه المخْضَلِّ

إنَّه إنَّه الربيع المصفّى ناسِج النور من هُدًى وتَجَلِّي

باعِث الحب قوَّةً من قوى الخير تَلاَقَى فَرْعٌ عليه بِأَصْل

نَتَرَجَّى ربيعَ مولِدِه الحُلْو وميعادُهُ بفَرْحَة طِفْل

نَتَحرَّى ذاك الضُّحَى الأَبيض السَّمْح صباحَ الهدَى السَّرِي المُطِل

العيون الظَّمأَى إلى ورده العَذْب تَرَانيمُ حَالِمَاتٍ تُصَلى

والصَّبايا على الضِّفَاف المُطِلاتِ ظِباءٌ تَرِفُّ رقَّة ظِل

والمَهَا العِينُ حولهُنَّ تواثَبْن وَطُولُ السُّرَي يُمِرُّ ويُحْلِي

والْتِئامُ الكُروب في هجْعَة اللَّيل التئَامُ الحياةِ شَمْلاً بِشَمْل

ولِقَاء القُلوب وحَّدَها الخَطْبُ صدى نورَّتْ مجاهلَ سُبْل

قد وهَنّا ولم نَهِن حسْبُنا الصَحْو فما كَان ضعْفُنا ضَعْفَ ذُل

نَتَحَدَىٰ ولا يَطِيقُ التَّحَدِّي غيرُ مسْتَعصِم بأَوْثَق حَبْل

نتحدَّىٰ عناصِر الشَّر زَحَّافًا على أَرْضِنا بِخَيْل ورَجْل

نتحدىٰ قَذَائفَ الوبلِ تنْصَبُّ انصِبَاب الشُّواظِ كالمُهل يغْلِي

إنه الشوقُ يا سماء إلى الغيْث فوفِّيه واكِماً غيْر ضَحْل

ابْعَثيه هدِيَّةَ المَولِد الأَسْمى فطه يُهْدِي الجميلَ ويُوْلي

وابِلاً هادِرَ الشُّعاع كما أَهداه من قَبْلُ وابِلا غير طَلِّ

وابْعثيه سخِيَّة فأَبُو الزهراء خِصْبُ في كلِّ حَزْنٍ وسهْل

نحن أَهلُوهُ وهو من قبْلُ أَوْصَى خيرُكم خيرُكم لِرَبْعٍ وأَهْل

إيهِ ربَّ السماءِ شفِّعه هل غير حبيب السماءِ أَرْضَى لِسُؤْل

قد لَوتْنَا الحياةُ مُذْ صرح الشر فعِشْنا أَنضاءَ لَيٍّ وَمَطْلِ

وشرِبْنا على القَذَىٰ وشَرَابُ الهِيمْ[1] أَوْدَىٰ[2] بِكُل قلبٍ وعَقْل

وركَضْنا إلى البَلاءِ وما زال جَحيمًا يكْوِي النفوس ويُصْلِي

واستَرحْنا بَلاَدَةً وغبَاءً لِهَوى النفس والضَّلال المُضِل

وانتَشيْنا بِالرَّاح دارَ بِها الواغِل في عِرضنا بِغَيٍّ وجَهل

(١) الهيم : الابل العطاش .

(٢) أودى : أهلك .

ورقصْنا على الأَنين فَعُدْنا   كَصِغَارٍ تهفُو لِزَمْرٍ وطَبْل
ونَسِينا تلك العَراقَة أَخلَيْنا   ذَرَاهَا لِكُل أَهْوَجَ نَغْلِ
وشُغِلنا عن النِّضَالِ عن الخَير   وهِمْنا في حبٍّ نُعْم « وجُمْل »
ومشَيْنا فى ركْبِ مَن جانَفَ القَصْد   عُتُلٌّ يقول فينا ويُملي
واستَبحْنا نفوسَنا فاستَراحت   لِهَوِيً كاسِرٍ وعُجْبٍ وبُخْل
أيُّ حبٍّ فى الكون ما شَعْشعته   شَمْسُ طه فى صحْوِها المُشْتَعِل
فإذَا هامَ بالرَّبيع أُناسٌ   ثُمَّ عَبُّوا عَيْبَ نَهْلٍ وَعَلّ
وإذا أَغفَت الطبيعة نَشْوَى   بين أَحضان ياسِمينٍ وفُل
وجَرَي فى اللُّحاءِ من خالِص   المُزْن رُوَاءٌ كالعَسْجَد المُنْحل
وتناجَت حمَائِمُ الأَيْك تَنْسَابُ   حنينًا فى عُنْفُوانٍ ودَل
وتَلاقى الأَصِيل بالشَّفَق القَاني   شعَاعًا يمُوج فى غُصْنِ نَخْل
كرَحيقِ الحنان كالدِّفءِ كالبُرْءِ   كخِصْبِ الحياةِ من بَعْد مَحْل
فهي إشراقَةُ الربيع السَّماوِي   تَجلَّت في سِرٍّ بَعْدٍ وَقَبْل
في الجَمال الصَّاحي الكبير تهدَّاه   جلال بادِ المحجَّة رسْل
المغاني بَيانُه والمَثاني   عَطِرات ألا لنفْحِه المُنْهَل

لاَ تغِبْ يا ربيعُ بالروح نَفْحاً   فذُو الفضْل لا يَضِن بفَضْـل

لا تغِب يا ربيع إنَّا إذا غبْت   حَيَارَى ما بين فَصْل ووَصْل

لا تغب يا ربيع إنا إذا غبت   يتَامى كأنَّنا صَمْت لَيْل

مزَّقتْنا الأَحداثُ تمْزِيق أشلاء   تهَاوت ما بيْن عُدْم وثُـكْل

كنْ ربيعَ القلوبِ يامولِدَ الخير   وبارِكْ صِدْقَ الحديث بِفِعْل

كَمْ تمنَّيتُ أن أكون كما أهْوَي   بِروحي غِرِّيدَ أعْظِمِ حَفْل

غَيْر أن المقامَ أسْمى لَعَمْرُ الحقِّ   منى فاقْبله جُهْد مُقِــــل

لم أُرِدْها تهانِئاً بل صلاة   وسلاماً فَذَاك أحْرَي بِمِثْلي

فاقِد الرُّشد طَالع الخَطْو آثامي   كِبار فى كل موْطِيء رِجْـل

قَعدتْ بِيَ الذُّنوب حتى إذا ما   صِرْتُ ظِلاًّ لِهيْكل مُضمحِل

نازَعَتْني إلى الرِّحاب الكريمات   رَجَاوَي شـيْخٍ ولوثة كهـل

غيرَ أنِّي وقد تولَّى زماني   حائرٌ حَيْرَةَ الزَّمانِ المُوَلِّي

فأنا اليوم عند بابِك يا رب   بَريئاً من كلِّ حَوْلٍ وطَوْل

سابحاً في العُبابِ أجْأَرُ مَنْ لِي . يا إلَهَ السماءِ غيرَك منْ لي

• • •

هـاهنا الملتقى

ها هُنـا المُلْتقى وَثَمَّ المَآبُ ليس فى هذه الرِّحابِ اغْتِراب

ها هنا الوُحْدةُ التى فَرَضَ اللهُ وميثـاقُها الهُـدي والكِتابُ

هدَفٌ واحدٌ وظِلٌّ ظَليل لا افْتِراقٌ لا ضَـدُّةٌ لا كِـذاب

لا طُقُـوسٌ ولا مَراسيمُ رَعْنَـاءُ ولا جَـوْقَةٌ ولا أَرْبَـاب

فَدَعـوا للنفوسِ فِطْرتَها الأُولى فقـد فُتِّحَتْ لها الأَبْـواب

فى السماءِ السماءِ حارسُها الأَعظم لا تَسْتَريب . لا تُسْتراب

صانَها المَنْطِقُ الحضَاريُّ بالإِيمـان لا راهِبٌ ولا إِرْهَـاب

أَطلِقـوا هذه الرِّحَابَ فَمَا فوْق عُلاها على الأَديم رِحاب

نبْعها يلفِظُ القذَىٰ وسَناها عبْقريٌّ النهـار . غَضُّ شباب

والسَّحابُ السحابُ ريُّ هواها وحْدها وهو فى سِواها خِلاب

والهدى اشْتاقها فأَسْكنـه اللهُ رُبَاها وللطُّـلاب طِـلاب

شُعلةٌ سهلةُ الروافِـد لا تنْفَكُّ مشْدودة إِليها الرِّغاب

والرِّيادات والقِيادَات فى الآفاق موصـولةٌ بها الأَسْباب

والقَرَابينُ والضَّحَايا لِمَن ذَلَّت لـه وحدَه النُّهَى والرِّقاب

آمنتُ واليقيـنُ أَبْلجُ لا تسطـعُ إِلا بنـوره الأَلْبَـاب

• • •

موْكِب الروح لا تَحُد مراميــه حُدُودٌ إن الحدودَ سَرابُ
موكب الروح شأْوُه فوق ما تُلْمَح تلك الذُّرَى وتلك القِبابُ
الرَّواسى دِعامُه والاواذي مُلْتقـــاه والآصراتُ عُبَـابُ
والهَدِير الجَبَّار زمْجَرة الإيمان ماجَتْ فى دَفْقِـه الأَصْلاب
والشَّذى من كَيانِها ضَمَّخَ الكونَ فما مِثْله شَذًى . أو . مَلاَبُ
شَائعُ النَّفْحِ لا الكُهوفُ تَوارتْ عن سَناه ولا تَنَاءَت . . شِعاب

• • •

ها هنا ها هنا تُوَفَّى الموازينُ كما تمَّ بالكمال نِصَــاب
ها هنا تسْطعُ الحقيقةُ لا يعْبث فى ضَوئِها العَظيم ضَبـاب
ها هنا ينطقُ الوُجُودُ فلا يحجُب أَسرارَه الكِبارَ حجَـاب
إنَّها إنها تَعَاليمــه الأُولى وأَحْقَــابُهـا هى الأَحْقـاب
لم تضِق بالنفوس لكنَّ نفوسَ الناس ضاقَت فَمَسَّها الإِجْداب
واخْضِرارُ القلوبِ كالشمس لا يعْبَث إلَّا بِدفئها الإِخْصَاب

• • •

خَاب مَنْ يربِط المَهازِلَ بالدين فَزَيْفٌ طِلاَؤُها . وخِضَاب
والصَّفاءُ الصفاءُ لا يَلِد الرَّنــقَ ولا تسْتفِـــزُّه الأَوشَـاب
لا يَضُرُّ الآجَامَ فى الغابِ إذْ تعْـوِي ذِئابُ أَو أَن تهِرَّ كِلاب
ها هنا المُلتقى صَعيدٌ طَهـورٌ تتَـلاقى فى ظلِّهالآرَاب

وقلوبٌ كأنها ألق المُـزْن تَساوَى شَهودُها والغِيـــاب
وحَّدتْها جوامِـعُ الكَلِم الطَّيِّب بارَى إيجازَها الإطْنــاب
فالتَّعاليِمُ فى مَهَابط وَحْي اللهِ عَـدْلٌ وحِكْمـةٌ وصــواب
والهُداة الهُداة آطَامُه الكُبري يُدَوي بها الدُّعاءُ المُجَـاب
لا دُعَاةٌ تهزُّهمْ عَنْعنـاتٌ قِيل عنهم بأَنهم أقْطَــاب
إنْ أَقطابَنـا الدُّعاةُ إلى الله فلا طَامِـعٌ ولا نَهَّـــاب
لم يدُم فى رُبوعِنـــا الفيحِ دَجَّالٌ ولا خَادِع ولا نَصَّاب
قَد تَهاوت أَصنـا م مكَّة لم تَحْمِ حِماها الأَزْلامُ والأَنْصَاب
يا ضيوفَ البيتِ الذِي فى مغانيهِ أَمانٌ ورحمةٌ ومثَــابُ
مِنْ هنا جَدِّدُوا العهودَ فعهدُ الحب طبعٌ لا خلسةٌ واغتصابُ
بايعوا اللهَ من جديد كما بايعَ فى عهد أَحمـد الأَصحابُ
واحزِبُوا أَمركمْ وثِيقًا فحـزبُ اللهِ تفنَى من دونهِ الأَحزابُ
إنَّنا صَوبَ قِبلَةٍ تَسـاوىَ فى حماهَا الأَعجامُ والأَعـرابُ
وطن المسلمينَ شرقًا وغربا ليس فى موطِن الهُدي أَغرابُ

* * *

يا ضيوفَ البيت الذي فى مغانيهِ أَمانٌ ورحمـةٌ ومَثَـابُ
إن فَوْق الإحْساس بالحب إحسَـاسا عمِيقا هو اليَقِينُ العُجَاب
كَيْف لا تَسْطع القلوبُ وفى الموكِب طَه ولِلْأَحِبَّا اصطِخَاب

والمُلَبُّون فى ذُرَي عرفاتٍ باركَتْهـم وِدْيانُها والشِّعـاب
وتَحرَّتْهُموا الملائكُ أَسْرابا تَبَارتْ فى شـوقها أَسْـراب
يا لَهَذَا الرِّكاب سالَتْ بها البطْحـاءُ زَهْوا هل مِثْلكُن رِكاب
لم يُخامِرنِىَ ارتِيَـابٌ بأَن الله مَعَنـا والابْتِهـالُ مُجَاب
نحن فى ساحِ قَبْضـةٍ نَتَحَـرَّى كيف نُثْنِي أَعطافَنَا ونَهَاب
كيف لا نَقْبض الزِّمام ونَسْتَنْجِـزُ وعْدًا قد طال فيه ارتِقَاب
إن مَضىٰ العمرُ دُون قَطْفِ جَنَاه سوف يَجْنى ثِمَارَه الأَعقاب
فالظلامُ الظلام طال دُجَاه وتوالت بعـدَ الصِّعاب صِعَاب
وعُدَاةُ الإسلام قد وسَّعُوا الخَرْق وغرَّتْهمُوْا البُروقُ الكِذَاب
وغَرَتهم من الضَّلال أَباطيل فَسَـاروا كَما يسير الغـراب
إنها راية الضلال تغشَّتْهـم ظَلامًا وطعْمُها الأَقْمَـاب
إنهم فى البَـلَّاءِ أَعْـدى وأَنْكَى إنهم للضِّرَارِ ظُفْرٌ ونَاب

* * *

إيهِ ربَّ الحجيجِ قدْ مسَّنَا الضرُّ ومستْ شِغافَنَا الأَوصابُ
كل يوم فى المسلمينَ نشازٌ رجَّعتْ لحْنه السِّنُونَ الغِضابُ
وجَرَت فى الدماءِ من دمٍ ساقيهِ زُعَافٌ يفْري الكُبُودَ وصَاب
فَهَبِ المُحْرِمين شُعْثا لأَعْتَابِك رحْـمى فإنك الوهَّـاب
ما خلَت أُمَّة النَّبِيِّ من الخيـر وما زَال فيهُمُـو الأَنْجابُ
عَلَّ فى الحج نُخْبَـةً قد تقبَّلْتَ دُعاهم فَيَشْفع الأَنْخاب

* * * *

يا إلَهَ الحجيجِ نَفْحًا فإنَّا فى طَنِين كما يَطِن الذُّباب
فوقَ هذا الثرَي مشى صحبُ طَه خلفَهُ والهدَى عليهمْ قِبابُ
فأَضاءُوا كمَا أَضاءَ الشهابُ وتهادوْا كما تهادَي السحابُ
أيُّ تِبْرٍ هذا الترابُ الذي ساروا عليه إذاماتحدى التراب
وإذا فَاتَنَا ادِّكار المَواضى فى وغَاهُم فالقَوْس والنَّشَّابُ
إنه رمز قُوة والْيَقِينُ الحَق فى الحرب زادُهم والشَّراب
وسِلاح الإيمانِ أَمْضَى فما تَقْوي على فلِّه الْقِنَا والحِراب

* * *

إيه رب الحجيج سِعْنا بِرُحماك ومن رحمة الكريم الحِسابُ
يا إلَهَ الحجيج صَال البُغاث النُّذْل فينا لمَّا جَفَانا العُقابُ
ورضينا الهَوانَ والمؤمن الحُرُّ عَيُوفٌ فَهَل دَهَانا المُصَاب
يا إلَهَ الحجيج جاءُوا : بإِفْكٍ لم يُنَزَّلْ به علينا كِتاب
ادَّعُوها حضارة وعَمَاراً وهْى فى الحقِّ فِتْنةٌ وخَراب
ورَمُوْا بالْجُمودِ مَنْ لم يُزَعْزِعه انحِراف أَو يعْتَريه اضطِراب
وتَغَالَوْا فأَنْكَروك جِهارا واسْتَبَاحوا ما تستَبِيحُ الدَّواب
إنهم بَاطِلٌ يزول ويَبْقى وجهُك الحقُّ والهُدي والصَّواب

* * *

يا إله الحجيج عَوْنًا يُؤَلِّفنـا بما لَمْ تُؤلِّفِ الأَنْســاب
كل من نازَعَتْــه للحكم نَفْسٌ فالمَفَــاتيحُ ثَــوْرَةٌ وانقِلابُ
والضَّحايا غَنَائِم والقــرابِين لَعَمْرِي هاتيكُمــوا الأَسْلاب

* * *

يا إله الحجيج إنْ عَجَز القول وحيدا هل يعْجَزُ القرضَاب
رُبَّ حَرْبٍ يؤُوب بالسِّلمِ والغُنْم وسِلم على الخُنُوع عَذاب
يا إله الحجيج إنّا على الباب وُقُــوفٌ ولن يَضِيــق الباب
فأَلِظِّى يا أُمــة الخيــر بالنَّجْــوى دعاءً وليَضْرع الأَحباب
إن أَسْلافنا الأُلَى رفَعُــوا الرَّاية بالحب قَبْلنــا ما خَابوا
والمُلَبُّــون أَقْرب الناس لِلرَّحْمَى وما يُخْطِىءُ القلوبَ الجواب
لا تقولوا جَلَّ المُصَاب فَلُطْفُ الله أَرْجَاه إذْ يَجِلُّ المصاب

* * *

وصلاةٌ على الحَبِيب الذي حنَّتْ حَنِينــا له الجُذوع الرِّطَاب
والذي سبَّح الحصى والتُّرابُ فى يَدَيه كأَنَّــه الترحاب
ثم غَنَّتْ شوقا إليــه الرَّبَاب فشَجَاه حنينُها المُنْســاب
وبَنَاتُ النَّجَّار لحْن جميــلاً هَدْهدَته أَرواحُهُن العِــذاب
أَبْشِــروا إنكم طلَائعُ نَفْــعٍ طَاب فيها السُّرَىَ وطاب الإِياب

* * *

من وحي الذكرى الخالدة

يا مَنْ رأي مَجْدَ السَّماءِ وَنُورَهُ ... مُزنا تَضَاحك فى أسَرة أحمد
ورأي الكواكبَ والبُدُور تـألَّقت ... بجَبينـه المُتَشعْشِـع المتَوقِّد
فالرَّحمة الكبري تُغرِّد فى يد ... ونُبُوة الأَمجاد تسْطَع فى يَد
وإذَا العَوالِم غايةٌ ووسيلَةٌ ... موصُولَتَـان بِمجْده المُتَجَدِّد
فَروى الخَلاَئِق للخَلائِق مَشْهدا ... عجبًا تعلَّق يومُه بِضُحى الغَد
وتطَاولَت أفلاكُها وتَسـامقَت ... واهْتَزَّ سَامِرُهَا لِبُشْرى المولد
والحالِمُون على السَّحاب تَنَدَّروا ... فلقًا يشِـع بِسُنْدُس وَزبرْجَـد
وهَفَتْ ملائكةُ السماء وشَاقَها . . ... مَا شاق كل مُسبح ومُغـرِّد . .
وسَرَتْ على الأَكوانِ فى غَسق الدُّجى ... نَسَماتُ فجرٍ عبْقـريٍّ سَرْمد
وتعانقت أَرواحُهـا وتخاصرَت ... آمالها فى رحمـة وتَوَدُّد
واستبشَرت حتى الأَجِنَّة أفْصحَتْ ... عنها وُجوه الغانِيات الخُرَّد

* * *

يا من رأى سِرَّ الوجـود كأَنَّه ... شَمْسٌ ترنَّحُ فى غِلاَلةِ عَسجَد
الله فى الرُّوح الأَمينِ مَشَى بها ... فى ذاتِه : لِتَكُون ذات مُحَمَّد
الله فى إيمـانِه وأَمانِـه ... الله فى إبداعِه المتفـرِّد

الله فى أخـلاقه مَنْفـوحة بِشَذى من القرآن حُلْو المَوْرِد

طَابت بها فى الخلْد كل أَرُومةٍ كَرَم النِّجار على كريم المحتدِ

وترعرعتْ فى المشْرِقين خَمَائِلٌ رُوِيت بمجد فى الزَّمان مُخلَّد

واستأْثَر الوجْد المِلحُّ بأَنْفُس لَهفَى تحيط برَكْبِـه المتوجِّد

نضاحَة القَسَمات تهتِف بالمُنى عظُمت فَفَاض بِها هوَى المُتَزيِّد

زفَّت إليه الحب مِلْءَ جوانح مَوَّارة بِلُجَيْنهـا المُتَـورِّد

سكبَت عليه الراحَ من نشوَاتها أَلِقُ الضُّحى فى السَّمهريِّ الأَملَد

وترفَّقت بالطَّيف فى سُبُحَاتِهَا فإذا الْخَيالُ حقيقةٌ فى الموْعد

وإذا صَحَا أَملُ القلوب على النُّهى بلغ المدى فى أَوْجِه المتَمَرِّد

وشأَى السِّماك كأَن فى آفاقِه هَدَفا : تمثَّل فى : أَوابدَ شُرَّد

هدفُ العظائم فى العَظِيم رسالةٌ هان الفِداءُ بها وعزّ المفْتدِي

ومضى بها نُورُ اليَقِينِ يَصُونها هَادٍ أَمينٌ لا يضيقُ بِمُهْتـدي

بالحِكْمة المُثْلى سِلاحُ جهادِهِ لا باللَّجَاجِ ولا بِحـد مُهنَّد

بالحب عَاطف بينهم فى مَشْرَعٍ صَفْوٍ يروح على الوِدَاد وَيَغْتَدي

وهَبَ الحياةَ عزيزةً وَسَرى بِها مَسْرى الجَدَاول فى الظِّلال الْمُيَّد

تصِل الوشائِج بالوشائج فى هَوىً ... سمحٍ كمَنْغُوم اللقاءِ مُهَدْهِدِ

وعَلَى المواكبِ للمشاعل فرحةٌ ... تجْلو المباهِج مَشْهدًا فى مَشْهد

لا تَسْتفيق من السُّلاف : حلاله ... أبْهى وأمتعُ من سُلاف مُعَربِد

كلُّ الرَّوائع مِنْ مَناهِل كفِّه ... دَفْق حَكَاه متهم عن مُنْجِد . .

وخصَائص وسِع الزَّمان حِبَاؤُها ... حَطمَت سُدود مُقيَّدِ وَمُحَدِّدِ

ومُنَى الكريم : كرَامةً يسْمو بِها ... إنْسَانها عن حَيْرَةِ المُسْترفِد

ما كان دِينُ محمدٍ شَكْلًا ولا ... رَسْمًا تضاءُ له شُمُوعُ المَعْبد

لكنَّه الإنْسانُ فى أبعادِه ... فى مجْدِ معْنَاه السَّرِيِّ الأَبْعد

فى كنْزِه المذْخور غير مُهَدَّر ... فى رُوحه الرفَّاف غير مُصَفَّد

فِيما يشِفُّ له الْوَلَاءُ مُمَحَّضا ... لا فرْق بين مَسُودِه والسَّيِّد

فى الآصِرَات تجمَّعَت وتآلفَت ... فى الأُمنِيات على السُّرى المتوجِّد

للموطن الأَسْنى عقيدةُ وامِقٍ ... فى موقِفٍ جَمِّ الْفَخَارِ مُؤَيَّدِ . .

وحي العقيدة فى مهابِطِ وحْيِها ... من بيته المعْمور حتى المسجِد

متنفَّسًا لهوى الشباب وعهدِه ... ومدارِجِ الاحلام مَرَّت فى«دَدِ»

ليسَتْ سِواه حقيقة فى صُورة ... مشدودة لِكَيانه المُتوطِّد

ليسَت سِوى الحب الأَصيل مُجرّدا ... للمصطفى فى الموقِف المتَجَرِّد

حبُّ اليقين تدَافعت أمواجه لا حُبَّ مضْطَرب الحشَا مُتَرَدِّد

نديٌّ البراعِمِ والأَزاهِرِ والسَّنا والظِّل فى صُبْح أغرَّ منَضَّـد

وسَقَى العُهـود الوالِيَات لِعَهْده عَذْبا صَرَاحًا منـه غير مُصرَّد

فصَحَت على صَحْو الربيع حدائقٌ أَحَدَاقُها مـن حُرْقةٍ وتَنَهُّـد

ومشَى بها التاريخُ يغسِل نورُهُ بُقْيا أثَامٍ فى ضلالِةِ معْتِـد

ويجول فى الأَعْمَاق يزرع سِرَّه بَين القِفار الجرْد : بين الفَدْفَد

حتَّى اسْتراحَ الخافِقَان لِراية بَيضاءَ : إلاَّ طُغْمةً من حُسَّدِ

عاشَتْ على الداءِ الدَّفينِ حماقَةٌ موروثةٌ فى خامِل أَو : قُعْدَدِ

بالمكر تنفُثُ سُمَّـها وتُرِيشُه سَهْما يَلوكُ ضَغِينـة المتَلَدِّد

حتى تكسَّرت النِّصَال ولم تَزَل تَنْدسُّ فى اللهَب القمىءِ الأَسْود

محروقة القَسَمَات أَجْفل «طعمُها» من صيْدها فى خَيْبَـةٍ وتبَلُّد

ومَضت تنوح على الرِّعان هزيلة كالبسْمة الصَّفْـراءِ فى المُتَجلِد

واسترْجَعَت مقْـرورةً : فى رأْسها أَملٌ إلى الرُّجعَى لِنهْج محمد

ِلرِحَابةِ الفيحِ المـلاءِ رَجَاحَةٌ للشَّوكة العظْمى التى لم تُخْضَد

لِعدَالة كونيَّـــة شفَّافـة . . إبداعُها فى المَسْلك المتَعَبد

لحضارة معروقَةٍ مبْهُـــورةٍ فَتَحَتْ مَغَالِقَ كُلِّ بَابٍ مُوصَد

بالفتح جَلْجل فى السماءِ دويُّه ... كالرَّعد بين مُصَوِّب ومصعِّد

للأَمْسِ للتاريخ فى أَجْيالِه ... لِغَدٍ لِعهدٍ قادم لم يَبْعُد

للحق تُشْرق من جديد شمسُه ... بِمُحمد فى عِزٍّ أَوْجِ محمد

ولَيأْفلَن : الغرب بعد شُروقه ... ويعودْن ما ليس بالمُتَعَوِّد

« أزف التَّرحُّلُ رَغْمَ أَنَّ رِكَابَهمْ ... لمَّا تَزَلْ برِحالِهم وكأَنْ : قَد »

فَمُحمدٌ رغم الجُحود محمد ... وهِباتُه كَحَياته لم تنفُد

ويَؤوبُ عِزُّ المسلمين وإنَّه ... يومٌ قَرِيبٌ ليس بالمستَبْعَد

تتوحَّد الدنيا على أَظْلالِه ... أنفا وتزْهَق رُوح غير مُوحد

وسَيَنتهى عهد الضَّلالةِ والهوى ... إذْ يطلُع الغَرْس النَّقى ويبْتَدي

وعليْك يا خَيْرَ الأَنامِ تحيَّة ... هِىَ مِن صلَاةِ الله : عِطر المولد

* * *

رحلة في رسالة

يا قِبــابَ الفيْحاء يا بسْمَة الــرُّوح ويابَهْجَةَ الْفُؤادِ الشجِيِّ
لَثم الحُب ذاتَه وتَغَنى الشــوْقُ فى صَمْتِه الجَلي الخــفيِّ
وتَهادَتْ على مشــارِف سَلْعٍ . . نَفَحاتٌ من الشَّذى النَّبَويِّ
وتبدت « قُباءُ » والأَلقُ الضَّاحى وشَاحُ مِنْ عَسْجَدٍ عبقَري
وبناتُ النَّجَّارِ يَضرِبْن بالدُّف ابتِــهاجًا بِمَقْدَم الهاشِمِي
النَّبِيُّ المبعوث فى خيْر أَرْضٍ . . صانَهَا مِنْ منَافِق ودَعِي
دعوةُ الحقِّ لم تَزَل مطْلَع الشَّمس إلى غَربها هَوَيً كلِّ حَي
أَزَلٌ سَرْمَدٌ أَفاضَ عليها النُّــورَ أَعظِم بهدْيِها السَّرْمَدي
يا لَطَه وصحْبِه الغُرِّ في طِيبَةَ دارِ الأَمانِ مثْوَى النبي
مسجِدٌ زادَه المَليكُ اتِّسَــاعا زَانَ أفقَ اتِّسَاعِه الرُّوحي
فَعَسَى نَفْحةٌ تُطِل على الدُّنْيا فَتقْضى على الصَّديِ الوثْني
فإذا النَّبْتُ حالٍ وإذا الشَّمْلُ جَميعٌ على الصِّراط السَّوِي
وإذا الرَّايةُ التى ظَلَّل الكَوْنَ سَنَاها فى كَفِّ قرم ذَكِي
عَبْشَمي السِّمات ينْمى إلى الصِّيد فَخَارًا وإن نَـأَي عن نمــِي
والجدِيبُ الجديبُ من خلق المجد قَصيٌّ وإن نما فى قُصَي
إننا فى هوَي الحبيب سَموْنا عن هــوىٍ . عَزة . وليْنى ومَي

أيام التشريق

«أَيها الراكبُ المُيَمِّم أَرضى   أَقْرِ بَعْضَ السَّلام ِمِنِّي لبَعْضي»

«إن جسمي كَمَا علِمْت بأَرضٍ   وفؤَادي وساكِنِيه بِأَرْض»

* * *

وإذا الليل قد شَجَا وغَفَا اليَمُّ وَبَرْقُ الحِمى أَهلَّ بوَمْض

عاودتْنِى الذِّكري إلى أَرَجِ الخَيفِ فَلَنْ تَفْرَحَ العُيُونُ بِغَمْض

أَتجلى الأَطْياف فى وهَجِ السُّهْد وفى زَحمةِ الأَنِين المُمِضّ

وإذا أَغْضتِ النَّسائمُ عَبْر الفجرِ رفَّافةً . على البعد أُغضى

وإذا سَالَت البِطَاحُ بأَعْنَاقِ المَطَايا أَكادُ واللهِ أَقضى

وإذا الصَّبُّ راحَ يُفْضي إلى الليل بِنجوى فإِنَّنى لَسْتُ أُفْضى

أَنا والليل عاجزان فَلا الصَّمْتُ يُوَاسى ولا التَّجَمُّلُ يُرْضى

قَطَراتُ الرَّذَاذِ أَشْهى على الظَّمآن ِمن هَاطِلٍ بِذُلٍّ وَخفْض

* * *

عرفات

الأَغَاريدُ في السمـاءِ نِـداءُ والرِّحـابُ الخضْراءُ والأَضْواءُ

والحُشُودُ التى أَطَلَّت مَـع الفجرِ على المَوقِف العظِيم دُعَـاءُ

والحَيَارَى والراقِصون على السُّحب أَظَلَّـت أَفياءَهُم . أَفيـاءُ

والثَّراءُ العريضُ والجاهُ والمُلْكُ خُطَاهُ على الثَّرى . مَشَّـاءُ

والمغـانى الفَيْحـاءُ ناعمةُ الظِّـلِ وآسـادُ غابِها . والظِّباءُ

والمقَاصِيرُ والخِيامُ قُطْعَان حِمَـاها مـع الرُّعاة سَـواءُ

يَا لَعَيْني يا قُرَّة العيْـن مِـنْ مَشْهدٍ يومٍ له الحيـاةُ فِـداءُ

قَدَرٌ نَسَقتْ يـدُ الله مَغْـزاه فلِلأَرض والسَّمـاءِ لِقـاءُ

والأَنِينُ الشجىُّ والنَّغَم الحُلْو ورَجْـع السمـاءِ والأَصْـداءُ

كُلُّها . كُلُّها إلى عرفـات الله هَمْسٌ مُعَـبِّرٌ وَدُعَـاءُ

فاذكُـري الله يا بُنَيَّة أَنَّى كُنتِ فالذكرُ مُتْعـة وغِـذَاءُ

وصِلِيـه . . يصِلْكِ فالغَفْلَةُ عـن ذكْـرِ منْ نُحِبُّ جَفَاءُ

• • •

السعي بين الصفا والمروة

وكبَّرْتُ بين المَرْوَتَين تَهُزُّنى ... مشاعِرُ ضاءَت فى الحَشَا وشعائرُ

أَحِنٌّ إلى الأَمْواج دفَّاقَة السَّنا ... تَساوَى صِغَارٌ عِنْـدها وأكَابِر

وعَجٌّ وفجٌّ للحَجِيـج كأنَّمـا ... تَجَاوَب صَيَّـالٌ لديها وهَادِر

وذابَتْ فُرُوقٌ كُنْتُ أَرعى سِماتِها ... فما ثَمَّ إلا خاشعُ القلبِ ذاكر

فَلَا الحُسْنُ جذَّابا ولا الطَّرْفُ زائغا ... إذا هِندُ نَضَّتْ جِيدها أو تُماضر

وهرْوَلْتُ يا نور الفؤاد كأنَّنى ... إلى حَوْمَة الهَيْجاء لَيثٌ مُغامر

وهاجَت بِي الذِّكري إلى عهد هَاجَرٍ ... وفى المَهْد إسماعيل ظمآن حائرُ

تُهَدهِده تَسْترفِدُ الأَرضَ مَاءَهَا ... فأَشْرَق غيْثٌ من ثَرَي الأَرض هَادِرُ

وهلَّت بِوادي الخيْرفى سَعْيِ هاجرٍ ... فَعاشَتْ مع الذِّكْري الحبيبةَ هاجَرُ

* * *

بابُ السلام

بابُ السلامِ وهـذِه شُرُفاتُـه ورتَاجُه . أَإذا . انْتَشَيْتُ أُلام
ولقد مثلْتُ فضاق بالأَمل النُّهى فإذا الرُّؤيَ وكأَنها أَحْـلام
وتعلَّق الإِمْساءُ فى إصْبـاحه وتعَانَـق . الإِيحـاءُ والإِلْهام
وسمِعْتُ من كَبد السماء مَثانِيًا فى البيْتِ فَاضَ بشَدْوِهِنَّ حمام
والبيتُ أَمْنُ الخائِفِين وإِنَّـه بَرْد على أَكْبـادهم وَسَـلام
والطائِفُـون الحَائِمون تَعَاقَبَت دَوْراتُهم ما صدَّهُنَّ زِحـام
سِرُّ الحياة ورمز كُلِّ مَسِيـرةٍ فالكَوْن أَجْمـع دورةٌ ونِظـام
والشُّهْب حول الشَّمْس فى أَفلا كِها دَوَّارة . ما لِلحياةِ دَوَام . . . .
أَدَب تُشَعْشِعُهُ القداسةُ صافِيًـا لا السيف يُقْحِمه ولا الضِّرْغام
والطَّيْرُ آمِنةٌ تـروح وتَغْتَدي كَظِباء مكَّة . صيدهُنَّ حـرام
يا رب زِدْه محبةً وجَـلالَـة فَلَكَ الجَلَالُ الحقُّ والإِعْظـام

* * *

حـــراء

ولمّا تنوَّرْنا حـــراءَ واطْلَعــتْ ... طوالُعُه . ذَاكَ الجلالَ المعتقــا

وقفْنـــا وأَوْقَفنا المَطِيَّ مَهابةً ... ولاح أَبُو الزهراءِ فى الغارِمُشْرِقا

وَمِزْوَدَةٌ مطروحة و « ركيــةٌ »[1] ... بها فَضْلُ ماءٍ قَدْ صَفا وتَرَقْرَقا

وطَيْف تَبَدَّي كالرَّحيقِ شُعاعه ... يُناجى هَوًى عذْباً وعَهْداً ومَوْثِقا

وفى الأُفقِ جبريلُ الأَمينُ كأَنَّما ... يُبَــاركُ حُلْماً عَبْقَريا تَحَقَّقَــا

وفاحَ عبِيرٌ لا الخُزَامى ولا الشَّذَي ... فَقد كان من نَفْحِ الفَراديس أَعْبقا

تُواكِبُه الرُّحمى وتُوقِظُه الرُّؤي ... لِيَجْمعَ فى الأَكْوانِ شَمْلا تَفَرَّقا

ويِنْسِجُ من أَهْدابه الوطْفِ أُمةً ... على مجْدِها : عافَ الكَرَى وتَأَرَّقا

فَهدهَدَ إِعْصارا وشَقَّ من الدُّجى ... مصابيحَ حَيَّاها . الحَيَا . مُتأَلِّقا

فَلِلَّه أَرْوَاحُ على الجَدْبِ أَخْصَبَتْ ... ولِلَّه عَزْمٌ ما وَهَى أَو تَمَــزَّقا

• • •

---

(١) اشارة الى أن ركوة رسول اللهصلى الله عليه وسلم هى تمده بالماء مهما طال تحنثه كأنها ركية أى بئر ٠

ذكريات عزيزة

إلى صاحبي الجزيدة الجليلين أعتذر عن القصور الكبير إزاء الواجب العظيم هذه (الكليمة) فى خجل مزيد معتقداً عدم تكافئها مع العدد الممتاز آسفاً على حيلولة الفرص الضيقة بينى وبين إيفاء هذا الأمر حقه ، الناظم .

يا سَارِياً راحَ يطْوي دَارَة الشُّهُبِ	فى مُهْجةٍ سَبَحَتْ فى عالَم الحُجُبِ
جدَّتْ بهافى الهَوَى العُذْرِيِّ موْجِدَةٌ	ولَجَّ منها هُتَافٌ جَدَّ فى الطَّلبِ
فجاذَبَتْ شبَحاً ضنَّت بِه زَمناً	ثم انْثَنَتْ جَذَلاً فى الوخْدِ والخَبَبِ
كأنَّما روحُ صَبٍّ شايَعَتْ أَمَلاً	بعْدالنَّوي فَبَدَتْ تخْتالُ فى طَرَبِ
هذي الدُّنا صُورٌ شتَّى إذا ابتَسَمت	يوماً ففى آخر وقْدٌ من اللَّهَبِ
ما الذكرياتُ على أبهى غضَارتِها	والكأْس قد نَثَرَتْ مَنْظُومَةَ الحَبَبِ
وما الهوى وأمانِيه وإن عَذُبَت	موصولة الأُنْس فى زَاهٍ من الحُقُبِ
والرَّوضُ قد بَسَمَت فيه أزاهِرُهُ	كالطَّلِّ أو ضَرَبٍ فى طَيِّب الشَّنبِ

ما بَيْن فاضِحَة للشمس إن برزَتْ أو غَادَةٍ بين سرْبٍ جدَّفي الهَربِ

والحُبُّ مؤتلقٌ ضـاف مخيَّمه يرمي الحِبَالَةَ عن بُعْدٍ وعن كَثَبِ

والقَوْمُ فى نشْوَة يجْتَثُّهم أَملٌ فى هالة البدْر أوفى دَارَة الشُّهُبِ

أسْمَى وأرْوع من ذِكْري مؤَثِّرةٍ فى النفس باقيةٍ مَمْدودَةِ الطُّنُبِ

تغْدُو اللَّيالي وفي أَطْوائِها أُممٌ ما بين منْصَدِعٍ واهٍ ومنْشَعِبِ

وتلك حَافِزَةٌ للدَّهْر عابِقَـةٌ فى الذهن ماثِلةٌ فى القلْب لم تَغِبِ

للمسلمين بهـا عيد يؤَلِّفُهم ويجمع الشَّمْل فى عِقْد من النَّسَبِ

رمْزُ الأُخُوَّة لا عُجْبٌ ولا صَلَفٌ رمز التَّكافئ بين العُجْم والعَرَبِ

حقِيقَةٌ من يُرِدْ غَضًّا لجوهَرِها يَنَلْ مِنَ السُّوءِ أقْسَى منْتَهى الغَضَبِ

حفْلٌ وَمُؤْتَمَرٌ تَزْهو بطالِعِـه بنُو الحنيفية الغرَّاءِ فى أَدَبِ

يستَذْكِرون به دِيناً مُعزَّزَة أركانه بالقَنَا الخطِّيِّ والقُضُبِ

وموقفاً لرسول الله تَمَّ به نَصْرٌ تـأَيَّد فى الأَنْبَاء والكُتبِ

ما بين مبْتَهِل للحق فى أَمَلٍ وضَارِعٍ لإله العرْشِ فى رَهَبِ

هذا بِتَهْليلهِ تَدْوِي الجبالُ وذا يَرِنُّ منه صَدَى التَّكْبير فى الهُضُبِ

شَعَائرٌ تجْتَلى منها النفوسُ سَناً كالبدْر يُشْرق فى ماسٍ وفى ذهَبِ

فكَان مُنطَلَقَ الأَشْجان فى فَرحٍ وكان مثْوى الهُدى في صالحِ القُرَبِ

كأنّما نحن (بالقصْواء) مُمْعِنَةً تَنْحطُّ سارِيةً فى أَجْمل الصَّبَبِ

والمُصْطَفَىٰ ثَائِرٌ للدِّينِ أَنْجُمَهُ للحق يَنْهَضُ فى عِلمٍ وفى غَلَبِ

لكنَّ أُمنِيَةً من بعد ما عَبَرَتْ خيرَ القرون تَهَاوت بَعْدُ فى النُّوبِ

فهَل نراها وقد شِيدَت مآثِرها وهل نراها سَمَتْ فى ذِرْوة الرُّتَبِ

ثم الصَّلاة على المختار ما بزَغَتْ شمسٌ وماانْسَكَبَتْ وطْفَاءُ بالسُّحُب

* * *

هذه النخلة

هذه النخلةُ مِنْ بَطْحـان فى ... مُلْتَقَى وادي قُبَـاء الأَفْيَح

مِنْ ثلاثيـن خلَت ماثِلَـةً ... فى خَيـالى . . سَرحُها لم يَطْلُحِ

أَلمَحُ الأُظْلالَ من أفْيـائِها كَشُـ ... ـعاع الشمس وسط القَدح

والتحِيَّـات التى أعهَـدُها ... من قديمٍ لم تَحُلْ . . لَم تَبْرح

والصَّبا ذاك الذي تعطِفُه صـ ... ـوْبَها عطْفَـةَ رِيم . . مُسْتح

إنه نَسْـج عبِيـر سَجْسج ... من رحيق الفجْـر رطْبٍ . .مَرِح

رفَّت الأَمـلاكُ فى أَعْطَافِه ... رفَّةَ شَـادٍ صَيْـدح

تَتَلقَّـاك بِوْمـضٍ كاشِف ... بُحتَ بالأَسرار . . أَوْ . . لم تُبح

وإذا شِئْت فَـرُوحٌ نَضْـرة ... أَو تسهَّيت فَظِـل . . الشَّبح

وسأَلتُ الطَّـل عن آماقِها ... قَال لى سَلْها . . وإنْ لَم تُفْصِح

وتأَمَّلْتُ رؤىً مَطْـوِيةً ... فى حَفِيف كَنَهِـيج المَطْلح

يَتَحـرَّانى كَمَـنْ يُسْمعنى ... نـأْمـة الوجـد الخفِى المُبْـرح

أَوْ جِراحاتِ أَبيٍّ مُثْخَــن رابِطِ الجأْشِ كأَنْ لم يُجْرَح

يُرْقِئُ الدَّمْعَـةَ فى مَحْبِسِهَا لَمْ يَرِمْ عن وِدِّه . . لم يَبْـرح

والأَسَى يَصْرُخ فى أَحشَائه كَيْفَ خَاب السَّعيُ .. سَعْيَ المُفْلح

كَمْ أَنِينٍ فى الدُّجَى مُنبعثٍ من حنين الجِزْع فى الخَطْب الوحى

رُبَّ شدْوٍ نابِـعٍ مِنْ فَرَح كَهديل نابع مِنْ . . تَرح

هل سَوَاءٌ جارِحٌ عهْدَ الهوى والذي يأْسُو .. ولمَّا .. يجرح

والذي يسْمح بالرُّوح على سِرِّها الغالى ... ومنْ لمْ يسْمح

فى حُطَـام كُلُّـه مُبْتَسَـرٍ من ضَعيف النَّبْت . . فَجٍّ . . دَحْدح

ثم أَبْصَرت دموعًا ثَـرَّةً مِثْل حبِّ الطَّلْع . إِذْ لمْ . يَنْفَتح

فتذكَّرتُ عهـودا سَلَفَت يومَ كُنا فى جِـوَار الأَبْطَح

نخْطَف المُزْنَـة لا يهْصرها فى السَّحاب الجون ..غيْرُ..الأَرْيَحى

ونُراعِي شفقًـا مُضْطَّـرِباً مثل قوس هَارِب . . مِن قُزَح

ولِدَاتُ العُمْـرِ حولى رتَّعـا بين حُلْو « التكْو » أَو مُنْسَدح

والذي يَهمِس للبـدر على خِلْسَة . . لا يرْعَوِي . . للنُّصَّح

والذي يَشْبِـرُ آفَاق الدُّجَى كالثُّريَّا بالجُفُـون . . القُرَّح

* * *

إِيهِ يا نخْلَةَ بطحـانَ لَقَـدْ مزَّقَتْنـا الرِّيح . . لم نَسْتَرح

فَمُقِيمٌ نازِح . . مُحْـرنجمٌ وبعـيدُ حبـه . لم يَنْـزح

بالمـنى البَيضاء مَا زَالَتْ على وقْدِها لمَّا يَحِـدهُ أو تَجْنح

والذي قدَّر أقْـدَار الـوَرَى سِرُّه فى الغيب . . لم . . يَنْفَضِح

كم صَدِيق خانَ عهْدي وانتَحَى فلَعَاً . . أَلْف . . لعًا . . للمُنْتَحى

علَّهَا الحَظْوَة أقْصته ومَن يغفِـر الزَّلَّات . . لم يَنْتَزِحِ

* * *

أنتِ يا نخلةُ رَوْضِي كُلُّـه بالهَوى نَفْحٌ وإنْ لَم يَنْفَح

مِن جَنَا . . الفِرْدَوْسِ لوْلَا سِرُّه عِشْت فى دُنْيَـاي عَيْش المزْرِح

قد أَبْحثِ الناس ظِـلاًّ وارِفًا مَنْ يَجُدْ جُودَك أَوْ منْ يُبِـح

العَثَاكِيلُ التى هدَّلتِهـا فرَحٌ مُنْسكِب فى فَـرَح

كبَنَـانٍ حُـلْوة مُحْمَـرةٍ تَجْتَنى «زهوك» جَنْى . . المُسْتَحى

أَصبح « الزَّهو » على إصْبَعِها يالهَيْمـان ! ! بها مُصْطَبِـح

وأَيادٍ قَذَفتْهـا بِالحصـا كان أَحْلى الرد دَفْـق البَلَح

إيه يا نَخْـلة ذَاكَ المُنْحَـنى فى قُبَاء كالأَديم . . الصَّحْصَح

عنـد ما زُرْت هُنـاك المسجِدا طِرْت شوْقًا للصَّبَـا المُنْفَسِـح

وتَمثَّلتك أَيـام السَّـنا فى فُؤَادي لَاح أَو . . لم يَلُح

قلبُك الغضُّ الكبيرُ ائْتَلَفتْ ... فيه أَشْـتاتُ الهوي المُنْطَلِـح

فَغَـرامٌ جامِـح مصطَــفِق ... وبَقَايا هَيْكَل . . مُنْطَـرح

والمــنى الطّافِحُ أَوْدي حَرقًا ... ومَضَى بالصَّفْو . . مَنْ لَمْ يَطْمَح

وطيــورٌ غشَّشَتْ حائِمَــةً ... وصِلال جَنْبَهـا . . لم تَصح

صَدَحَتْ لَمْ تَدْرِ مَنْ جِيرَتُهـا ... لَيْتَها فى العش لمَّا . . تَصْدح

والصِّـلالُ العُضل فى قدرتِها ... ويْحَها قُدْرَة . . مَنْ لم يَصْفَح

لا تلُومِى نازِحا أَرَّقَـــه ... عارِضٌ من برقِكِ المُنْسَـرح

وعُيُـون جَفَّ مِنها دَمْعُهـا ... غَيْرَةً من دمْعِك المُنسَفِـح

قُلْت لمَّا عزَّنى دَرْك المُـنَى ... ليس غمر الماءِ مِثْل الضَّحْضَح

إن مَنْ يحْيَا على ضَنْك الهوي ... غَيْرُ منْ يَحْيَا . . بِعَيْش رَحْرَح

والذي خَاضَ تَبَاريح اللَّـظَى ... ليس كالخَائِض لُجَّ . . المَسْبَح

إنَّها الحُرْقة أَوْرَت زِنْدَهَا ... حُرقًا لولا النَّوى لم تُقْـدَح

والذي أَشْرق فى صحْـو الفضا ... غَيْرُ من يهضِبُ فَـوْق السَّحْسَح

فَهبِى يا نخلتى حُـلْوَ الْجَنَى ... مَنْ يَذُقْ مِنه مذَاقًا . . يُفْلِـح

واقبَــلى منِّى تحيَّاتِى إلى ... رَبْرَب الغِيد وسِرْب المَسْرح

وقَطِين بين هَاتيك الــرُّبَى ... بارِع النُّكْتــة عَذْبَ المُلح

ولَيَالى الْجِزْعِ حَيَّـاها الحيـا ... كَمْ حَبَتْنَا بِجزيل . . المِنَح

كَمْ طعِمْنــا البَزل فى أَكنافِها ... آه لَو عادَت . . بِكبْش. أَمْلَح

من أغاريد رمضان

يا هِـــلالا مبـــاركًا ربُّــك الله ربُّنَـــــا
أنت واللهِ بِشْـــرُنا أنــت واللهِ حِبُّنــَــا

* * *

حين أقبَلْــتَ أقبَلَــتْ نفحـــاتٌ تُظِلُّنـــا
وتَـــوارَت غَمـــائم دَجْنُــهَا الدَّجْنُ لَيْلُنـــا
وتبـــدَّتْ سحـــائب للأَمَـــانى تُقِلُّنـــا
يا صفَـــاءً نُحِبّـــه ورَجَـــاءً يُحِبُّنـــا

* * *

أَلْفَ أهـــلًا ومرحبـــا بالذي طـــلَّ مِنْ عَـــلِ
مِن سنـــاك المُـــرفَّلِ من هـــداك المُهَـــلَّل
من تَجارِيب ما مَضَى قـــد رسَمْنـــا لِمُقبل
وهَتفْنـــا لِحاضـــر ســـابِـــحٍ فى التَّأَمُّـــل
أن يَرَي فى حيـــاته عِبَرَ الأَمْسِ : تَنْجَـــلى
إِنَّهـــا نـــورُ فَجْـــرِهِ إِنهـــا خَيْـــرُ مِشْعَـــل
ربُّــك الله ربُّنَـــا يا هِـــلالا نُحِبـــه

* * *

أنت شهــرٌ جَلالُه لم يُطِقْــه جمــاله
وصَفــاءٌ . كَمــالُه حِيــن يَبْــدو هــلاله
المعــانى ثِمــارُه والمغــانى ظِــلاله
والمَواجيــد حالُــه وذُراهــا مآلُــه
والتَّرانيــم موطِــن والشَّــحارِير آلُــه
لا ســرابٌ بِقِيعــة يخْــدعُ العيــنَ « آلُه »
إنه الحــق صــادِع شامِخَــاتٌ جِبَــاله
صــرَع الوهْم فَأَخْتفَى ثم ولَّى خَيــاله

* * *

ربــك الله ربُّنــا يا هِــلالا نُحبــه
أنتَ يُمْــنٌ مُحَقَّــق أنت عَهْــدٌ ومَوْثِــق
ونفــوسٌ تُحَــلِّق وقــلوب تُصَــفِّق
الصِّغــار البَراعِــم لك تَهْفــو وتَخْفِــق
والزهــور الفَــواغِم بِك تَنْــدى وتَأْلَــق
والْهَــوَي الحُــر صائم بِشــذى الطُّهْــر يَعْبَقُ
ربــك الله ربنــا يا هــلالا نحبــه

* * *

لا تَدَعْنــا فإننــا إن تَدَع وَجْــدُنا : يَنَم
لا تدعنــا فَمَا لَنا بعْــدَ مَسْراك مِن قِيَــم

لا تدعنـــــا فإننــــا   إن تَغِب تَقْصِـف: التُّخم
قَسَمًا بالــذي هَـــدَى   وبِقُـدْسِيَّـة القَسَـــم
سوف نحْيـا على الهدى   فى صِيام عن الحُـــرم
فى وِصَـــال نعيشـــه   للقَـــرابَات والرَّحِـــم
ستَرَانا على المَـــدي   مِشْعَـل الهَـدْي للأُمَـم
مِثْـلَ ما كان دأبُنـــا   فى القَـدَاسات مِنْ قِـدم
مَشْقَةُ السيـف . مِثْلها   مشـقة الطِّرس بِالقَـلم
فبِهـا تُخْطَـب العُـلا   وبِهَـا يُرفـع العـلم

* * *

ربـك الله ربنـــا   يا هـــلالا نحبـه

* * *

أَنت شـــهر الحَقيقةِ   فى النفـوس الرَّقِيقـةِ
فى القــلوب المَفِيقَـة   فى العُقـــول الطَّليقـة
وقْـدُها البِـرُّ والتُّـقى   للـــوَرَى للخليقـــة
فى الثَّـــوانى تَواثَبَت   بِخُطَــاها الرَّشِيقـــة
مُحْكَمَاتٌ دقيقـــــة   فى الفُهُـــوم الصَّفِيقة
أَنت فى الكـون كلِّـه   آيـــةٌ للحقيقـــــة
وسـلوكٌ موحَّـــــدٌ   للحيـــاةِ السَّمِيقَـــة
طاعــة أَنت سَمْحـــةٌ   للنفـــوس المُطِيقَـــة
ليـس بالعِـرْق إنما   بالمعـــانى العَرِيقـــة

* * *

يوم الاثنين

فِدَاك الهوي كُلُّـه كلـه حقيقَتُه : رسْمُه : ظِلُّــــه

معَانِيــه أَناقُـــهُ الواسـعات : مَجَاليــه : أَنْسَـامُه : طَلُّـه

حيــاةُ الوُجـود بمـا فى الوجـود بِسابِقِ فَرْضِ الهوى : نفْلُهُ

ذُرَاه مرابِعــه الحانِيــات منابِعُـه : عَلُّـه : نَهْلُـــه

فَيَا باعِث الْحُـبِّ لمَّـا بـدَا صحَـا . فجرُهُ ، وامَّحَى ليلُه

حبيبى وَيا حَـبَّ هـذا النِّـداءِ تـألق بالغَيْــث مُنْهَلُّــه

تَرانيمُــه هَمَسَـاتُ القلـوب وأَصْـداءُ إلهامــه رُسْلُـه

إذا وَمَض الحبُ بالذكـريات ونافس دَلَّ الهـوي ذُلُّـه

وغَرَّد باللحَظَـات الحِسـان ربيـعٌ تفَتَّح مُخْضَلُّــه

غـداةَ تـأَلَّـق وادِي العَقيــق وهَدَّل أَغْصَانَهُ نَخْلُـه

وضــاءَت ثنِيَّـاتُه الحَـانِيات وشَعْشع فى « رَامَــةَ » أَثْلُهُ

فذِكراك تَلثُمها النَّيراتُ ويحلُو : بهـا عُمْرُنَا : كُلُـه

فَيَــا واصِــلاً بالحياة الحياةَ وما زَال : يُسْعِدنا : وصْلُـه

ويا ناظِمَّـا سَمْط هــذا الوجـود وما الْتَام من قَبْله : شَمْله

ويا باعِث الروح مجْلُـوَّة توهَّـج فى سُؤْلِهـا : سُؤْلُـه

أُحِبُّـك يا يومَ مِيـلادِه ويااليتَـنِى دائِماً : أَهْلُـــهُ

وكل « اثنين » ميلادُه المفْتَدي سَلْوتَ الوجود ولم أسْلُه

وكل « الأثانين » أحْبَبْتها وما صَدَّ من عاذِلٍ عَذْلُه

فَسَاعاتُها نَفَحاتُ الهدي كأَنَّ شَذَى نفحِها مِثْلُهُ

فَذَاك هوى جَهِلتْه الجُفَاة وكم هالِكٍ غَالَهُ جَهْله

أُحبُّ « الأثَانِين » مَنْ لِي بِها ومَنْ لِشَجٍ حَائِرٍ مَنْ لَه

مَلَلْنا حياةَ الهدى والعُلا ومَنْ ملَّ مَجْدَ الهدي ملَّه

• • •

فذَاك الذي قَدْ زَهَا غَرْسُه من الحب حين سَمَا أَصْلُه

حَمَاه مُطَاوَلَةَ النابِحِين كما طَاشَ مِن نَابِلٍ نَبْلُه

فَمِنْ نورِه العَذْبِ لا يُقْرَب كَنُودٌ يعاف السَّنا عقْلُه

ففى نفسه غَثَيانُ الظِّلالِ وفى الوَحْل : قد رَسَخَت رِجْله

• • •

لمحتك

لمحْتُكِ تمْشِين الهُوينْنا إلى الصَّفا ... بِنجوى مُغِذٍّ للمَقَـامِ وزمْـزم

فقال صديق ما لِعيْنيكَ زاغتَا ... أأبْصَرْتَها ؟ كيف اهتدت لِمُلَثَّم

فقلت نعم لاحتْ وما غاب طيْفُها ... أعانِقــه فى كُرْبتى وتَـأزُّمــى

وألْمسُه لَمْسَ القَريــبِ لأنَّه ... قريب على رغْم النَّوى المُتجسِّم

نعم إنها العيْنُ التى فى ظِلالها ... أرى كلَّ معنى فى وُجُودي وفى دمى

وما نام فى جَفْنِ المحبين ساهِرٌ ... رقِيبٌ على النَّجْوي من العَيْنِ والفَم

• • •

من وحي الهجرة

اذكُري يا بِطاحُ كيف أقام الله مجدًا مخلَّدًا فى بِطَاحِك

صافحَتْه السماءُ فانتثرَت فيــه نجُومًا تــألَّقَتْ فى وِشاحِك

ثُمَّ ألقتْ على الأَديم من الفجْر شُعاعا مقطَّرا فى صَباحِك

واديًا أَسْفع الرُّؤى غير ذِي زرْع . . محِيل ضمَمْتِه بِجناحِك

فتَندَّى كأَنما اعْتصر الفجر سُلافًا من البُدور الضَّــواحِك

وتَنَدَّت حصْباؤُه من عقِيقٍ . . خاضِبًا لونُه زكيٌّ جِراحِك

خَضْخض السُّحْب فاستهلَّت تعاطيه نُضَارا مُصفَّعًا فى قِداحِك

نهَلته الحياة أَحلَى من الشَّهــد وروَّت به كريم صَفــاحِك

وهْيَ نشْوى به . . بمعناك . . بالماء نقِيًّا سَلْساله مِنْ قَراحِك

وهَفَا بالحَمَام لا عِــجُ شوْق عبْقريٌّ هديلُه من صُدَاحِك

شادِيًا بالأَمان فى الحَرم الآمِنِ من بَعْد شدْوه بنُــواحِك

إنها فَرْحَةُ الهدى يَتراءَى تتَخطَّى الدُّجى على أَفْراحِك

• • •

ساريًا هادِيًا يُسامِرُه . . النجْم ويمْشى فى ظِله غيْر وَانِى . .

يَتحرَّاه مستمِدًّا هُــداه يَتَملاَّه فى السَّنا الأُقْحُوانى

ضارِبًا فى الرِّمال ساخَتْ بِها أقدام شَانٍ مُقامِرٍ أفْعُـوان . .

بعثَتْه قريش عيْنًا على الهادِي فزلَّتْ بِسعْيِـه القَـدمَان

والرسول العظيم يَمْضى لِمَرْماه رضىَّ الفؤَادِ ثَبْتَ الجِنَان

ما : قَلَا مكة وما فَـرَّ منْها هارِبـا هائِمًـا على الـوِدْيَان

كيف يخشَى الأَهْـوالَ من سدَّد الله خُطَاه فهَابَهُ الثَّقَلان

هل يُراعُ الإيمانُ والمَبدأُ الحُرُّ سِلاحٌ يصُول بالإيمان

ضلَّ قـوم توهَّمُوا الضَّعف فيـه سَبَقَ السيف عَذْلَهُم بِثَوان

أنها هِجْرةُ اللُّجوءِ إلى الله لِدَعم الكَيانِ فوق الكَيان

ولِقَاءٌ على المبـاديء . . . والدعوة هاجَ الحمـاسَ كالبُركان

ترك المصطفى عليًّـا مُسَجَّى فى فِراشِ النُّبُوة الأَضْحيان

ومشَى بالصِّدِّيق لا بُدَّ للشِّدة من صاحبٍ كحَدِّ السِّنان

يمزِجُ الحُبَّ بالفـداء لِيَبْقى غُرَّةَ المَجْـدِ فى جَبِين الزَّمان

ثَانِىَ اثنين فى مَغَارة « ثور » ثانىَ اثْنَين فى العُلا والجِنَان

خُدْعةٌ فى الحروبِ شرَّعَها الدين وأَغْلى مقَامَها الهِنْدَوَانى

خُطَّةٌ للجهاد سبَّاقةٌ . . العـزِمْ المُجَلِّى مرصُوصَة البُنْيَانِ

• • •

واحْتَفت يثرِبٌ بِمكة فانْحَـازَت جِهاداً تُجِلُّهُ : العَدْوَتَان

وتَلَاقت أَمواج نهضــته الكبري فَلمَّت أَمواجَها الضفَّتَان

وتـآخى الكماةُ فى طِيبَة الـغرَّاءِ فى ظِلٍّ دوحِها الفَيْنَان

أَثْمرَ القوة الرَّهيبــة قد صَالَتْ وجَالَتْ فى سائِر الأَكْوان

ومَشَت رايةُ الأُخُـوَّة فى الدُّنْيا على ضَوْءِ رايَة القُــرآن

والتقتْ مكةُ وطِيبةُ فاحْتَلَّتْ رُبَى الكونِ كُلَّــهُ قُوَّتَان

وصَفَا الجوُّ حَاليا فالأَمانِى باسِماتٌ فى غِبطة وأَمَــان

والهُدي والجَمالُ والْخَيْرُ والحُبُّ كِتَابٌ عُنْوانُه «البَلْدَتَانِ»

* * *

يا طير

يا طَيرُ هل يشْكو الطَّلِيقُ كما شَكَى القَيْدَ الأَسِيرْ
ويئِن مُنْبسط الجَنَاح ويَمْرح الطير الكَسِيرْ
وتُغَرد الدنيا لِمَفْؤُود ويكْتَئِبُ القَرِير

* * *

يا طيرُ لو فَتَّشْتَ عن أَسْرِي المخابئ والقُبُور
لَوجَدْتَ أَشْذاءَ الرغام أَلَذَّ مِن أَرَج الثُّغُور
وَوَجدْتَ فى الكَفنِ المعَفَّرِ ما خَلتْ منه القُصُور
نُعمى على دَعةٍ وأَطياب من الرُّحمى تَمُور
عِزٌ تُواكبه الفَرا قِدُ والأَهِلَّة والبُدور
عِزٌّ فَرائده العظَائم لا تَجِفُّ ولا تَحُور
هُنَّ العَرائس فى رِحاب المجد فالْتَمَس المُهُور
مِنْ أَسْر منطلِقٍ بِآفاق يَدور ولا تَدُور

وعَواطِــفٌ مشبــوبة مِن دُونها وَقْـــدُ السَّعِيــر
وضَمــائر كانت تُجِيرُ فَراعَهَــا أن تَسْتَجِيــر

* * *

يا طيرُ رُبَّــةَ سَابِــح فى الجَوِّ فى اليوم المَطِير
والصاعِقَــاتُ المحْرَقَــاتُ تَؤُزه الأَزَّ الخَطِيــر
والمُفْزِعــات الواغِــلات مع العَشِيَّة والبُكُــور
نَزَعــتْ بــه للأَسر أُمْنِيــة كأُمنيــة الأَسيــر
هــذا يَحِــنُّ إلى القُيُــودِ يَزِفُهــا السجن الصغير
كرَهِيــن محْبَســه الصغيــر يَحِن للسجن الكبير

* * *

يا طيرُ هل فى الرَّوْض من حُسْنٍ إذا جفَّ العبِير
أَلَقُ الصَّحَاري المُجْدِباتِ على المَدَى نارٌ ونُــور
فإذا جَرَتْ بالشَّر عُقْبانٌ وضــاق بِكَ المَسِيــر
ودَلِفْتَ تَلْتقِط الحُبُوب وتَسْتريح إلى الغَدِيــر
فَنَزلْت قَاعاً صَفْصَفا لا رنقَ فيه ولا نَميــر
ماذا ؟ أَتَصبِر للهَلاكِ لِكَيْ يُقال هو الصَّبــور
أَو تَسْتبِيح من المحَارِم ما تَضِيق به الصُّــدور

أَو أَن تُقَامِر بالحَيَاة مغامِرًا بيْن الصُّقُــــور

لِتُواجِـه الموْتَ المْرِيرَ أَلَذَّ مِن عَيْش الحَقِيــر

فإذا قَضَيْت وَهَبْت للهِ الحَيَــاةَ ولِلضَّمِيــر

وإذا وقَعْت أَسِير ظَلاَّمٍ فإن الأَسْرَ مفْتَاحُ المَصِير

* * *

يا طيرُ غنِّ لنا وللأَيَّــام باللَّحْــن المُثِيــر

يا طير أَنْتَ بَقِيَّــة الإِنسان فى الدنْيا الغَـرُور

يا طير أَنت الفَنُّ أَنت بَشِيرُنا أَنت النَّذِيــر

يا طير عَزَّ الوحْيُ والإِلهــام وانْطَلَق الصَّفيــر

وتَناوَحت عــبْرُ الجَـواءِ عَواصِفٌ هُوجٌ تَثُــور

فَتَعثَّر المَسْرى وسَاد الصمْتُ وانطَفَأَ الشعُــور

يا طيرُ فاصدح بالشُّجونِ فأَنْت مُعجزةُ العُصُور

فالحِسُّ يَطْرَبُ بالأَسَى كالنفس تَهْدَأُ بالزَّفيــر

* * *

رثاء

في رثاء الملك عبد العزيز

لا ينْطوِي الْمجْدُ يا صَمْصَامَةَ العرب ... ولا يَغِيمُ الهُدي في غَمْرةِ الحِقَب

صَنعْتَها أَمَلَ التاريخ ناطِقةً ... عظائِمًا إنْ تَغبْ واللهِ لَمْ تَغِب

سِتٌّ وسبعون قد أَوْدَعْتَها حِقَبًا ... ضَاقَتْ بها سِيَرُ التاريخِ في الكُتُب

تَلفَّتُوا ولِرَزْءِ الهوْلِ جَلْجَلَةٌ ... وللفَجِيعةِ فَتْكُ السُمرِ والقضب

واستَنْطَقُوا مجْدَك الغَالِي فَطَمْأَنَهم ... مِنك الصَّدي في ورِيثِ المُلْك والحَسَب

• • •

عالم الموت

حتَّام تخدعنا الأَوْهامُ والصُّور وفِيمَ تلهُو بِنا الأَحداثُ والغِيَر
كأَننا هدَفٌ لا تَبْتغي بـدَلا مِنَّا الخُطُوبُ ولا يَفْنى لهَا وطَر
ما ينْجَلى خطرٌ تَنْزاح غُمَّتُـهُ حتى يُعَتِّم فى آفاقِنَا خَطَـر
ولا تَـأَلَّق صَحْوٌ فِى مرابِعِنـا حتى تجَهَّمَ : لا نَبْتٌ ولا زَهر
ولا يُلعْلع رعد فى الحِمَى لَسِن إلا استحال جِهَامًا . . ما بِه مَطَر
تَقلَّب الكونُ أعلاه وأَسفلُـه فالمنْحنى سامِق والنَّجْد منْحَدر
ولِلطبيعة أَخْلاقٌ مُعَرْبِـدَةٌ إن مَسَّها الضُّر لا تُبْقى ولا تَذَر
والشَّرُّ فى وَمَضات الشر متَّكِيءٌ والعقلُ مخْتبِيءٌ والحارسُ القدر

* * *

يا « عِلْمُ » ما لِلمَدى المحْدودمُتَّسَعٌ أَقصرْ عَدِمْتُكَ ان الكون يَحْتَضِر
ذابَت حضارتُنا فى جوْفِ زائِفَهْ أَحبَّها البدو لَمَّا عافَها الحَضَر

وحملق الموتُ تستَشري مَخالبه   أعمى يُدَمْدم لا سَمْع ولا بصر

يُطارِد النجْمَ فى عُلْيا منازِلــه   وزِينَةُ الكون هذِي الأَنْجُم الزُّهُر

حرمْتَنا من نعيم المجد فى دَعَةٍ   مُذْ جاء هوْلُك كالبُرْكَان يَنْفَجر

وكان فى مجدنا بَذْلٌ وتضْحِية   يَطِيب فى الموْتِ وِرْدُ القَوم والصَّدر

تصَارعت فيه تِيجان وأَلْوِيةٌ   والحَتْفُ عِنْدك مُرٌّ الطعم مُبْتَسِر

* * *

وأنتَ يا شِعْرُ كَمْ هَوَّمْتَ فى قَمر   تَضاحَكَت فيه من أحبابِك الصُّور

وكم أَرِقْتَ على إشعاعِ طَلْعَتِه   سُهْد الشَّجِيِّ حَلَا فى عينه السَّهَر

وكَمْ شكَوْتَ النَّوى والليلُ مُؤْتَلِقٌ   والكأْس شَعْشَعها فى لحْنِه الوَتَر

لا تأْسَ يابدْرُ إمَّا حاوَلُوا عَبثًا   أَن يَزْحموك بِمسْخٍ صَفْوُه كدر

هل يستوي ساطع فى أصل خِلقَتِه   آياتُ إعجازِه تبدُو وتَسْتَتـر

وزائِفٌ فى يَـد التَّيار مولِدُه   إن لم يُحاذِره يَحْرِق نَفْسَه القمر

قد حَيَّرونا وحارُوا فالمُنى خدع   حتى السَّرى غامِض حتى النُّهى حَذر

لكنَّ قارِعةً كُبري بِما صنَعُوا   تَحِل فى دارِهم والمُنْتهى سَقر

* * *

خواطر ليل

الكَوْنُ خمْرُ الظَّامِئين وأَنْتَ يا لَيلُ الثُمَالَـة

إنْ أَوْغلوا فعَلى الحبَابُ وإن صَحُوا تَبِعوا خيَاله

يا ليْلُ أَنجُمُك المُضِيئة عَسْجدٌ والـكأْسُ هَالَة

العُمرُ إلَّا مَا وهَبتْ من المنى شَبَحُ الضَّـلالـة

والعمرُ إلا مَا مَلأْتَ بِه الحَياة هو الضَّحَـالـة

يا لَيْل قالوا عَنْك مَا قالوا ويا سُوءَ الْمَقَـالـة

قالوا نَهارُ العابِثين على الغِـوايَةِ والجَهَـالـة

يَتَلَمَّسونك للخنـا سِتْرا يُفَيِّئُهم ظِـلالـه

ويُعَاقِرون الرَّاحَ شيطانا يَمُـد بِهـا حِبَـاله

فى وقْدِها عاشوا الحياة سُلَالةً ورِثَتْ سُـلالة

الدِّفْءُ فى إِشْعَاعِها وهَج تُضِىءُ به الغَـزَالـة

والبدرُ ما حَفِلوا بِه أَبَدًا ولا لَمَحُوا هِلَالـه

قَنِعوا بأَشْراقِ النَّدِيم يَمِيسُ فى أَبْهى غُلالَـة

والزهرُ يأْلفُ والنَّدى ظَمْآن يَلْثُم مـا بَدَا لـه

والمتْرَفُون الوالِهُون الواطِئون على العَـدَالـــة

أَهــلُ الشّرافة فى النَّهارِ وفى المَساءِ هُم الحُثَالَة

والخَادِعون اللهَ والإنسان بالتَّقْــوى المُـذالَـــة

يَا ليْلُ قد جَهِلوك والأَقْدارُ تَنْقُص بِالجَهَـالــة

جَحَدوا الهِدايَةَ والهدى والكون قد مَسَخُوا جَمَاله

وتَنكَّروا للآية الـكُبري مُجَلجِلَةً خِـلا لــه

فى الأَنـجُم الزهْراءِ فى الأَفْلاك دائرة حِيَـالــه

فى الضجَّة الرَّعْناء تَسْكن فى هُجُوعِك لا مَحَالة

فى الهَاجِعات مِن العَزَائم تَشْمئِزُّ من البطَالـة

فى المَشْرفى العَضْب بعْد عِرا كِه أَخْفى نِصاله

فى السَّمْهَرِي اللّدن أَفْسَح للكَري سحرًا مَجَاله

فى الفارِس الغَافِي على دَعَة يَحُثُّ بِها نِضَالــه

فى القانت الأَوَّابِ طُولَ اللَّيلِ لا يَدَع ابْتَهاله

فى دعوة المظْلومِ كالصَّارُوخ تَشْتَعل اشْتِعَالـه

فى الحب فى الدَّوْح المُغَرِّد بالعَرَاقَةِ والأَصَالة

فى الوجْدِ يعْتقلُ الأَسيرَ ولا يَفُك له عِقَالَـه

حتى إذا أَلِفَ المُحِبُّ عَذَابَه وجَفَا وِصَالـه

حَرَسَتْه أَطْيافُ اللَّهِيب من السَّآمَةِ والمَـلَالـة

يا لَيْتَهم عَبُّـوا عَبِيبَ الحُبِّ أَوْ نَهلوا نِهَالـه

ومَشَوا على أَشلائه وعلى اللَّظَى وطِئُوا رِمَـالـه

فَتَلَمْلم الوادي كأَنَّ رِعانَه حَضَنَت رِعَـالـه

والليلُ فوْق الليل أَرْخَى سدْفَه وثَنَى كـلَالـه

يَتنوَّرون الهَمْسَ قد زَحَم القَلِيب وطَمَّ جَـالـه

والهَمْهماتُ على الغَدير مَزَاهِرٌ صَدَحَتْ قُبَالـه

جَمَع الهوى والليلُ أَسْرابَ الفَلا وحَمَى صِـلالَـه

ولَقَد رَعَاهم مِثْلَما يَرْعى أَبٌ سَمْحٌ عِيَـالَـه

خَفَض الجَنَاح مُبَعْثرا فِيهم كَرائِمه وَمَـالـه

وتَلِذُّه الشَّكْوى لِمَنْ يَشْكو على الحِرْمانِ حَـالـه

صَب يَذوب مِنَ الحنينِ وشَادِنُ يَبكِي دَلَالـه

يا رُبَّ ليلٍ قد شَهِدنا فى نَقائِصِنَا كَمَالـه

إن ضَمَّ جِنحُك عَائلا فالخَلْقُ للخَلَّاق عَالـة

يومٌ ويومٌ قد أَلِفْناه وأَحْبَبنَا سِجَالـه

قامَت عليه ذُرَى الحياة تُطِلُّ من عَهْد الرِّسَالـة

هذا الدُّجَى كَمْ قد سَقَانا من مَنَابِعه زُلَالَـه

ومِن الحَرَام المُكْفَهِرِّ لقد أَسَاغَ لَنـا حَلالـه

والعَبْقَرِيَّةُ هَلْ لَهَا غَيْر الدُّجى يُرْضِى حِجَالـه

والفِكْرة الصَّمَّاء كَمْ فَتَحت مَغَالِقَها حِيَالـه

إنِّى لأَخْشى أن يُدِيلَك عِلْمُهم فِيمـا أَدَالـه

ويُجَرِّدونك مـن ظـلام كَمْ تَحلَّيْنا جَمَالـه

ونَعِيشُ ضَوءًا خَانِقا « زِرٌّ » يُكَيِّفُه و « آلـة »

ونَعِيشُ عَصْرا لا غِطَاءَ له ولَوْ خُضْنا رِحَالـه

عَصراً تُصَرِّفه النِّساءُ ورُبَّمَا حَكَمتْ رِجَالـه

يا ليْل كَمْ نَاجَاك مبْعُوثُ الهِدَايةِ والرِّسَالـة

يا ليلُ فاذْكُرْ أَحْمدا واذْكُر صَحَابَته وآلـــه

فَلَعلَّ ذِكرى مَنْ نُحِبُّ تَرُدُّ للقلب ابْتِهَـالـه

وتُعيدُ للمجد المُمَزَّق فى رُبَى الدنيا جَـلالـه

كَمْ عاثِرٍ رَفَع الضَّراعَةَ مـا غَفَى حـتى أَقَالـه

يا لَيْلُ وارْع زَمالَة الأَفْلاك فِى أَوْجِ الزَّمَـالـة

فَلَعلَّ بدْرهُم الجديد يَحُطُّ عن كَتْبٍ رِحَـالـه

ماذَا يكونُ مآلُنا والشِّعرُ هل تَدْرِي مآلـــه

* * *

أحزان الشاعر في حوار

قلتُ للشاعر الذي عَصَف الحُزنُ بِأَعْماقِ حِسِّـه وكَيَانِـه

وتَلَوّي مِن الأَسَى فتــولَّى صَمْتـه الحُـرَّ كَفْكَفاتُ عِنَانِه

ساهِمًا كالغُروب ذابَتْ حَواشيه وغَام السَّحابُ فى أَجْفــانه

وتَدَانتْ له الطُّيوفُ البَعيدات غِضَابا تَنُوحُ نَـوْح بيَانِهِ

والدُّجَى يَنْسِجُ الدجى بيْن أَطْواءِ أَساهُ : وغَمْغَماتِ جَنانه

هل أَطَاق البَيـانُ تَصْـويرَ بَلْوَاك : كَما عَاشَها بِحِسٍّ عِيَانهْ

هل وعَاها مَشَـاهِداً ماثِـلاتٍ تَتَحدَّى الخَيالَ فى عُنْفُوَانه

صاحِياتٍ كأَنها ثَبَجُ البَحْر تَمُـورُ الحياةُ فى شُطْآنه

هل تَلَمَّسْتَ فى مُصَـابِك مَنْ تقْدر وصْف البَلَاءَ فِى إِبَّانه

حينما عزَّكَ البيـانُ وجَافَاك وأَنْت الكَمِيُّ فى مَيْــدانه

ورَقَا الدَّمْـع أي وحقَّـقَ حتى الدَّمْع أَعْياك نَافِرا بجُمَانه

وتبدَّي الإِحْسَاس بالغُرْبَة اللكْنَاء مُسْتنجِدًا بِغَـير لِسَـانه

واسْتَـدَار الزَّهنُ فى مَحْبَسَيه يَتَلَهَّى عَنِّى بِعَـضٍّ بَنَـانه

يَتَرجَّى صَمْتى ويُمْعن فى الغَضّ عن الكـونِ أَهـلِه وزَمَانه

* * *

وتعَمَّقْت مثـلَه غيرَ أَنِّى غارِقٌ : فيه فى حقيقـة شَانه

فإذا بالصَّدى يُتَرْجم مَصْعُـوقا كَثافات صحْبِـــه ودُخانِه

قائلا إنَّنى الأَسيف على العُـدم الذي لم يفز بِيـوم رِهَانِه

إذْ تبيَّنْتُ أنَّنى لَسْت شَيْئا غيرَ صوْت الزَّمان أو تُرْجُمَانِه

كان ظَنِّي بالنفس غيْر الَّذي كان فقد عُدْتُ فى الوَغى كَجَبـانِه

يَصف الحرب دَاعِيا ومُثِـيرا ثم يَفْنى بحِسِّه فى طِعَـانِه

كان أَسْمى البيانِ أَنْ أُطْرِبَ الناسَ بِكَرْب البَيَـان فى مَعْمَانِه

فى جِراح لِعِقْتُها زَاهِيـــات مِثْل زَهْو النَّخِيل فى بُسْتَـانه

إنَّ ظُلمَ الحياةِ للشاعِر الشـاعِرِ نصرٌ يَفُــوحُ من أَرْدَانِه

وبَلَاوِيه راحـــةٌ ومآسِيـه عَطـاءٌ يُضِىءُ فى حِرْمانـه

لا يَقُلْ راحِـمٌ أَمُوت لِيَحْيا فى رُؤَى مأْتَمِى وفى أَشْجَانِه

فَمَعَانى الأَسَى أَحقُّ بها الشـاعرُ فى ذاتــه وفى إيمَـانِـه

وَمَقايِيسُـــه على النَّفْس لاتَبْقى حُدُودًا : لأَنَّها دُون شَانِه

وأَغَارِيدُ بُؤسِه العَلْقمِ المُـرِّ حَصَـادُ الآمَالِ فى أَلْحَانه

وإذَا ذَلَّ بالكَرِيـم لئـيمٌ فَهْوَ عِزٌّ الكريم رغْم هَوَانه

* * *

إلى روح ولدي حمـــزة

يا رضيًّا راضتْ شمائلَه البيضَ معـانٍ من البنـوةِ أسمى

يا حفيًّـا بوالديهِ تسـامَى بهواهُ الحبيبِ روحا وجسما

يَا لَبِـرٍّ مُقَطَّـــرٍ أتمـلاه بسرِّ الحياةِ صَحْواً ونَوْمًا

ملءَ عيني وملءَ روحي فقد زاد جلاءً وإنْ تحجبَ وهما

يا لذاك اللقاء فى قربك الحلوِ توالى بحرصِك العذبِ جما

رغم ما تفصلُ المشاغلُ ما جال بقلبي هذا الذي بك حُماَّ

لو تحسستَه لكنْتُ بِكَ الأحفى لقاءً وكنتُ لَصْقَكَ دوما

ولكان اللقاءُ كلَّ أويقـاتى لِقَـاءً أَحَرَّ لثما وضمـا

* * *

رب مَيْتٍ مثلي بأجنحة السرِّ قريبٌ إلى حيــاتِك يُنْـمَى

بالرؤَى أَشْرَقْتَ ضياءً من الغيب وبالحبِّ لَمْ أكُنْ فِيكَ أعمى

أتُرىَ ذاكرٌ حديثي بالأمس الذي خلتُه من الغيب رجما

إنَّ نظمَ الحياةِ يُنْثَرُ أحيــانا وبالموتِ يُصْبِحُ النثرُ نظما

ذاكَ تخليقُها البعيدُ وما أسرف في ركضِه ففارقَ لحما

والهوىَ الحرُّ كلّــهُ رعشــاتٌ في المغاني أباً وفي الروضِ أُما

إنّها إنها عصاميةُ الخلد تعالتْ أن تسكنَ الخلدَ عَظْما

لَكَ يا حمزةُ النصيبُ المعلى بينَ نُعْمىٰ من الإله ورُحْمى

إن بكى حمزةَ أبا الشهداءِ الْغُرِّ طَهَ خلاًّ وفيــا وعما

أو اسَالَ الدموعَ في فَقْدِ إبراهيمَ جَرِيًّ فقد تضاحكتُ رغما

رحمةً بالقلوبِ بالأهلِ بالصبيةِ داريتُ بالغـمِّ غمــا

علّها علّها رِضًا لك أجـدى مِنْ عويلٍ سَحٍّ بقلبٍ أَصَمَّا

لم تغبْ لم تغبْ فما أنتَ إلا نسماتٌ رَقَّتْ صفاءً أتما

أنا في عنصرِ الحقيقة أحْيَــا معك اليومَ والنوّى عادَ حُلْما

لا تسلْني عن « الحنينِ » ففي « الأهدابِ » أَضْحى كما تراه وأسمى

فهما الحبُّ نشوةً وهما الصفو حياة والروحُ قلبًا وَفَمــاً

بيننــا أَنتَ ماثلٌ زهـــراتٌ أَنتَ ساقيْتَهن حُبَّكَ جما

فلنــا اللهُ ثمَّ أَنتَ احتسابًا نترجَّى عقبــاهُ يوما فيوما

ولنا اللهُ فى اصطبارٍ لقدْ عزَّ ولكنَّهُ تشعشعَ نُعْــمى

ثمراً أَينــعَ اليقينُ جنــاهُ فاستطالَ الإِيمانُ طوْداً أَشَمَّا

رحمةُ اللهِ لم تزلْ تســعُ الكونَ إلى أَنْ يَلُمَّهُ اللهُ لمّا

فالسعيــدونَ مَنْ إليهِ أَنابُوا ورَضوا أَمرَهُ قضاءً وحُكْما

رُبَّ صَبْرٍ للراحلين دُعاءٌ نالهمْ سِرُّهُ ثواباً وغنمــا

• • •

أفولُ الأقمار عام ٧٣

إلى ابنى حمزة : – المتوفى فى ريعان الشباب عام ١٣٩٠هـ

رحمه الله رحمة الأبرار

بُنيَّ وما أحلاه جَرْسًا مُنَغَّمـا يُرَتِّله قَلْبي ويَشْدو به فَمِـي

ذَكَرتُك والدنيا تَمُوج بِناسِها حَيارى سُكارى بَيْن صَحْوٍ ونُوَّم

ذَكَرتك فى جُنْح الظَّلام وفى السُّرى وفى خَلَجات الحِس تَنْبِض فى دَمِي

ذكَرْتك أَسْتَجْلي المنى فى ازْدِهارِها أُرجِّي لها نَفْسي ورُوحي وتَوْأَمي

فأيَّة نعْمى أنتَ صِيغَت حُشَاشة وفَرْحة قَلْب لا تُقَاس بأَنْعُم

ذَكَرت بِك الرحمن مُسْبِغَ ظِلِّنَا بِمَنْ أتَرَجَّى ظِلَّه ظِل ضَيْغَـم

بِمَن أتَهدَّاه لِمجْد مُرحَّب يَطيبُ بِذِكْراه الشَذيّ المفَغَّـم

وأَسْجُدها لله سَجْدَةَ شاكر رَأى الشُكر للنُعْمى حِمَى المُتَحَرِّم

فأَسِّس بُنَيَّ اليَوْم فى نَضْرَة الصِّبَا عُلاكَ على النَّهْج السَّديدِ المُقوَّم

وركِّزْه فى هَام السِّماكِ مُحلِّقًا فما تَسْتَوي فيه بُغَاثُ بِقَشْعم

وصُلْ صَوْلَةَ المشْبوبِ عَزْمًا مُضرَمًا فما المجد إلا لِلَّهِيب المُضْرم

ألَا إنها يا حَمْزُ نَفحة والـدِ ونَجْوي هَزِيع مُطْبِق الصَّمْتَ مُلْهِم

تَلَمْلم فِيكَ الحِسُّ والعقل والمنى | فَنَاشَدْت ربِّى فى الرجاءِ المُلَمْلم
أَلَا إِنَّها نجوى الهوي فى رجَائِه | ومَالِيَ إلا عَبْرتى وتَنَدُّمى
أَلَا إِنها رَجْوى المُسِيءِ ومَــالَه | سِوى أَملِ المكْروب فى باب مُكْرِم
فَياربٍّ هَبْه للمَعَالى تُريدُها | وللخَيْر تَحْمى مَنْ به اليَوم يَحْتَمى
وجمِّلْه بالفضل الجَميل حَبوْتَهُ | جَمالَك فى سِرِّ الجَلال المُجَسَّم
وهَبْه من الرُّحْمَى التى أَنْت رَبُّهَا | فما أَنْت للقَاسِى الجفي بِرَاحم
وصُنْه وزَهْراتٍ حَوالَيه أَرْبَعًا | وما زِلْنَ فى الأَكْمام أَشذَاءَ بُرْعم
يُظَلِّلهُنَّ السِّتْرُ منك على المَديَ | فَلا ذل جان لا ولا بؤس مُعْدِم
«مَرامى» مَرامى «والتَّهانى» تهانِئُ | وَلَمْيَاً بمنغوم النِّـداءِ المرَنِّـم
وأَزْهارُ نخب الفجر نفْح هَزِيعِهِ | أَهلَّتْ كاهْلال الرَّبيع المُوسَّمِ
فَيَاَ فَرْحَةَ القلبَين أُمًّاً ووالـدًا | هَنيئاً بأَحْنى الأُمَّهات وأَرْحم
سَليلة أَمْجادٍ نَمتْها فأَعْرقَتْ | كَريمَةُ إِنْجَابٍ وفِلذَة أَكْـرم
عُمومَةُ أَحْسَاب خُؤُولَةُ مَحْتِـد | فأَنْتُم بُدور قد أُحِيطت بأَنْجُم
سَلِمْتم وأَنْجبتُم من الأَصْل فَرْعَه | كما انْتَسَبَ الْقَرْمُ الأَصيل لِمُقْرِمَ
أَبُوكُم وما أَدراكُم مَن أَبُوكُمُو | أَبٌ عَجَمتْه كُلُّ نَكْباءَ دَمْدَم
فَلمْ يَر فى الدُّنْيا سِوي طِيب طَيِّبٍ | تَذَوَّق طَعْم الغرم لَذَّة مَغْنَـم

* * *

رباعيات

ومحوتُ كلَّ الذكرياتِ البيضِ بعندَكَ مِنْ حياتى
ووصلتُها بكَ أنتَ وَحْدَكَ كى أَعيشَ بغيرِ (آتـى)
حسْبي من الدنيا زمانٌ كنتَ فيه ضياءً فى الحالكـات
والحبُّ أرواحٌ تشعُّ بهـا الحقيقةُ فوقَ اشعـاعِ الحيـاة

* * *

رباعيـة

إقرأْ خواطرَ نَفْسٍ أنتَ مهجتُها
واسمعْ حديثَك العذبَ فيها كيفَ يستعرُ
وَأَشْهِدْ أَباكَ الذي ما عاشَ يُبْصِرُهَا
حقائقاً أَنتَ فيها السمعُ والبصر
أَنتَ الرؤَى لم تغبْ عني مشاهدُها
أَنتَ الهوىَ عَزَّ فيـه الوِردُ والصَّدرُ
واللهِ لم تَنْأَ رُوحاً صافياً عَبِقاً
وإن نـأَتْ بِكَ عني الذاتُ والصُّورُ

* * *

رباعية

وأحسستُ فى حُبَّيْكَ بالوجدِ كُلِّهِ ضِراماً تعالى عن كِياني وعن جُهْدي
صحا صحوةَ البينِ المُشتِّ فجاءة وشتانَ بين الصحوِ فى القربِ والبعد
ألاَ إنَّهُ الوجدُ الذبيحُ تصارحت لديه أَغاريد التواجدِ والوَجد
فكلٌّ هَوًى أحسستُ قبلَكَ منطقٌ مشاعٌ وحبي فيكَ منطلقي وحدي
أعيشُ عليه العمرَ سرَّ حقيقةٍ وحبيَ نجْوَى العمرِ فى الأَملِ الفردِ

* * *

رباعية

أرى بعينيْكَ ، يا غالي وإنهما عيناي عبرَ (حنيني) عبرَ (أهدابى)
هما الوشيجةُ لَمَّا أَنْ رمَى قدرٌ بسهمهِ فتحدَّى كلَّ أسبابى
هما عزائي فى أعقابِ داهيةٍ لم تُبقِ غيرَ انكساري بين أحبابى
وُضْتُ الأَسَى كُلَّه فى نظرةٍ لهما فلا تُرعْ ، فجميلُ الصبرِ أولى بى

* * *

رباعية

وقال طيفُكَ دَعْ ذكرايَ وابتهل فإنَّ فُرْقَتَنَا حقًّا إلى أجل
حسبي وحسبُك حُبٌّ أنت مصدرُهُ واللهُ صانعهُ فى سابقِ الأَزل
وللمقاديرِ رُحْمى رغمَ قسوتِها فاصبرْ لها فهي فوق الحولِ والحيل.
أني وَحقِّكَ لم أبرحْكَ ثانيةً لكنْ أحاذرُ دمعَ المشفقِ الثَّكِلِ

* * *

رباعية

رجوتك فيها أُمنيات نسجتُها بكَفِّي على وهنٍ يَقُضُّ المضاجعا
طويتُ عليها النفسَ بعدَ افتقادها هوًى كان ملءَ العين ريانَ ناصعا
طويتُ عليها النفس أزحمُ وَقْدَهَا بدمعٍ عَصِيٌّ قد تحدَّى الفواجعا
هو الطيفُ إلا أنَّ فى العين ظِلَّهُ يناشدنى السلوانَ لهفانَ ضارعا

* * *

رباعية

لا تراعى فللثرَى لمساتٌ حانياتٌ يَدُ السماءِ عليها
فالثرى أَمنٌا الرؤُومُ التى تعـ ـرفُ مَنْ فَرَّ من يدْينا إليها
كان ملءَ العيونِ ثم توارَى وطوتْه فيمنْ طوتْهم لديها
إنما نحنُ فوقَها ظِلٌّ رُحَّلٍ والمصيرُ المحتومُ ملكُ يديها

* * *

رباعية

ما حيلةُ المرءِ إنْ مَدَّ الزمانُ يداً إلى الأَحبة هل عتبٌ علَى الزمن
قد كنتَ توأَمَ نفسى كم فرحتُ لها وكمْ حزنتُ على مَامَسَّ منْ حَزَنِ
أُمنيةٌ طابَ فى نفسي تنقلُها ومهجةٌ لي في حِلِي وفي ظعنى
إن سرت يشملني من ضوئها قَبَسٌ أَو استقمتُ حلا : فى فيئِها سكني

* * *

رباعية

«يا عالم الأسرارِ حسبي محنــة علمي بأنكَ عالمُ الأسْرارِ»[1]
يا عالم الأسرارِ كلُّ وسيلتي ذلُّ الكسيرِ ومحنةُ المحتار
فَصِلِ الحيارَى الموجعينَ برحمةٍ يا راحمَ الأخيارِ والأشرار
وَارْوِ الظماءَ برىً عفوكِ ما لنا إلاهُ . . إنّا جيرةُ المختــارِ

* * *

رباعية

أبا حمزةَ أحلى نداءٍ يشدنى إليك وإن لم تَنْأَ عنى ثوانيا
فأنت بحِسِّى غير ما أنت .. إنَّهُ بنفسي حياة تستجيب ندائيا
وَيِهْتِفُ بى هتف الحياة بنبضها وإن كنتَ فى دنيا التماثيل خافيا
واسمى الرؤى ياقرةَ العينِ رؤيةٌ أراكَ بها حِسًّا وأنتَ تَرَانِيَا

* * *

جاوزتُ فيكَ هوَى نفسي فَأثْقَلَهَا عِبْءُ النَّوىَ غيرَ مرجوٍ ولا داني
وعنفوانُ الأسَى لا الصبر يُخْمِدُه إلا التجمل فى صمتٍ و كتمانِ
فاجعلِ الصبرَ صبر الوجدِ مشتعلاً مقرَّحَ الْجَفْنِ لم يخضعْ لسلوانِ
تعيشه النفسُ ذكرىحالمٍ سبحَتْ أنفاسُه عبرَ ذاك العالِم الثانى .

* * *

(١) البيت الأول للشاعر الطليعة اسماعيل صبرى .

حومى

حومي يا روحَهُ الغالي هُنـا وَانْظُرِينَـا وانظري أحوالَنَا

سَكَناً قبلا أَردناهُ لنـا ليتنا كنَّا جميعاً : كلُّنـا

لا تدعْنا لا تدعْنـا وَحـدَنا إنَّ أَيَّاماً و « حُنوًّا » (١) بَيْننَا

فلأَجلِ البعضِ فارحمْ كلَّنا آنِسِ الوحدة فرِّجْ كربنَا

فطيورُ الخلدِ فى تحويمِها لم تدعْ عُشًّا لها : أَو سكنـا

يا حبيبى يامنى نفسي ويـا فَرحةً مَقْطوفةً قطفَ الجَنا

أَنتَ إبنى وأَبى هل شافعٌ بهما عندَكَ يأْسُـو جرحَنا

أَنـا يا حمزةُ لفظٌ مَا لَـهُ مثلَ ما تلمحُ معنى : بينـا

* *

يا حمزة

يا قَـارئاً لأَبيـــه مـا كـانَ يملى ويكتبْ

بـكـلِّ شـوقِ الْبُنُوَّةِ فـى فـرحـةٍ وتَـرقُـبْ

ولَفْتَـــةِ التنـويـــه لـم أَنسَهـا فـى تـأَدبْ

* * *

فـى الحِـل والترحـالِ تعليقـك الحلو : غالي (٢)

يـا حمـزتـى يا مجـالِي يـا فرحتِي : يـا وِصَـالي

* * *

---

(١) الاسم الذى كان يدلل به ابنته حنين ٠

(٢) حتى فى سفرى كان يكتب لى تعليقاته عـــلى ما يقرؤه رحمه الله ٠

يـــا حمزة

أَين تلك اللَّحظاتُ أَين تلك الْخُطُــوَاتُ
أَين تلك البسمــاتُ والعيـــونُ الضاحكاتُ
يـــا حبيبَ القلبِ يـــاحمـــزة والْخُلْدُ : حيـــاة
أَنتَ فـــى العينِ وفـــى القلـــبِ دعـــاءٌ وصـــلاةٌ
فالشبـــابُ الغضُّ فـــى الخلـــدِ عليـــه : الرحماتُ

* * *

يـــا حمزة

يا راقداً فى ثرى أم القُرى أَملاً وسدتُه بيدي فى لحدِهِ الأَزلي
وما الثَّرى في رحابِ الله غَيْرَرضا ورَوْضَةٍ أُنُفٍ فى أَكرم النزل
فيا أَبا فاطمةَ الزَّهْراءِ هبْ ولدي شفاعةً هي كلُّ الذخرِ والأَمل
مِنْ جيرةٍ لك فى دارِ الهدى شرفوا بمجدِها وفخَارٍ غير مُفْتَعَلِ
يا سيدي واحتسابُ الأَجرِ منزلة أَتاحها حمزةُ يا ليت تشفعُ لي
دعوتُ رَبيَ سِراً بالصلاةِ على خيرِ الأَنام برجوى الفاقدِ الثكل
ولن أَبوحَ فما سري بمنكتِم عن الرحاب ولا قلبي : بمنفصل
لا : لن تكونَ أَقاصيصاً ولا حُلماً ولا أَساطيرَ أَوهامٍ : لمن وهمـــا
فأَنتَ أَنتَ حياة كلما ابتعدتْ تشامختْ نسباً واستحكمتْ رحما
بنوةُ أَنا مجلاها ومشهدُها أُبوة أَنتَ ترعَى قربَها أَمَمَا

ستنطقُ الحالُ فيما بيننا وأرى بقُدْرَةِ اللهِ مَنْ أودعته الرُّجُما
سِرًّا : وسُّرك يا مولاَي يَبْلُغُهُ مَنْ بالقُوبِ منك صانَ السِّرَّ فانكتما

* * *

أول رمضان بعدك يا حمزة

وأهلَّ شهرٌ كنتَ أولَ فرحةٍ فيه تُطَالِعُني فغبتَ على المدى
يافرحةَ الرمضانِ ياابنَ حُشاشتي ياحمزتى أنت الرضا أنتَ الفدى
أيَّ الْهناءةِ بعد وجهك أجتلي ولمن أبوحُ بسرٍّ قلبى المقفل
قد كنتَ تفرحُ بالحديثِ صداقةً وأبوةً يا فَرْحَةً لم تكملِ
قد كان يمتعك الحديثُ معي كما يرضيك إدنائي وحسنِ تقبلى

* * *

يا حمزة

أقرأُ خواطرَ نَفْسٍ أنتَ مهجتُها
وأسمعْ حديثَكَ العذبَ فيها كيف يستْعر
واشهدْ أباكَ الذي مازالَ يشهدُها مَشاهداً أنتَ فيها السمعُ والبصرُ
أنْتَ الرُّؤَى لم تغبْ عني مطالعُها أنتَ المنىٰ عز فيه الورْدُ والصَّدَرُ
لم تنأَ ياحمزَ روحاً صافياً عَبِقًا وإن نأَتْ بي عنك الذاتُ والصورُ

* * *

أول عام بعدك يا حمزة

يا أبا الحُلوتين يا حمزتي الغالي ويا تاركي لِحُـرْقَةِ بُعْدِك

قد أهلَّ العامُ الجديدُ علينا يا حبيبي وأنتَ تسكن لحدك

كيف أحيَا لولا حنينٌ وأهدابٌ وأخَوَاتُكَ الوَحـائِدُ بعدك

أنت في رحمةٍ أعيشُ برجواها مـا أكـرمَ الخلدَ خُلدك

* * *

يا حمز

يا حمـزَ هـذا العيـدُ أولُّ مـرةٍ أحيـاهُ بُؤْسـا

إنـى أعيشُ الـكـونَ بعـدَك كلَّـه يا حمـزَ رمسـا

قـد كنتَ لي قمـراً يضئُ وكنتَ لي يا حمز شَمْسًا

ولأنـتَ أهْنَـأُ فى رحـابِ الله إيمـانًـا وقُـدسـا

يا فلـذتي طِـبْ فى جنـانِ الخلـدِ عند الله نفسـا

اليـومَ صرتُ وأجمـلُ اللحظـاتِ أحيـاهُنَّ أنسا

لحظـات أدعـو اللهَ بالرُحمى علانيـةً وهمسـا

واللهُ أرحـمُ بالـكسيرِ القلـبِ أنفـاسًـا ونَفْسًـا

* * *

غياب

أحَاط بِيَ الشبابُ فلم أجدْهُ حبيبَ القلب ما بينَ الشبابِ
تخيَّرَ فى الترابِ هوًى دفينًا وخلَّفني أعيشُ على التراب
سبقتَ وكان أكثرَ من يقيني بأنك حَافِظٌ عهدي غيابى
ولكنَّ المشيئةَ فوقَ حبي وَمُنْيَةِ خاطري وأسى اغترابى
وَرُحْمى الله أغلى من وحيدٍ فقدناه على غيرِ ارتقـاب

إلي روحه الغالي فى يوم عرفة

وتأْخذ الكفَّ مني ثم تلثمُها وألثمُ الرأْسَ فى حُنُوٍّ وإرفاق
ضرعتُ للهِ والدنيا تعـجٌّ به يوماً أغرَّ رعتْه فيك : أحداقى
سألتُه مَنْ قضى فينا بحكمته بما قضى : سُؤْلَ مخلوقٍ : لخلاق
أن يمنحنَّكَ من قرباه منزلةً أدنى من القرب فى رُحْمىَ وَإشْراقِ
وأن يواصلَ روحْينا برحمـةٍ تلقاكَ عينى كما تلقاكَ أعماقى
يا صاحبَ الأَمرِ إما شاءَ قال لهِ كنْ فاستوى هيِّنا فى غير ارهاق

* * *

إلى روحه الغالي فى يوم عرفة

يا حمزةَ البرِّ ما أبقى الزمانُ هوىً أعز منك ولكنْ بِرُّكَ البـاقى
حباً كحبِّك لا تبلى مطارفُه جديدةً نُسجتْ مِنْ دمعِ آماقى
فى كل ثانيةٍ ذكرى مؤرقةٌ يرفُّ فى ومضِها يا حمزَ : خفاقى

وأستريحُ على البَلْوَى وأنشدها فَلِصَّدى فِيهَا رُقْيَةُ الرَّاقي

يا أنتَ يا سرٌّ نفسي بل وجوهرُها ويا رِضائي ويا ذاتى وأخلاقي

اليوم حيث أفاضَ الناسُ وازدلفوا أحِسُّ خطوكَ حولي خطوَ مشتاقِ

مُسلِّما مثلَ تسليمِ الغمامِ على مُصَوَّحٍ يتلقاهُ بأشفاق

* * *

« الحج الثانى بعد حمزة رحمه الله . . »

أنيِّ أُجِلُّ رباعَ الخلدِ فهى به أَحرَى لمنْ ظل رهنَ العالمِ الفانى

* * *

الحج الثانى بعد حمزة رحمه الله . .

يا قرةَ العينِ هذا حَجُّنَا الثاني وأنتَ ناءٍ وفي أحشائِنا دانى

كأنما الدهر قد عشناه فى حُرَقٍ وما مضى يا حبيبَ القلبِ:عامان

عسى ضراعتُنا الحرَّى مرفرفة تَحُفُّ رُوحَكَ : يا صبري وإيمانى

إنى أُرجيكَ والرجوَى هوى رَمَقٍ أن لا تضنَّ على روحي ووجدانى

رُحمىَ من اللهِ حَاوِلْها لأجلِ أَبٍ جَمٍّ الحنانِ كسيرِ القلبِ أَسْيَانِ

لُقْيَا مطمئنة ليست بمعجزةٍ وأنت فى ظلِّ مَنَّانٍ وحنان

يا مَنْ سما فوقَ حي : حبُّهُ أترَى يقلُّ مقدارُه فى العالمِ الثانى

* * *

البلبل المنتحر

(١)

تجمَّعَتَا عِنْدي لَمِيس وأَزْهَار كَوفْد (غِفَار) والهَوى الأَبُّ غَفَّار

وفى عَين كلٍّ منْهُما ظِلُّ نَسْمةٍ شَذَي عِطْرِهَا أَشْياءُ كُثْرٍ وأَخْبَار

وَأَقْبَلَتَا أَمَّا الدَّلال فَنَاطِـق وأَمَّا المَرامى تَمْتَمَاتٌ وأَسْرَار

(٢)

وبَعْد حِوارٍ مَنْ يكون المقدَّمُ تَصَدَّت لَمِيسُ وَهْيَ للزَّهْر تَوْأَم

وقالتْ غدًا مِيلاد ازْهَار كَيف لَا تُفكِّرُ أَيْن الحفْل أَين التَّبَسُّم

وللعِيد لَمَّا أَن نَسِيت غَرَامَةٌ مُؤَخَّرها شَئٌ وشئٌ مُقَدَّم

(٣)

فقُلْت رَضِيتُ الحكمَ فوق قَبُولِه رَجاءَ هُو العَفْو الذي أَتَأَمَّل

ولمْ أَنْسَه عمْدًا ولكن أَبوكُما أَنَاخَ عَليه كَلْكلًا ثُم كَلْكَل

ومَالِى لهذا القَولِ هَيَّا تَعجَّلا فإِنِّى بأَمْر الحُلْوتَيْن لأَعْجَل

(٤)

فقالتْ لمِيسُ أَلْف شُكْرٍ وإِنَّــنِي وأَزْهارُ باسْم العِيد تَطْلُبُ(دُرَّتَين)

(٥)

فَواحِـدة القمريَّتَيْن كأَنَّما عَرَاها هُزَالُ الصَّبِّ فَارَق إِلْفَه

فَناحتْ وفى حِسِّ ابنـتيَّ كأَنها تُغَنِى كَما غَنَّى الْهِزَارُ المُرَفَّه

وأَوْغَل فِيها السُّقْم تَحْجِب سِرَّه وأَضْحَت كَظِل الموْتِ أَوْ هِيَ طَيْفَه

(٦)

وحَيَّرَنا هذا الخَفَاءُ المُـبَرِّح أَسُقْم ثَوَىَ أَمْ عِلةٌ ليس تَبْرَح

وهذا الأَلِيفُ الحُلْو لَصْقُ جَنَاحِهَا فَلِمْ يَا تَرى هذا الأَسى المُتَرنِّح

إِلى أَنْ لَمحْتُ السِّرَّ فى هَتْفِ صَادِحٍ يَحُوم طَلِيقا وَهْيَ فى الأَسْرِ تَرْزَح

(٧)

وشَدَّ الأَسَى شَدًّا على الدُّرّة التى نَـأَى جَارُها مَهْما شَكَى مِنْ جِوَارِها

فأَرَّقَها جُرْحانِ جُرْحُ اغْتِرَابِها وجُرْحُ شَهيدٍ دَارُه غَيرُ دَارِها

فَجَار عليها اليَأْسُ حتَّى أَحَالَها إلى عاصِفٍ فى سِرِّها وجِهَارِها

(٨)

وصرَّحَ فِيها الشَّرُ تَصْرِيح ثائرٍ على نَفْسه مُسْتَعْجِلا أَخْذَ ثَارِها

وَحَاول أَقْصى ما يُحاوِل هاربٌ من العمر والأَقْدارُ رهْن مَدَارِها

وأَبصرها قارورةً ظن ما بهـا زُعافاً فما للنفس غير انتحارها

(٩)

ولم تُجْدِهِ فاحتار يَرْمُقُ مدية وأَحجم أَعياه اقتناص شِفَارِها

ولما رأى زَحْمَ الإِسَارِ وَقَرّهِ وضاقت به الدنيا بِضْطِ إِسَارِهَا
تحايَل يَبْغى الْهُلْكِ يدنو بجِيدُه يُمزِّقُه تَمزِيقَ نَفْس بِعَارِها

(١٠)

وَيَلْكُزُ فى الأَسْلاك رأْسًا مُحَطَّما لِيَقْدح شَرًّا واقِدًا مِن شِـرَارِها
ومَا زَال حتى خرّ فى نفس رُكْنِه صَرِيعا وَهُلْكُ النَّفْس بَعْض انهِيارِها
وما رَاعَنِى إلا ابْنَتَاي بِحُرقةٍ يَنُوحان نَوْحَ الوُرْق بَعْد سِفَارِها

(١١)

يَقُولان قَتْلَانا ضَحِيــةُ فَرْحَةٍ وها نَحْن نُكْوى من أَسَاها بِنَارِها
فَيَا لَيْت انَّا قد رحِمْنا هَواهُمَا فَما تَسْتَريح النفس فى غَيْر دَارِها
وقُلْت لِبِنَتَيَّ أَرْبِعَـا وترفَّقَـا فإن عذَابَ النَّفْس فى سِجْن عَارِها

(١٢)

ولا تُطلِقُ الأَيامُ غيرَ شِرَارِها ولا تحبِسُ الأَيامُ غَيْرَ خِيارِها
وأَنْكى مَعانى الأَسْر خَلْف طِباعِها فَلا تَلْتقى طُول المَدَي فى حِوارِهَا
فَقُولَا مَعِى يا ربٍّ عفْوًا وتَوْبَةً وخَلِّ دُجَى الدّنْيا لَنَا كَنَهَارِها

(١٣)

وَدَعْنا نَذُوق الشَّهد فى خِصْبِ أَرضِهَا ونُبْصِر حَلْواءَ الشَّذَى فى قِفَارِها

* * *

موكب الجمال

في دمعة على فقيد الشباب الأُستاذ محمد فدا

أنَا ما عرفْتُك من قريبٍ بل عرفْتُك من بَعيد

وكبُرْتَ فى الأَمْداءِ وحْدَك مذْ كَبِرْتَ عن المُهُود

وتوزَّعَتْ بِلِدَاتِك الآرَابُ فى الوطنِ العَتِيد

ومضَيْتَ كالفَلَّاح تَحْرثُ ثم تَغْرسُ مِنْ جَدِيد

وخطَوْتَ كالجُنْديِّ يمشى الهَيْدبى خَلْف البُنُود

عِفْتَ الصَّدارة حِين ذابَتْ فى النُّحُور وفى النُّهُود

ورضيت بِالشَّفَرِ الحَمِيِّ وليس بالشفر البُرُود

وتُضِيءُ حامِية الثُّغور على المَدَي خَلْف السُّدُود

أَمجادُهَا سِيَّان فوْق الأَرْض أَوبَطْنُ اللُّحُود

والنورُ يَخْترِق الحدود ولَا يَطيقُ هَوَى الحُدُود

للموت خاطِرَةٌ تَؤُزُّ أَزِيزَ طائِرةِ الحديد

نقّالة الذِّكْرى مِن الأَمَل الطَّريف إلى التَّليد

تَنْداح خالِدة المآثِر حِين تَزْلِف للخُلود

ودمُ الأَبيِّ الحرِّ يأْلِقُ عِرْقُه كَدَمِ الشَّهيد

نَسَقٌ نَهَجْتَ بِه إلى العَلْياءِ للهَدفِ السَّديد

لكنه النَّهْجُ الوحيد يَلِيق بالأَمَل الوَحِيد

ولقد عَيِينَا بالطَّرائق فى المُراد وفى المُرِيد

لا تُوهِمَنَّا بالرَّحيل فأَنْت فى أَوْج الصُّعود

فِيمَا رسَمْت وما بَنَيت وما سَتَبْنى مِنْ بَعيد

فَلَكَمْ تَوارى اللّيْث يَهْوَي سمعُهُ زأْرَ الأُسُود

والوُرْقُ تَطْرَبُ للصَّدى مِنْها وتَفرَح بالنَّشِيد

الموتُ أَنطَقُ بالحَياةِ وسِرٌّ جَوْهَرها الفَرِيد

ولَكَمْ يعيش الموت أَعماقَ الغَباوة فى البَلِيد

ويعيش فى حِقْد الحَقُود لِكَتْم أَنْفَاس الحَقُود

ويعيش فى الجَاهِ المقَنَّع باللآمَة والكُنُود

فى الرِّمَّة الشوْهاءِ تعْجز عن مُعاشَرة القُرود

فى الرَّاقِصين على الحَرير الواطِئِين على الخُدُود
المُسْبِلِينَ إزَار أَحْرارٍ على بَدَنِ العَبِيد
فى الحَائِكين الزُّوْرَ والبُهْتَان فى أَحْلى البُرُود
فى السَّاهِرين وصَحْوُهم يَنْحَطُّ عن صَحْو الرُّقُود
فى القَابِضِين الجَمْرَ يَحْرِقُهم ويَنْفُذُ للجُلُود
حَسِبوه ذُخْرَ حياتِهم والمجد فى البَذْلِ المَجِيد
صَدَقَ الخَليل أَبُو خَلِيل فى الغِيَابِ وفى الشُّهُود
مُذْ قَال إنَّك فى شَبابٍ بِلادِنَا بَيْتُ القَصِيد
أَيَّام صنَّفْنَا الكَفَاءَة مِنْ قَرِيب أَوْ بَعِيد
بالجُهْدِ بالعَرَق المُشَعْشَع لا بِأَعْراق الجُدود
سِرُّ الفَراسَةِ لا يَخِيب وصِدْقُها صِدْقُ العُهُود
عِشْ فَوْقَ مَا تَهْوى فَمَا الفِرْدَوس إلَّا للنَّجِيد
وصِلِ الحَيَاة وزِدْ فأَنْت اليوم أَجْدَرُ بِالمَزِيد

* * *

تأبين شاعر

لا تَنُوحوا عليـــه لا تُزْعِجُوه فَهو للموت مِثْلُه لِلْحَيَـــاة

نَغَم تَسْبَح المَواكِب فِيـــه وهَوى نَابض الرُّؤي باسِمَات

وَمَعَانٍ تَرنَّحت فَتَلاقتْ بِمعـــانٍ قُدْسـِيَّةِ النَّفَحَات

إنَّها رحلةُ المَشُوقِ لِصَحْبٍ أَوفِيَاء فَوْق السَّحابِ . . أُبَاةِ

قد دَعُوه إلى الوِصَال فَلَبَّى دَعَواتٍ مُجَـابة الدَّعَـــوات

وصْلُه بَيْنَـــكُم وبين رِحَاب غَامِرات بِفَيْضِهـــا عَامِرات

تَتَحرَّى أَنْسَامُــكم بِلِسَانٍ شَاعِر الحِسِّ . . شاعِرِ الكلمات

فَهو فى عالَم الخُلود سَـفِير وافِدٌ للحياة عبْر المَمَات

لا تَقـــولوا قضى لأَروع جلَّى ثم صَلَّى وحقَّق المُعْجِزات

إن أَحْلى الأَيام فى عُمر الشـــاعر يومٌ يَضِجّ بالذِّكْريات

طَالَما أَرسل المَواجِيد فى الحَرْف مُضِيئًا إضاءَة الآيات

عبْقَرِيُّ الإِيمان وقْدُ المَعَانى مِنْ تَرانِيم حِسِّـــه فى صَلاة

قَد تَسَامى ولم يَزَلْ يَتَسَامى في إباءٍ على هَوَى الغَانِيَات

إنه طَامِحٌ ولكِنْ إلى الْخُلْدِ وسِيم الرُّؤَى شَفِيف السِّمَات

تَتَروَّى منْه الكُؤوسُ أَفَانين ويَرْشِفْن أَعْطَرَ النَّسَمات

قَبَس كالصوى يُغَرِّد لِلْفَجْـر ويَسْري مع الدَّجَى في أَنَاة

ومعِينٌ ثَرٌّ تَحُـوم عليـه نَاهِلاَتٌ كَرَائِمُ الأُمْنِيَــات

الهداة . . الهُداةُ رجْعُ مَعانيه وأَطْيَابُه قُلـوبُ الهُـداة

* * *

لا تَنُوحوا عليه لا تُزْعِجـوه لا تَشُقُّوا الجُيوبَ كالنَّائِحَات

فَهْو لَمْ يَبْرح المَوَاقِف عَاشَت في مَثَانِيه حَيَّةً خَالِدات

وهو بيْن المُروجِ عِطْرٌ شَذَاها أَخذَت عَنْه أَنْضَرَ البَسَمات

وَهْو للأُمْسِيات بُلْبُلُها الشَّـادِي يُدَاوِي الآهَات بِالآهَات

والحياةُ الحياة مصْدرُ إلْهَام دَفُوقٍ مُجَنَّح الوَمَضَــات

دَيْدَبان على الزَّمانِ فما ضَاق بِمَاضٍ ولا اطْمَـأَنَّ لِآتِ

جَاذَب الطَّيرَ مَنْطِـق الطَّيْر إذْ تَهْزِج صَدَّاحَةً بِشَتَّى اللُّغَات

وأَذَاق الجَمَال رَضْب حميـاه شُمُوخًا في الأَعْين السَّاحِرات

وأَبَاحَ الأَغْصَانَ حُسْنَ التَّثَنِّى فى دَلالِ الكَواعِبِ المائِسَات
وجَلَا فى الصُّدود عِزَّة تَيَّـاهٍ صَدُوفاً عن الْخَنَا والْهَنَاتِ

* * *

فاعزِفُوا حَوْل نَعْشِهِ وأَعِيـدُو لَحْنَه الْغَضَّ راقِصَ النَّغَمَات
وانسجُوا بالأَقَاح إِكْلِيل غَارٍ ضفـرته أَنامِلُ الفَاتِنَات
صَفِّقُوا الرَّاح والهبُـوا بِلَظى الحبِّ قِدَاحًا حَرَّاقة اللَّذَعَات
وصِلُوه بِمجدها فالْكَرِيمُ الحُرُّ رَجْـواه فى وشِيجِ الصَّلات
طَاوَلَ الشَامِخَاتِ نِدًّا لِنِـدٍّ لم تَجِدْه رِحابُها فى العُفَـاة
طَمْئِنُوه على المواهِب غَذَّاها فَضَاءَتْ كالأَنْجُم النَّيِّرات
وإذا صَلَّتْ الجوارح تكْرِيما لأَهْـدافه الَّتى واللَّـوَات
فَتَحرُّوه فى المواقِف صَـدَّاحا وفِيًّـا مُبَارك الخَطَوات
لَفَتَاتُ الحِسَانِ قَدْ قَبَسَتْ مِنْهُ وفُزْتُم بأَرْوعِ اللَّفَتَـات
وأَسِيرُ اللِّحاظِ دُون أَسِـير أَوثَقَتْه حَنَادِسُ الذِّكْرَيات

* * *

لسْتُ أرْجُو له رِعايَة أبْنــاءِ صِغَارٍ مِنْ بَعْده أو بَنَــات

إن آبَاءَهم مَبادِئُه الحرَّة أَخْنَى حتى مِنَ الأُمَّهَـات

لا تقولوا جَرَى الزَّمَان بما نَكْره فِينـا إِذْ مزَّقَ الآصِرَات

فالزمانُ . . الزمانُ أخلاقُ أَهْلِيه ومِيزَاتُه مَعَـالِى الصِّفَات

إنَّما اسْتَمِيح للشَّاعِر العُذْر وأَدْعوا أَمْجَاده للْحَيَـاة

فى مَغَانيه فى مَجَالِيه لا تَنْضُبُ فى الخاطِرَات فى الأُمْنيَات

فى العظِيمَات كَان صَيدحَها الغرِّيدَ فى الخاطِرات فى النَّفحاَتِ

فى البُطولات صَال فيها مَصَال الليث فى أَضْيَق الضَّائِقات

يومَ تُجْلى عَرَائس الفِكْر فى الآفاقِ ضجَّت به ضَجِيج الغُزَاة

اقْرِؤُه السلام يومَ نُضَحِّى فى سبيل السَّلام بالمُهْجَـات

يومَ نَسْمُو على النفوس علَى الآراب عَافَتْ إلَّا حياة الْهُدَاتِ

لا تنوحوا عليه بَلْ رتِّلُوه إنَّه رحمـةٌ مِن الرَّحمَـــات

إنه زاهــد تبتَّل لِله فأَغْفى إلَّا عنِ الهَمَســـات

وتَوَارى عن العيون وخَلَّى رُوحَه للسَّحَائب الهَاطِـــلات

فى مَهَب الرِّياح فِى الأُفُق المكْشُوفِ للرائِحَات للغَادِيَات

للفَضَاء الرَّحيب طالَما لَوَّن آفاقَهُ بأَحْلى الشَّيَات

إنه الوعْد فى حقيقتِه الكُبْرى التى عاشَهَا على المِرْآة

قد تصدَّى لها على وضَحِ الذَّات وكَمْ هَامَ فى ظِلَال الذَّات

عَاشَها بالخيال صَوَّره الفنُّ جَمِيلًا فى أَرْوَعِ الرَّائِعاتِ

فإذا أَدْرك الحقِيقة بَيْضَاءَ تَبدَّت فى أَبْدَعِ الطَّلَعَات

فَهى أَحلامُه العِذَاب تَرَاءَتْ صائِحَاتٍ فى أَصْدَق اليَقَظَاتِ

لِتقولوا عنها نُبُوءَات حِسٍّ شَاعريٍّ عَميقَةٍ صَادِقَات

* * *

الشريف عبد الله المنديلى

فَقدْناه أَدْنَى ما يكون لأَنْفُس   تَشَاكل فيها بِالمحبَّـة مَشْرب

عزِيزًا أَثِيراً جُهدُه ذَوْب نَفْسِه   يجودُ بِهَا والرُّوح للروح مَطْلب

تنوَّع حُبُّ الناس ذَوْقًا ومذْهَبًا   وحُبُّك أَهْل الله فى الله مَذْهَب

شَواغِل منها كُنْت فيها مُوزَعًا   تُبَاعد عَنْها تَارةً وتُقَـــرِّب

وقُرْبى إلى بيْت النبيِّ قَرِيبـــة   تَهِيج إذا قَالوا « حُسَيْن وزَيْنب»

تـأَلَّق فِيك الْحُبُّ نوراً وبهْجَةً   فَلَا صَبْوَةٌ تُلْهِى ولا ثَمَّ مَأْرب

لقدنَاءك العِبْءُ الثَّقِيل وإنَّها   متاعِبُ أهل الله تُوهِى وتُكْرِب

أَيَا جَار أُنْس طابَ لى فى جِواره   كرِيم وَفَاء مِنْك حُلْو مُحَبَّب

توشَّح فى أَوْلَادنا من ولَائِنا   وَلَاءٌ رعاه من أُبُوَّتِنَـــا أَب

عجِبْت له إذْ جاءَ بِی فی جِوارِه | لِيُشْرق فِينا قُرْبُه ثم يَغْــرب
وزَاحَمنَا بالذِّكْــريات تَنَوَّعت | صَباحًا مساءً طيفُها يَتوثَّب

(٢)

لِلنَّاس يَحْيى بِما نَالُوا وما ظَفِروا | وفی مَرامِهِمُو يَحْلو له السَّبْــق
يُعْطی لِيسْتَوهِب الأَنْفَاسَ ضارِعةً | مِنْ واثقِين بِما فی ذَاتِه وثِقُوا
والرَّائد السَّمْع إذ تَعْنُو الصِّعاب له | لَنْ يسْتريح إليه المَوْضع القَلِق
وتَشْرئِبٌّ له الأَعناق زاحفَــةً | مَوَدَّة ليس فِيها المين والمَلَق
تَحكی سرائرُه صفْوًا وتُشْبِهُها | صِدْقا توحَّد فيه النَّهج والنَّسَق
فأَيٌّ مطْلَبِ عِزٍّ لا يَلِين له | وأَيٌّ شعْبٍ بما يُمْليه لا يَثِــق

* * *

(٣)

وحتَّی صِغار الدَّار كان يَحُوطُهم | بِودٌّ عجيبٍ والنَّوي مِنْه أَعْجَب
إذا طَرقتْفیالباب طرْقة طارِق | تَنَادوا لقد جاءَ الشَّرِيف ورَحَّبُوا
فَيَا غائبا ما سَاءَنا منْه حاضِرٌ | ولكِنَّنــا فی غيْبِــه نَتَعذَّب
تَحَرَّيْت أَحْداث الزَّمان غَياهِبًا | تَمر إلی أَنْ لَفَّكَ اليوم غَيْهب
جَزَتْك الغَوادِي رَحمَةً أَنت أَهلُها | تَظَلُّ علی أَفْيائِها تَتَقَــلَّب
ولا زِلْت حَيًّا فی بَنِيك وكُلُّهم | نُجُوم عَلَيْها من رِضائِك كَوْكَب
وإنِّی علی عَهْد المَوَدَّة راجِيًا | بِحُبِّك قُرْب الله إذْ أَتقَــرَّب

* * *

إلى روح ولدي

لو عِشْتَ أَبْصرتَ آمالا مُحققة   كانت مقَاصِدُك الكُبري تُرجِّيها
ما أَثْمرتْ غيرَ ما قد كُنْتَ تغرِسُه   يا ليت قاطِفَها مَن كان سَاقيها
يا غيثُ طيِّب ثراه إنّه جَدَث   ما إن له غَيْر رُحمى الله يُولِيها
ويا أَبا ضَاقَ بِى ما تمَّ مِنْ أَمل   إِذْ لم تكنْ حَارِسَ النعْمى وحامِيها
رَسمْتَها والنُّهى من حولها قبَس   وقُلت دونَك فى العَلياء عالِيها
ورَّثْتنى خلقَ الأَمجادِ أَنشُدُها   منى على الجُهد تطْوينى وأَطْوِيها
قُلت الرَّزايا ميادين مُشَوكة   يجْتازها هادِم الدُّنْيا وبانِيها
وما عدَتْنى مِن الأَحداثِ مُزعجة   مِمَّا علمْت ومما لَسْت تَدْريها
فِيها رضاؤك بعْد الله زاملَنى   فما رأَتْنى البلَايا غيْر راعيها
ذُقْتُ الأَمرَّين من جوْر ومن عَنَتٍ   لم يَحْمِنى من طِباعى خيْرُ ما فِيها
والعِلْم والفِكر قَادَانى لِصَاحِبة   مِنَ الكُروب تَمادَت فى تَجنيها

جَرَائر الخُلُق العــالى أُجَرّعُهَا   والوغْد يسحَب أَذْيالَ العُلا تِيها

ومَا أنا اليَوْم إلَّا نِضْوُ معركةٍ   أَبقَتْ عليَّ من الدنيا معَانيها

الفضْلُ عِندي تُراث عَزَّ وارِثه   والمَال عندي من الأَخْلاق عَاليِها

إن سَالَمتْنى الدنا أَوْ أَنْ قَستَشرع   لَسْت الحَرِيصَ على غيْرِ الهدَى فيها

إن عاجَلتْني لم أَعْجَل وإن هَجَعت   هجعْتُ ملْءَ عُيونى عَن مآسِيها

لم تُعْط مثلَ الذي أبْلت وقد وهَنَت   مِنّى القُوي وَضَعيف القَلْب راجِيها

* * *

حمزة ومرام

يَا فَلْذَتَيْ كبدي وبَهْجَةَ ما أَرَى   فى كونِيَ المتَــرنِّح البَسَّــام

تابَعْت آمالَ الحيــاةِ وصَفْوَهَا   فوجَدتُها فى (حمزة) و (مرام)

* * *

فى رثاء مصطفى مفتى

تلميذ عزيز عندي - مات فى العشرين من عمـره

فَقدْتُه عزٌّ مفقوداً على الزَّمَنِ ... نـأى وأوْرَثَنى شَجَناً عَلىَ شَجَنِ

يا لَيْته نـأْيُ عوْدٍ استعلُّ بــه ... لكِنّه الرَّزْءُ قد أَضْحَى ولم يَهِن

يامصطفىمااصْطَفتْ نفسى بهبَدَلا ... فى غُرْبتى عن بِلاد المصْطفَىوطنى

قد كنتَ توأَمَ نَفسى كَمْفرِحتُ لها ... وكَمْ حزِنْت على ما مسَّ من حَزَنِ

وأَودَعَتْك عظيماً من سَرَائرِها ... لما رأَت يقظا للعهد لم يَخُـن

أُمنيَّة كان فى نفسى تَنَقُّلُهــا ... وَمُهْجَةٌ لِيَ فِي حِلِّى وفى ظَعَنى

إن سِرْت يَتْبعنى مِنْ ضوئها قَبَسٌ ... أَو اسْتَقَمتُ حَلَا فى فَيْئِها سَكَنى

يا راحِلًا وله فى القلْب مَنْزِلةٌ ... هَلَّا رحَلْتَ بِقَلْبٍ فِيك مُفْتَتِنِ

لَئِن ذكَرْتُك بَعْد الموتِ تكرمةً ... فإِن روحك بَيْن الخُلْد تذكرنى

• • •

الفهرس

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة

القسم الثاني ـ سبحات

الموضـــوع	رقم الصفحة

القسم الثالث ـ رثاء



الشـــاعر ...

- يعتبر المغفور له الشيخ ضياء الدين رجب من أبرز شـعراء المملكة وأدبائها فقد ساهم فى الحركة الادبيـــة منذ قيامها وكان لـــه دور بارز فيها .

- ولد بالمدينة المنورة فى عام ١٣٣٥ هـ .
- تلقى العلم فى المسـجد النبوى الشريف .
- اشتغل بعد تخرجه بالتدريس فى المدينة المنورة .
- اشترك فى تحرير صحيفـة المدينة المنورة فى بداية صدورها .
- كما ساهم بشعره وبحوثه ودراساته العلمية والادبية فى بقية صحفنـا المحلية وكان يكتب عمودا يوميا فى (جريدة البلاد) تحت عنـــوان «قطوف» .

- عين فى عام ١٣٩١ هـ قاضيا بمدينة العلا وعمل بعد ذلك بالمحاماة .
- ثم عين مستشارا قضائيـا لامانة العاصمة فعضوا بمجلس الشـورى الى أن أحيل الى التقاعد فعاد الى الاشـــتغال بالمحاماة حتى توفى بالرياض فى ١٣٩٦/٢/٢٤ هـ .

- من مؤلفاته غير المطبوعة «وقفة فى ديار ثمـود» وكانت له سلسلة من المقالات بعنوان «مذكرات قاض» وسلسلة أخرى بعنوان «نصـف قرن يتكلم» .